الجمهورية العربية المتحدة

تجربة فى الوحدة العربية
١٩٥٨ — ١٩٦١

رسالة

ماجستير — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

جامعة القاهرة

مقدمة من

محمد عبد المولى الزعبى

القاهرة ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٨

(((((اهـــــــداء)))))

الى الذيــــن كرســوا حياتهـــم لتعليمـــى ،

الى من كســوا عظامى باللحـم والـــــدم ،

الى الروح الانسانية التى تعتمل فى نفوسهــــم ،

الى اخوتــــى الـــــبررة ،

الى روح أخـــى على الذى أرشدنى على الطريق ،

ثم تركنى فى خضم المعلم الكبير.. الحيـــاة

الى اللذين ذرفا الدموع كثيرا لأجلـــــــى ،

الى أمـــــــى وأبـــــــى ،

وقبلهـــم جميعا .... الى أمتى العربيــــــــة

××××××××××

٥ ٥ ٥
٥ ٥
٥

شكر وتقدير

قضيت فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية / جامعة القاهرة ما يزيد على ثمان سنوات كنت أشعر خلالها أن أساتذتى خير أصدقاء وأفضل موجهين لى فى طريق البحث ومناهج التحليل والتقييم الموضوعيين .

ولا غرو فى ذلك .. اذ ان سعة علمهم وكثرة اطلاعهم وتشعب ثقافتهم ورحابة صدورهم . كل ذلك قد جعلهم يدركون أن العلاقة بينهم وبين الطالب انما هى علاقة بين الأخ وأخيه .. هى علاقة بين الأب وأبنه .. ومن هنا ، فان وفائنا ، نحن الطلبة ، لأساتذتنا لا يقابله الا وفاء الدين الذى لا بد من وفائه .

وانطلاقا من هذا الوفاء ، والاخلاص لأساتذتى .. وادراكا لدورهم الكبير فى توجيهى خلال دراستى الجامعية ودراساتى العليا ، فاننى أتقدم منهم جميعا بعظيم امتنانى وتقديرى اللذين لا يدانيهما شئ سوى صبرهم علىّ خلال سنوات الدراسة .

واننى اذ أقدرهم جميعا .. أخص بالشكر والتقدير والاكبار الاستاذ الدكتور محمد فتح الله الخطيب عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية / جامعة القاهرة / لاشرافه على الرسالة وتفضله مشكورا محمودا بتقديم النصائح الهامة ، ولسعة اطلاعه وارشادى الى الكثير من الكتب والدوريات والموضوعات الضرورية لاكتمال واتمام الرسالة .. فجهوده الجبارة وقدرته الخارقة حققت فى الرسالة ما لم يكن تحقيقه ممكنا لولا عظيم جهوده وغزارة علمه .

وان نسيت ، فلا أنس أستاذى الكبير الدكتور بطرس بطرس غالى - أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة - لرحابة صدره وعظيم اخلاصه فى توجيهى ، وعلى المساعدة القيمة التى قدمها لى والذى لولا جهوده لما خرجت الرسالة الى حيز الوجود بشكلها الحالى - لا بل لم تكن قد عرفت المطبعة اطلاقا .

على أن الوقت الغالى والآراء الجليلة الصائبة التى قدمها لى الاستاذ الدكتور وليد الخالدى - أستاذ العلوم السياسية فى الجامعة الامريكية فى بيروت - كان لها أعظم الفضل فى الصورة التى عليها الرسالة الآن .

وهناك الكثير من المؤسسات والشخصيات العلمية القديرة التي شاركتني وساعدتني في عملي ، ان في تقديم المعلومات والكتب والوثائق ، وان في تقديم المادة العلمية في الموضوع ، أخص منهم بالذكر المقرون بالوفاء : الدكتور بشير قطب مدير عام وزارة الخارجية العربية السورية ، والسيدة الفاضلة زينب ابو كرم ، أمينة مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، والآنسة سميرة م. ش. على مساعدتها القيمة في الكتابة والتشجيع على المثابرة والصبر .. وقسم المعلومات والأرشيف بجريدة (الاهرام) القاهرية .

والى كل من شجعني بكلمة .. وأعانني بحرف .. ولفت نظري بملاحظة .. أقدم شكري وتقديري .. ؟؟؟

محمد عبد المولى الزعبي

القاهرة ، نوفمبر ١٩٦٨

×××××××××××

×××××××××××

××××××××××

×××××××××

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟؟

الفهـــرس

صفحة

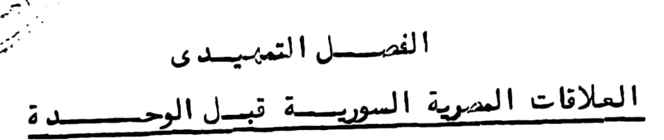
صفحة

البـــاب الثانى

دولة الوحـدة ١٩٥٨ ــ ١٩٦١

صفحة

صفحة



الفصـــل التمهيـدى

العلاقات المصرية السوريـــة قبـل الوحـــدة

ان تحديد تاريخ معين ، لبداية العلاقات المصرية السورية ضرب من المستحيل لا يمكن ادعاؤه . بل ان هذه العلاقة قد قامت على مرّ العصور ومختلف الازمان وقبل أن تدخـــل الدولتان فى رحاب الدين الاسلامى .

وما يهمنا فى هذا المجال هو الالتقاء المباشر الذى قربته الظروف المتشابهة الـــتى أحاطت بالبلدين ، خاصة بعد قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، حيث أعلنـــت هذه الثورة عن اعترافها وتبنيها للدائرة العربية التى هى أهم دوائر السياسة الخارجية المصرية على الاطـــلاق (١) .

أما متى برزت الشخصية العربية فى مصر فهذا تاريخ لا ندعى بانه جديد على الاطـــلاق ولكن ما يهمنا قوله هنا أن تجزئة البلاد العربية واقتسامها بين الانتدابين البريطانى والفرنسى قد أدت الى تثبيط العزائم بالتفكير فى أى تعاون فعّال فيما بين الدول العربية وبعضها البعض فى فترة ما بين الحربين ، ولذا راح زعماء مصر الوطنيون يتطلعون الى اتجاهات أخرى لضمـــان المساعدة لشعبهم (٢) . وخلال الحرب العالمية الثانية شعر الزعماء المصريون بحاجتهم الـــى اقتحام السياسات العربية عندما اتضح ان البلاد العربية ستحقق استقلالها ، وستنظم نفسهـــا فى جامعة تكون وسيلة لاتحاد عربى ، حتى ولو كانت تحت وصاية بريطانية . ان لمصر العديد من الاسباب التى تؤيدها فى هذا الاتجاه أهمها أن تحول بين زعماء العرب الآخرين ، ولا سيما الهاشميين ، وبين انشاء دولة عربية كبيرة يتولى زعامتها الهاشميون ، وبذلك لا تصبح تـــلك الدولة الموحدة موازنة لمصر فقط ، بل ربما فاقتها فى قوتها . وهذا التفكير له ما يبرره منطقيا . كانت مصر تحصر همّها فى التخلص من الاحتلال البريطانى ، وكانت العائلة الهاشمية قد تعاونت مع الانكليز اثناء وبعد الحرب العالمية الاولى ، واذا ما قامت دولة عربية متحدة بقيادة الأسرة ستكون عونا لانجلترا ، وهذا ما يضعف موقف مصر من جلاء الاحتلال عن أراضيها .

* قامت الجامعة العربية ، وتولت مصر فيها دورا قياديا ، وقامت حرب فلسطين فى عـــام ١٩٤٨ فاشتركت مصر فيها . هذان الحدثان أبرزا شخصية مصر كبلد عربى على المستـــوى السياسى العملى وعلى المستوى النفسى ، وهذا أهم المستويين (٣) .*

ـــ وقامت ثورة يوليو لتعلن عن شخصيتها العربية بعد أن تخلصت من قوات الاحتـــلال . وانفتحت الثورة ذهنيا على من حولها فاذا بها تجعل " العناصر الثورية المتقدمة فى الوطن العربى تتفاعل معها بعد ان كانت قد قاومت الانقلاب بالنسبة لاختباراتها السابقة مـــع الانقلابات العسكرية خاصة مع سوريا . وأدى هذا التفاعل المستمر الى تلقيح الانقـــلاب

---

(١) جمال عبد الناصر: "فلسفة الثورة" (المطبعة العالمية ، القاهرة ١٩٥٣ ، الطبعة التاسعة) ص ٦٢

(٢) كلوفيس مقصود : "أزمة اليسار العربى" (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٦

(٣) [illegible]

مقدمــــة عامــــة

كيفيــة دراسة تجربــة الوحــدة والانفصــــال

هل يجب على المفكر القومى أن يلتزم ، فى دراسته لتجربة الوحدة ، بمجرد التصويــر التاريخى لهذا الحدث ويقتصر على هذه المسئوليــة التاريخيــة الخاصة متناولا جوانبها العلمية فقط ؟ أم يجــب أن يتجاوز ذلك التصوير التاريخى لتلك الظاهرة متجها الى فهــم التجربــة ، ومعبرا فى نفس الوقت عن معاناة الحس القومى الذى يقــوم بالدرجــة الاولى على فعل تقييمى ؟

ان التصوير التاريخى فعل تسجيلى وصفى بحت . أما التصويــر التقييمى فهو الخط الذى يمكن اتباعه فى دراسة ظاهرة وحدة ١٩٥٨ . وهذا الخط يحمل فى ذاته فهما قياسيا تقييميا فى المقام الأول . اذ انــه هو الذى يكشف عن بغيــة التطور الكلى بما فيه من عوامل سلبيــة وعوامل ايجابيــة ، تمتزج مع بعضها البعض موجهة حركة التغيير نحــو الأهداف التى تطرحها فكرة القومية العربية ، والوحدة أهم هــدف آنى لهــا .

وعلى ذلك فاهمال ذكر الأحداث التاريخية بترتيبها الزمــنى الصارم ، يقابلــه تسجيل لأهم الأحداث لابراز الاتجاهات الــتى سادت فى دولــة الوحــدة .

ذلك أن الوحدة التى قامت عام ١٩٥٨ هى جزء من الثورة العربيــة الشاملة ، هذه الثورة التى تتجه الى انشاء المستقبل العربى ، وتطــرح نفسهــا كأداة للتاريخ العربى ، ولا بد لها اذن من أن تعرف كــل ما يعيق طريقها من الادوات التى تحارب وصولا الى نقاط الضعــف والوهــن التى تصيبهــا ، " أو من غــرور وخداع للنفس ".

ومن كتبوا التاريخ العربى تجاوزوا وتجاهلوا ذكر العيوب ، ودأبــوا على الخــوف من النقد ، " ولم تعلمنا عصور الانحطاط الا ذلك الكذب المنظم تحت ستــار أخلاق النفاق ، فنحن اما ألا نرى الا الخير كلــه ، واما ألا نرى الا الشر كلــه " .

انطلاقــا من الفكــرة السابقــة فان بحثنــا سيقتصــر على ذكــر الحوادث بترتيبها الزمنى بالقدر الذى تخدم الفكرة الاصلية فى طرحنــــا

موضوع الوحدة والانفصال على أساس تقييمى بحت . ولم نكن لنتبع هذا المنهج الجدلى لو لم يقع المؤرخون العرب والأجانب ، على حد سواء ، بمغالطة خطيرة جدا ، وهى انهم حاولوا أن يؤرخوا بعد فشل التجربة ، أى نكسة الوحدة وقيام الانفصال ، لسنوات الوحدة ، وسجلوا تاريخهم محورين فيه ومحولين الظاهرة الى قانون عام ينسحب على المستقبل العربى كله جملة وتفصيلا . نقصد انهم حولوا ظاهرة الانفصال ، وهى بلا أدنى شك عرضية وزائلة ، الى قانون عام لفشل الوحدة التى قامت عام ١٩٥٨ ، وبالتالى لأية وحدة ستقوم مستقبلا !

ان حركة التاريخ ، وفى أحيان كثيرة ، لا تكون تكرارا على الاطلاق ، بل وغالبا ما تكون تجاوزا لحدث قائم .. وهكذا كان الانفصال تجاوزا مؤقتا وعرضيا لواقعة الوحدة .

ولم يكن الانفصال أكثر من لحظة توقف لمسيرة طويلة للتاريخ العربى المعاصر والحديث . فمواقف الفشل والنكسات التى ألمت بالأمة العربية ، هزت واقعها ونبشت فى جذورها التاريخية والفكرية والحضارية ، مستطلعة عن امكانيات جديدة تهديها طريق الخلاص ، " فصدمة الفشل تدفع لدى الشعوب الحية الى شئ من الدهشة الحزينة ، الدهشة الممزوجة بالخوف . وعند ذلك لا بد أن تنبثق التساؤلات ثانية . ولن تنال هذه التساؤلات الأسباب المباشرة ، بقدر ما تطرح الموقف الكلى لانسان الحضارة على بساط اعادة النظر . فكما قيل أن الفلسفة نشأت من تأمل الموت ، كذلك يمكن القول أن معرفة الذات تبدأ من توقف العمل ، من النكوص والارتداد ، من الفشل ذاته " .

فالوحدة ، وان كانت جزئية ، قد قامت ، والانفصال أصبح واقعا ملموسا فى حياة الأمة العربية ، واصطحب معه موقف الدهشة الممزوج بالكثير من عوارض الخوف على مستقبل الأمة العربية ، وقد طرح بالفعل الموقف الكلى لانسان الواقع العربى المعاصر . وبدأ الناس يدرسون الذات العربية ، كل ذلك لتوقف العمل ، بمعنى لتوقف الوحدة ، وان مرحليا ، بارتدادها بفعل عوامل داخلية وخارجية الى حركة انفصالية .

فهل الانفصال بحد ذاته تعبيرا عن فشل الوحدة والتجربة ؟
ام ان الوحدة شيئ حي بذاته والانفصال لحظة توقف
اصطناعية لدم يسير في جسد الأمة العربية ؟ وهل الخطأ
في الوحدة كفكرة أو الخطأ في الوحدة التي قامت عام ١٩٥٨
كتجربة وتطبيق ؟

الرد على الاسئلة السابقة يتحدد بالاجابة على الأسئلة
التالية :

١ ـ ما هي العوامل الخارجية والداخلية ، التي أدت الى
قيام الوحدة متمثلة في الجمهورية العربية المتحدة في
الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨ ؟

٢ ـ كيف سارت الأمور داخل الدولة الوحدوية ومن حولها أثناء
عمرها وكيف واجهها العالم ؟

٣ ـ ما هي العوامل التي أدت الى الانفصال في الثامن والعشرين
من سبتمبر عام ١٩٦١ ؟

الرسالة بمضمونها الكلي ترد على الأسئلة الثلاثة السابقة .

محمد عبد المولى الزعبي

٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥

٥ ٥ ٥
٥ ٥
٥

فى مصر بالجانب الثورى التقدمى فى الفكر العربى الحديث"[1] ان تبنى سياسة الحياد الايجابى بعد عقد صفقة الاسلحة التشيكية والاشتراك الفعّال فى معركة التحرر العربى " لم يكونا الا التعبيرين عن الذهنية المنفتحة على متطلبات الثورة العربية المعاصرة"[2].

ونرى ان الحركة العسكرية المصرية وقد التزمت بتغييرات جذرية على الصعيد الداخلى ، السياسى والاجتماعى ،" وعلى أثر وضوح التزام الانقلاب المصرى[3] لحركة القومية العربية التقدمية تحول الانقلاب الى ثورة وأصبح الوضع الثورى فى مصر وضعا طليعيا كوّن لذاته مركزا قياديا رئيسيا فى الحركة الشعبية . وهكذا أثبتت الانقلابية العسكرية فى مصر ذهنية ثورية لم نعهدها ، وبكل صراحة لم نكن ننتظرها "[4].

وخلال السنوات الاربع التى مرت على مصر ، ابتداء من قيام الثورة حتى العدوان الثلاثى ، كانت الاحداث المتتالية تعصف بأجزاء الوطن العربى وخاصة تلك المتعلقة بالمشرق ، وعلى وجه أخص ازاحة دكتاتورية أديب الشيشكلى فى فبراير عام ١٩٥٤ ، وتسلم السلطة فى سوريا تكتلا اختلفت إتجاهاته ، ولكن القوى الثورية السورية كان لها الغلبة فى النهاية ورجحت التفاعل الثورى بين مصر وسوريا . وتسجيل العلاقات المصرية السورية انما هو تسجيل لبداية التفاعل والاندفاع نحو الوحدة بين القطاعين الفكرى والعملى ، الاول يتمثل فى القوى الوحدوية الثورية الاصيلة فى الشعب السورى واهمها البعث والثانى يتمثل فى الثورة المصرية وقيادتها .

مع نهاية الحرب العالمية الثانية تحررت سوريا من الاحتلال ، وفى نفس الوقت أدى تعاظم حركة التحرر فى بقية الاقطار العربية الى أن تفتش عن وسيلة الاتصال ببعضها وان تحطم الحدود المصطنعة " وتشكل حدا ثوريا يصعد من قاعدة الهرم للأمة بكاملها"[5]. وكان لا بد للاستعمار من ان يفتش بدوره عن وسيلة يمنع هذا الاتصال ، هادفا من ذلك الى تجزئة وحدة النضال القومى وقوفاً بوجه بروز دولة عربية كبرى ، فمهد لنكبة فلسطين وانشأ دولة اسرائيل ، ودعم الفئة الحاكمة الموالية له فى كل دولة عربية ، وجمد حركة

---

(١) كلوفيس مقصود : مرجع سابق ، ص١٣٦

(٢) المرجع السابق ، ص١٣٧

(٣) يجب التنويه هنا الى ان استعمالنا لمصطلح " انقلاب " بخصوص الحركة العسكرية المصرية التى قامت صباح يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ انما هو تجاوزا فقط حيث لم يتحول الانقلاب الى ثورة فعلية الا حين الغيت الملكية وصدر قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر عام ١٩٥٣ ، وفى رأينا ان الثورة تبدأ حين يبدأ التغيير الى الأفضل بالنسبة لمصالح الشعب.

(٤) كلوفيس مقصود : مرجع سابق ، ص١٣٦ . وما تميزت به القيادة الثورية فى مصر من ذهنية منفتحة كان العشرة الاولى التى وقفت فى وجه السياسيين السوريين التقليديين وميولهم نحو الاحتراف السياسى .

(٥) مطاع صفدى : " الثورة فى التجربة " (دار الطليعة ، بيروت ، يونيو ١٩٦٣) ص٢٤٤ .

الوعى الثورى الجماهيرى بالطغيان والارهاب . ولكن التاريخ كان قد حسر عن الروح الأصيلة للامة العربية على أنه يجب بعثها عن طريق عمل ذاتى من اعمال الاعتراف ، اذ لا يمكن الاقرار بمكانة الامة العربية بين أمم العالم المتحضرة الا نتيجة للقيام بعمل مصمم يجسد هذه الارادة بشكل مادى .

وعلى هذا الاساس بدأت الحركة الجماهيرية العربية تبحث عن وسيلة لتجسيد ارادتها بشكل مادى ، فما وجدت أفضل من سوريا ومصر . وكان اللقاء اول ما كان فى السياسة الخارجية للبلدين ، ثم تشعب ليصل الى الاهتمام بالسياسة الداخلية .

على ان مركز سوريا بالنسبة لدول المشرق العربى ، ومركز مصر بالنسبة للدول العربية الواقعة فى الشمال الافريقى قد جعلهما نقطتى ارتكاز وانطلاق الى بقية الأقطار العربية : من هنا جاء تنسيق السياستين الخارجيتين للدولتين ثم ميثاق الدفاع المشترك فيما بينهما .

oooooooooooooooooooo

١ - مركز سوريا فى قلب المشرق العربى :

كانت سوريا قبل الوحدة محط أنظار الدول العربية المحيطة بها من ناحية ، ومعرضة لأفدح الاخطار من المؤامرات الخارجية من ناحية ثانية . ويكفى أن يذكر الانسان ذلك الجو النفسى الذى عاشه الشعب السورى عشية يوم الوحدة حتى يدرك العوامل التى دفعته الى طلب الوحدة .

نظرة الى الأنظمة السائدة فى الدول المحيطة بسوريا ، تعكس الاتجاهات السياسية التى كانت تأخذ مجراها ، بعضها سطحى وبعضها عميق ، فى واقع الحياة السورية . هذه الاتجاهات العنيفة هى التى دفعت (باتريك سيل) فى كتابه (الصراع حول سوريا) الى ان يقول بان من استطاع السيطرة على سوريا أمكنه ان يحكم المشرق العربى كله .. لا بل منطقة الشرق الأوسط بأسرها (١).

تقع سوريا شرق البحر الابيض المتوسط ، يحدها من الشمال تركيا التى تتصل مباشرة بالاتحاد السوفييتى ، وهى عضو فى حلف الاطلسى وعضو مؤسس فى حلف بغداد وكانت تحكم سوريا حتى الحرب العالمية الأولى . وسوريا هى البوابة الغربية الشمالية للعراق حيث البترول ، وهذه قد ارتبطت بالغرب وعضو مؤسس فى حلف بغداد (٢) ، ولها

---

1) Seale, Patrick: "The Struggle for Syria"(Oxford University Press, Oxford, 1965), P. 3.

(٢) انظر الفصل الاول ، المبحث الاول حيث تعرضنا لكيفية انشاء حلف بغداد ودور العراق فيه ، ص ١٧ .

أطماعها الهاشمية فى سوريا . ويحدها من الجنوب فلسطين المحتلة ومن الغرب الجنوبى لبنان ، وفى جنوبها الشرقى تقع المملكة الاردنية . وعلى هذا فهى فى قلب المشرق العربى . فالاستعمار والقوى الاجنبية الطامعة فى المنطقة يهمها السيطرة على سوريا لأنها بموضع القلب والمدخل الساحلى الغربى للشرق الأوسط .

واذا ما ترجمنا هذا الواقع الجغرافى الى واقع سياسى ، فى المجالين الدولى والعربى ، فان الأمر ليبدو من أعقد الأمور .

تقع سوريا وسط التيارات المتعارضة التالية : انها بمثابة مرآة للمصالح الحيوية فى المجال الدولى بحيث انها تستحق اهتماما خاصا . وحقا ، فان مصالحها الداخلية ليس لها أهمية فى الكثير من الاحيان ، اللهم الا باتصالها بالمضمون الواسع لذلك المجال ، اولا بالنسبة لجيرانها العرب ، وثانيا بالنسبة للقوى الكبرى ذات المصلحة . وليس صدفة ان تعكس سوريا فى بنيانها السياسى الداخلى منافسات جيرانها حيث انه من يود ان يحكم الشرق الاوسط يجب عليه ان يسيطر على سوريا (١) . وهناك العديد من الاسباب المؤيدة لوجهة النظر هذه :

الأول : هو الموقع الاستراتيجى لها ، فهى حارسة المسالك الشمالية - الشرقية المؤدية لمصر ، وتحرس خط اليابسة الممتد من العراق للبحر الابيض المتوسط ، وهى رأس شبه الجزيرة العربية والحدود الشمالية للعالم العربى .

الثانى : هو ان سوريا يمكنها ان تقول بأنها كلا من رأس وقلب الحركة القومية منذ بدايتها فى نهاية القرن الماضى ، فهى قد ولدت الافكار السياسية ، وهى مركز الاحلام الكبيرة (٢) .

الثالث : وكما انها كانت بمثابة مركز المنافسات بين الدول العربية ، فانها كانت ايضا الرابطة التى تمت بموجبها التسويات الدبلوماسية الكبيرة التى جرت من قبل كل من الغرب والاتحاد السوفييتى . هذه المنافسات وتلك التسويات التى كانت ، والى حد كبير ، على مخطط السياسات السورية الداخلية التى خاضت المعارك الفاصلة مع حلف بغداد ومبدأ أيزنهاور والمزايدة السوفييتية لجلب سوريا داخل تأثير الدائرة السوفييتية فى عام ١٩٥٧ . ولقد كان أخذ المسائل السابقة بعين الاعتبار هو الذى يحدد مستوى النجاح او السقوط على صعيد السياسة الداخلية .

---

1) Seale : OP . Cit . , P. 3.

(٢) ليونارد بايندر : مرجع سابق ، انظر كذلك د . جلال يحى : "العالم العربى الحديث" (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٦٦٥ حيث يقول : كانت سوريا هى الاقليم الذى ظهرت فيه الحركة التحررية العربية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

الرابع : وما سبق لا يدعو للقول بأن سوريا قد ظهرت كنقطة أساسية في المزاحمات الدولية فقط ، بل لقد كانت السياسة الداخلية السورية معقدة الى أبعد الحدود ، " حيث ان التقسيم الداخلي للافكار الرئيسية فيها ثرى الغناء ، وخاصة ما يتعلق منها بالسياسة العربية . ويجب ان لا نعتقد ، من ثم ، انها الضحية لمشاجرات شعب آخر . حيث انه وفي الكثير من الاحيان العكس هو الصحيح . بمعنى لقد صدر الخلاف من داخل سوريا الى جيرانها وتعداهم ، واذا ما فتشنا عن أسباب أزمة دولية محزنة فان الخيط يقودنا في بعض الاحيان الى دمشق ..

" ان سوريا تشبه فحص عينة محددة من سياسة معرض الاحياء المائية للشرق الاوسط .. ان العديد من المبادئ والاتجاهات السياسية في العالم العربي اليوم اما أنها انبعثت منها أو يمكن رؤيتها فيها بوضوح خاص ." (١)

* مهما يكن فانه مع بداية الخمسينيات من هذا القرن بدأنا نلاحظ " أن كل المؤامرات الاستعمارية والأجنبية بدأت وتركزت على سوريا بالذات " ، ولهذا أسبابه . اولا لموقعها من التيارات العالمية المتصارعة في المنطقة . وثانيا لانها البلد العربي الذي حمل لواء فكرة الوحدة العربية عندما كانت بقية الدول العربية لا تعرف معنى الوحدة الا على أساس من السيطرة والتسلط والحكم مثلما حدث مع الاسرة الهاشمية في بداية هذا القرن ، وفي الحرب العالمية الاولى أثناء ثورة الشريف حسين .

لقد جابهت سوريا في عام ١٩٥٧ من الضغوط لو وجهت لأي بلد عربي آخر لما تمكن من الصمود كما فعلت هي . هذا في اعتقادنا السبب المباشر الذي دفع سوريا لطلب الوحدة في عام ١٩٥٨ . *

oooooooooooooooooo

---

(١) Seale : OP. Cit. P. 1-2.

* اننا وان كنا لا نوافق المؤلف على كل أفكاره التي جاءت في الفقرات السابقة ، الا ان ما اقتبسناه عنه يعطي صورة صادقة ، الى حد ما ، كما ينبعث من سوريا وحولها ، لأجلها وضدها ، من انعكاسات على السياسة الدولية والداخلية

٢- تنسيق السياستين الخارجيتين لمصر وسوريـــا :

يسجل تاريخ قيام جامعة الدول العربية فى عام ١٩٤٤ نقطة تاريخية هامة فى العلاقات بين الدول العربية عامة وبين مصر وسوريا بشكل خاص . وكذلك يمكن القول أن ما تركته حرب فلسطين من تأثير على الدول العربية وعلاقاتها بالعالم الخارجى يمثل نقطة التقاء أخرى بين السياستين الخارجيتين للدولتين . ولكن ما يهمنا فى هذا البحث هى الفترة التى تبتدئ مع قيام الثورة المصرية ولقائها بعد خريف عام ١٩٥٤ بالحكم الوطنى الذى قام فى سوريا نتيجة للاطاحة بحكم العقيد أديب الشيشكلى .

ومن ناحية أخرى ، يمكن القول على وجه التحديد ان بداية تنسيق السياستين الخارجيتين لمصر وسوريا ، من الناحية العملية ، قد بدأت مع الدعوة الى مؤتمر باندونج هذا ، ولا يخفى اتخاذ الحكومتين موقفا موحدا بالنسبة للاتفاق العراقى التركى ، الذى سمى حلف بغداد فيما بعد ، كما سيأتى تفصيله فى حينه .

كانت حكومة الثورة فى مصر قد أجرت اتصالات مع الحكومة السورية قبل انعقاد مؤتمر باندونج ، وذلك لانتهاج سياسة عربية موحدة ، تهدف لابراز الشخصية العربية فى المجال الدولى وتعمل بتنسيق مدروس من أجل تقوية المواقف العربية فى المحافل الدولية . ولاقت هذه الدعوة قبولا من الحكومة السورية . وعقب زيارة لسوريا قام بها وفد مصرى برئاسة صلاح سالم أعلن فى دمشق فى الثانى من مارس سنة ١٩٥٥ ، وبعد اسبوع من تاريخ توقيع معاهدة التضامن العراقى التركى فى ٢٤ فبراير أعلن بيان مشترك كان أهم ما جاء فيه ما يلى :

١- عدم الانضمام الى الحلف التركى العراقى أو أية أحلاف أخرى .
٢- اقامة منظمة دفاع ، وتعاون اقتصادى عربى مشترك .
٣- الاتصال بالحكومات العربية لعرض أسس ومبادئ البيان المشترك ودعوة الدول العربية للموافقة عليها .
٤- انتهاج سياسة عربية مستقلة وموحدة (١) .

وحتى تكون الدعوة أعم وأشمل تبع هذا البيان تشكيل وفد مصرى سورى مشترك قام بزيارة لكل من لبنان والاردن والسعودية والعراق . وكانت نتائج هذه الزيارة للوفد المشترك متباينة . تقبلت السعودية مبادئ وأسس البيان المصرى السورى ، أما الاردن فقد تظاهر بالحياد ، وكذلك فعل لبنان . أما حكومة العراق فقد غيرت مجرى الحديث والهدف من الزيارة وحاولت أن تقنع الوفد " بأن الاتفاق العراقى التركى لا يخرج عن التعاون بين الجارين " .

---

(١) جريدة الاهرام ، ٣ مارس سنة ١٩٥٥ .

ولكن المفاجأة حدثت عندما انضمت بريطانيا للاتفاق بعد رجوع الوفد بقليل[1]، وبالتحديد فى ٣٠ مارس ١٩٥٥، وأعلنت بريطانيا ان الاطار الدفاعى لحلف بغداد حل محل اتفاقية سنة ١٩٣٠ مع العراق ٠

من هنا ، ومما انتهت اليه الزيارة من نتائج ، ظهر فى الأفق العربى ان معسكرين سيتشكلان : معسكر يضم مصر وسوريا من جهة ، ومعسكر تقوده بغداد ٠

كان مؤتمر باندونج اقوى لقاء على مستوى السياسة الخارجية الدولية بين مصر وسوريا فى تلك المرحلة ٠ ولعل من أهم نتائج مؤتمر باندونج المباشرة ، وفيما يخص العرب وقضاياهم هى تحويل ذلك التوازى فى الانتصارات الثورية بين مصر وسوريا ، الى اتفاق رسمى من أجل تدعيم سياسة عدم الانحياز ، ومحاربة حلف بغداد ، وأهدافه فى المنطقة العربية ، والدعوة للوحدة العربية المباشرة ٠ " ولذلك فقد انتقلت مصر بثورتها الجديدة الى مرحلة التفاعل التام بالسياسة العربية ، فدخلت هذه الحلبة بوجه تحررى مضئ نقل لأول مرة أيضا الثورية العربية من مستوى العمل الجماهيرى الى مستوى انبثاق دولة عربية ، ذات تنهج تحررى واضح " [2].

ولما انتهى اليه مؤتمر باندونج من نتائج ايجابية على الصعيد الدولى ، واعلان مصر الواضح والصريح لانتهاج سياسة خارجية موحدة ومتحررة ، بدأ الغرب ينظر بعين غير مرتاحة لهذه السياسة الحيادية من المعسكرين وبدأت بوادر أزمة تستفحل بين مصر والغرب لها العديد من الأسباب أهمها رفض الغرب تمويل العرب بالسلاح ٠

ولكن القيادة الثورية فى مصر استطاعت أن تعلن بداية ثورتها الواضحة والصريحة ضد الاستعمار الغربى وأعلنت كسر طوق حصار السلاح ٠ هذا الاعلان الذى كان نصرا مبدئيا عظمت نتائجه كلما تقدمنا من تسجيل الاحداث التى نجمت عنه ٠ وهكذا أعلنت الثورة عن حاجتها للسلاح للدفاع عن مصر تجاه التهديد الاسرائيلى ، ولما رفض الغرب امداد مصر بالسلاح أعلنت الثورة انها ستشترى السلاح ممن يبيع وما دامت صفقة البيع هذه لا تفرض أية شروط من نوع تلك الشروط التى دأبت دول الغرب فى فرضها على العرب للتدخل فى شؤونهم الداخلية والخارجية على حد سواء [3].

---

(١) ناجى علوش : " الثورة والجماهير " (دار الطليعة — بيروت — مايو ١٩٦٢) ص ٦٦ ٠ هذا وسنرى المزيد من التفاصيل عن موقف العراق وعن الاتفاق العراقى — التركى ، حين الحديث عن حلف بغداد ٠

(٢) مطاع صفدى : مرجع سابق — ص ٣٥٩

(٣) اما استيراد سوريا للاسلحة الشيوعية فسيأتى الحديث عنه فى الباب الأول من الرسالة ٠ راجع بهذا الخصوص وولتر لاكور : " الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط " (ترجمة لجنة من الاساتذة ، المكتب التجارى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩) ٠

٣- ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا

مع خريف عام ١٩٥٥ اشتدت الدعوة لحلف بغداد وبدأت العراق وتركيا تمارسان ضغطا عنيفا على سوريا للدخول فى هذا الحلف . ولكن الوعى الشعبى والجيش السورى وبعض الاحزاب التقدمية أتلفوا التأثيرات والضغوط العنيفة وان لم يزيلوا تأثيرها تماما .

وأمام الوضع المتفاقم من تأثير حلف بغداد وضغطه على سوريا جرت فى اوائل سبتمبر عام ١٩٥٥ مفاوضات بين مصر وسوريا أدت الى توقيع ميثاق دفاع عسكرى مشترك بين الدولتين . ولقد وقع هذا الميثاق للدفاع العسكرى المشترك تطبيقا للبيان الصادر فى دمشق فى ٢/٣ نتيجة للزيارة التى قام بها وفد مصرى برياسة صلاح سالم كما ذكرنا سابقا . ورفض البيان المذكور انضمام البلدين الى الحلف العراقى التركى وحث فى نفس الوقت على اقامة منظمة للدفاع المشترك واقامة تعاون اقتصادى عربى مشترك .

تتابعت المفاوضات فى شهرى سبتمبر واكتوبر من عام ١٩٥٥ ، حتى انتهت فى ٢٢ من أكتوبر الى عقد اتفاق مشترك يقضى بتقوية وتوثيق التعاون العسكرى حرصا على استقلال الدولتين وسلامتهما .[١]

وذكرت فى مقدمة البيان أن الحكومتين المصرية والسورية توطيدا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وتوكيدا لاخلاصهما لهذه المبادئ ، ورغبة منهما فى زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكرى حرصا على استقلالهما ومحافظة على سلامتهما واستقلالهما وتحقيقا لأمانيهما فى الدفاع المشترك عن كيانهما وصيانة للأمن والسلام وفقا لمبادئ جامعة الدول العربية وميثاق الامم المتحدة ، بناء لكل ذلك فقد أقامت الدولتان المتعاقدتان

---

(١) نشر نص ميثاق الدفاع المشترك فى جريدة (الاهرام) بتاريخ ١٠/١١/١٩٥٥

انظر : Ghali : " Middle Eastern Security Pacts ", (Revue Egyptienne De Droit Internationale , V. 13, 1957) P. 31.

وكذلك : Seale : OP. Cit. P. 252-255 .

ميثاقا عسكريــــا للدفاع المشترك فيما بينهمـــا (١) ٠

---

(١) واهم ما جاء فيه من نصوص ما يلى :

" واعمالا لما نصت عليه الفقرة الاولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الـدول العربية قد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية " هذا والجدير بالذكر ان نـص الفقرة المشار اليها هو التالى : " لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فــى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق اتخاذ ما تشاء لتحقيق هــذه الاغراض " ٠

* وأهم مواد ميثاق الدفاع المشترك هى :

مادة ١ : تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الامن والسلام واستقرارهما وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية ٠

مادة ٢ : تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على اية دولة منهمـــا او قواتهما اعتداء عليهما ، ولذلك فانهما عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما الى معونة الدولة المعتدى عليها وبـأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الامن والسلام الى نصابهما ٠ وتطبيقــــا لاحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة العربية ومجلس الامـن بوقوع الاعتداء وبما اتخذ بصدده من تدابير واجراءات ٠

" وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بأن لا تعقد اى منهما صلحا منفردا مــع المعتدى او اى اتفاق معه دون موافقة الدولة الاخرى ٠ "

هذا والجدير بالذكر ان نص الفقرة الاولى من المادة السادسة من ميثاق الجامعـة العربية هو التالى : " اذا وقع اعتداء على دولة من أعضاء الجامعة او خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها او المهددة بالاعتداء ، ان تطلب دعوة المجلـــس للانعقاد فورا " ٠ اما المادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة فتنص على ما يلى :

" ليس فى هذا الميثاق ما يضعف او ينتقص الحق الطبيعى للدول فــرادى او جماعات ، فى الدفاع عن أنفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على احد أعضاء " الامم المتحدة " وذلك الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامـن الدولى ، والتدابير التى اتخذها الاعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفـس تبلغ الى مجلس الأمن فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأى حال فيما للمجلــس — بمقتضى سلطته ومسئولياته المستمدة من احكام هذا الميثاق — من الحق فى ان يتخذ فى اى وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الاعمال لحفظ السلم والامن الدولــى او اعادته الى نصابه "

مادة ٥ : تنفيذا لاغراض هذه الاتفاقية قررت الدولتان المتعاقدتان على انشاء — الاجهزة التالية : مجلس أعلى ٠ مجلس حربى ٠ قيادة مشتركة ٠

مادة ٦ : يتكون المجلس الاعلى من وزير الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتــين المتعاقدتين وهو المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة الذى يتلقـــى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الاعلــى بتعيين القائد العام وتنحيتـــه " ٠

وبعد اتفاقية الدفاع المشترك ، قامت مفاوضات بين مصر وسوريا والاردن انتهت الى توقيع اتفاقية عسكرية ثلاثية بتاريخ ٢٣ أكتوبر عام ١٩٥٦ . وكان الهدف من هذه الاتفاقية " توحيد وسائل الدفاع فى الجبهة العربية " .

وتلا توقيع ميثاق الدفاع المشترك اتفاقية بين مصر وسوريا لتوحيد قيادة الجيشين فى البلدين . وأهم ما جاء فى هذه الاتفاقية البنود التالية :

١- توحيد الجيشين المصرى والسورى فى التسليح والتدريب وفى مواجهة اى خطر طارئ .

٢- ارسال الضباط والخبراء المصريين وعلى وجه السرعة الى سوريا ، للاسراع فى تدريب القوات السورية على الاسلحة المصرية .

٣- انفاذ الامدادات العسكرية من القوات المصرية الضاربة لتعزيز المقدرة الدفاعية للجيش السورى فى معركة التهديدات الموجهة الى سوريا والممثلة فى الحشود التركية والصهيونية .

وتنفيذا لهذا الاتفاق كانت القوات المصرية فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٥٧ قد رابطت فى شمال سوريا على الحدود التركية وفى الجنوب على الحدود الاسرائيلية (١) .

والجدير بالذكر انه بالاضافة الى ميثاق الدفاع العسكرى المشترك وقع اتفاق اقتصادى بين مصر وسوريا بتاريخ ٢٩ يناير عام ١٩٥٦ جاء فى مادته الاولى ما يلى :

" يبذل كل من الطرفين المتعاقدين ما فى وسعه للوصول بالعلاقات التجارية بين بلديهما الى أقصى حد مستطاع وفقا لاحكام هذا الاتفاق وفى حدود النظم الاقتصادية القائمة فى كلا البلدين " .

وجاء بعد الاتفاق الاقتصادى المذكور ، اتفاقية للوحدة الاقتصادية بين الجمهورية المصرية والجمهورية السورية ، جاء فى مادتها الأولى : " تقوم بين مصر وسوريا وحدة اقتصادية كاملة ... " . وهذه الوحدة الاقتصادية تضمن للدولتين ولرعاياهما المساواة الكاملة فيما بينهما ، كذلك نصت على حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الأموال وحرية تبادل المنتجات الوطنية والأجنبية وحرية العمل والاقامة ...... الخ (٢) .

---

(١) د. جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) تمت اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين مصر وسوريا فى أواخر سبتمبر عام ١٩٥٧ . وأهم ما جاء فى الاتفاقية :

م ١ : تقوم بين مصر وسوريا وحدة اقتصادية كاملة .

١- حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الأموال .

٢- حرية تبادل المنتجات الوطنية والاجنبية

=

=

٣- حرية الاقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى .
٤- حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والمرانئ والمطارات المدنية .
٥- حقوق التملك والايصاء والارث .

٨ م٢ : للوصول الى تحقيق الوحدة المبينة فى المادة السابقة . يعمل الطرفان المتعاقدان على ما يلى :

١- جعل بلديهما منطقة جمركية تخضع لادارة موحدة وعلى توحيد التعريفة والتشريع والانظمة الجمركية المطبقة فى كل منهما .
٢- توحيد سياسة الاستيراد والتصدير والانظمة المتعلقة بها .
٣- تنسيق سياسة النقل .
٤- عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الاخرى بصورة مشتركة او التشاور فيها .
٥- تنسيق السياسة المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية وتوحيد التشريع الاقتصادى بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلدين المتعاقدين فى الزراعة او فى الصناعة او فى التجارة والمهن شروطا متكافئة .
٦- تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى .
٧- تنسيق تشريع الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية وسائر الضرائب وسائر الرسوم الاخرى المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة .

م٣ : تنشأ هيئة تدعى " لجنة الوحدة الاقتصادية المصرية - السورية " .

م٤ : الهيئة تتكون من عشرة أعضاء لكل جانب ٥ .... الخ ...

راجع بهذا الخصوص (الاهرام الاقتصادى) عدد سبتمبر - اكتوبر ١٩٥٧

oooooooooooooooooooooooo

الباب الأول

أسباب دعوة سوريا للوحدة

تقسيم : ينقسم القسم الأول الى فصلين ، أولهما متعلق بالأسباب الخارجية ، الدولية والعربية والتى كان لها تأثيرا كبيرا على سوريا فى طلبها الوحدة والتعجيل بتحقيقها . أما الفصل الثانى فيتعلق بالظروف الداخلية التى كانت تأخذ مجراها الخطير فى الحياة السورية . واذا كانت الاسباب الخارجية تعتبر بمثابة عوامل سلبية قد دفعت سوريا الى الوحدة أمام التهديدات بالغزو أو الانقلابات المؤيدة من الغرب ، فان الأسباب الداخلية لسوريا تتلخص فى الوضع الحزبى والطبقى ، ويضاف اليهما الدور الكبير الذى لعبه الجيش السورى فى الحياة الداخلية .

البـــــاب الأولـــ

تقديـــــم :

بعد حرب السويس فى عام ١٩٥٦ بدأت الانظار توجه الى سوريا لعلهـــا تخضع للغرب بعد ان صمدت مصر سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وتركزت منـــذ ذلك التاريخ عوامل عدة فى واقع الحياة الداخلية لسوريا متفاعلة ومنفعلة مع وضد الاحـــداث الخارجية ان جاءت من المنطقة العربية او من تفاعلات السياسة الدولية والحرب البـاردة التى كانت على أشدها ما بين المعسكرين الشيوعى والرأسمالى .

وما يهمنا بحثه فى القسم الاول من الرسالة هى تلك العوامل ، او الاسبـــاب ، التى تدخلت بشكل مباشر وعلنى لتجعل سوريا تطلب الوحدة مع مصر كمخرج لا بديل عنه ان ارادت الأمة العربية أن لا تسقط سوريا بيد الشيوعية او الرأسمالية .

ولقد كان من أهم الاحداث التى ظهرت فى خمسينيات هذا القرن فى منطقـــة الشرق الاوسط هى التاليـة :

١ـ التصريح الثلاثى عام ١٩٥٠ بضمان حدود اسرائيل من قبل الدول الغربية الكبرى.(١)

٢ـ منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط عام ١٩٥١ .

٣ـ حلف بغـداد ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ .

٤ـ العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ .

٥ـ مشروع أو مبدأ الرئيس الامريكى أيزنهاور ١٩٥٧ .

ويبحث الفصل الاول من هذا القسم العوامل الخارجية التى أدت الى الوحـــدة بين مصر وسوريا والتعجيل بقيامها . ان التصريح الثلاثى ومنظمة الدفاع عن الشـــرق الاوسط وحرب السويس وان لم تكن كلها أسباب مباشرة للوحدة الا أن حلف بغداد ومشروع ايزنهاور هما من الاسباب المباشرة التى دعت سوريا الى طلب الوحدة الفورية مع مصـــر . وكان لهذا الارتباط ما بين الحلف والمشروع من ناحية وطلب الوحدة من ناحية ثانيـــة أسباب عديدة ، أهمها ما ارتبط بضغط الحلف والمشروع على السياسة الخارجية والداخلية لسوريا وخاصة ما يتعلق بحلف بغداد ومحاولة العراق جر سوريا اليه ولو عن طريـــق انقـلاب دموى يحدث فى دمشق . كذلك ارتبط بمشروع ايزنهاور ما سمى آنذاك "الازمـــة السورية" حيث ادعت الولايات المتحدة ان سوريا سقطت بيد الشيوعية الدولية وما علـى الدول الغربية والمحيطة بسوريا الا الهجوم عليها لتخليصها مما هى واقعة فيه .

لم تكن منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وحلف بغداد ومشروع أيزنهـــاور

---

(١) وهذه الدول هى : الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وفرنسا .

سوى محاولات ذات هدف واحد بأسماء مختلفة تعمل لربط المنطقة العربية في المشرق بعجلة السياسة الغربية وحتى تكتمل الصورة كما بدت في العقد السادس من هذا القرن لا بد من تسجيل كيفية اقتراح مشروع منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وذلك كمقدمة لا غنى عنها لفهم تطورات قيام وأهداف حلف بغداد ومشروع ايزنهاور وتأثيرهما على سوريا في طلبها الوحدة مع مصر في عام ١٩٥٨ .

بدأت سياسة الاحلاف الغربية بعد الحرب العالمية الثانية بانشاء حلف شمالي الاطلسي عام ١٩٤٩ . وسارت الدول الغربية على هذه السياسة فيما بعد قاصدة ان تحيط الاتحاد السوفييتي ودول شرقي اوروبا الشيوعية بسياج عسكري من كل جانب . ومن الطبيعي ان توضع منطقة الشرق الاوسط ، بما فيها الدول العربية ، ضمن الاستراتيجية الغربية وصولا الى احكام السياج العسكري من حول الاتحاد السوفييتي والكتلة الشيوعية .

واول بادرة صدرت من واضعي سياسة الاحلاف كانت عبارة عن اقتراح لاقامة منظمة دفاعية تشمل دول المنطقة وسميت " منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط " . وكان الاقتراح مشتركا من الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وفرنسا ويهدف الى تأسيس سياج من القوى المؤيدة للغرب ضد المعسكر الشرقي على منوال ما حدث في اوربا الغربية[١] . وهذا هو الهدف الاول من اقتراح هذه المنظمة . وكان من المقرر أيضا ان يكون هذا العرض في البداية طعما لمصر ، لانها متى دخلت في معاهدة جديدة مع بريطانيا فمن الممكن ان تعوض هذه الجلاء عن قناة السويس اذا حصل في المستقبل . خاصة وان بوادر الحرب الفدائية ضد قوات الاحتلال البريطانية في قناة السويس قد بدأت تشتد في عام ١٩٥١ . على ان اقتراح اقامة هذه المنظمة لاقى معارضة شديدة من مصر ومن بعض الدول العربية ، وبدأت هذه الدول ترى في مثل هذه المعاهدة خلق دول لا تعدو كونها دمى بالقياس الى الغرب[٢] .

وما ان بدأت الاسئلة والمناقشات تثور بخصوص الاهداف والمرامي الحقيقية لهذا المشروع المقترح ، وبعد رفض كل من مصر وسوريا ، جاء وزير خارجية الولايات المتحدة ـ جون فوستر دالاس ـ في صيف عام ١٩٥٣ وزار بعض دول المنطقة . ولما عاد وزير الخارجية الامريكية من رحلة التحقيق هذه كان تقريره عن فرص نجاح اقامة دفاع

---

(١) Campell, John. "Depence of the Middle East", (Harper & Brother, New York, 1960) P. 40.

(٢) غساي ونست ، " ازمة الشرق الاوسط " (ترجمة الراصد العربي ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٥٧) ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

مشترك اقليمى فى الشرق الاوسط بعيـــدا عن التفـــاؤل [(١)] ٠

وانتهى الامر بهذا الفشل للمشروع المقترح ولم تتجدد الدعوة لاقامة احلاف فـــى المنطقة الا فى ربيع عام ١٩٥٤ حيث انتهت الى عقد اتفاق دفاعى بين أنقرة وكراتشـى قدر له فيما بعد ان يكون حجر الزاوية فى الحزام الشمالى ، وهو ما سمى عـــام ١٩٥٥ بحلف بغـــداد ٠

وعند ذاك بدأت الجماهير لأول مرة تعى مضار أمثال هذه المنظمة ضـــد الاقطار العربية ٠ وما لبث ان سقطت كل تلك الجهود وساعدت فى تحريك المشاعر ضـد الغرب داخل سوريا بشكل لم يسبق له مثيل ، وكذلك فعلت فى بقية الدول العربية ٠ ولـم تنته خطة انشاء هذه المنظمة الى اية نتيجة ايجابية عندما رفضتها مصر فى عـــام ١٩٥١ [(٢)] ، ذلك انها اقترحت ضم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا ومصر ٠ وبعد انضمـام مصر اليها يصبح دخول كل من العراق وسوريا تحصيـــلا حاصـــلا [(٣)] ٠

على ان تلك العوامل الخارجية لم تكن وحدها هى التى دفعت سوريا الى التعجيل بطلب الوحدة الفورية ، بل يمكن القول انه كان لتلك العوامل انعكاساتها على الحيـــاة السياسية الداخلية بالقدر الذى كانت تلك العوامل الداخلية تعكس نفسها فيه على الخارج وخاصة على دول المنطقة المحيطة بسوريا ٠ فتعدد الاحزاب السورية والاقطاع والعشائريـة والرأسمالية والبورجوازية والفئـــة العسكرية كلها كانت مجموعات متمايزة ومتناقضة ومتنافـرة ومتقاتلة فى بعض الاحيان ٠ ولقد كان اى حدث داخلى يعكس نفسه على الدول الخارجيـة التى منها المؤيد لهذا الحدث ومنها المعارض له ٠ وكذلك الحال بالنسبة لاى حـدث خارجى اذا كان يجد انعكاساته وصداه فى الداخل ان لدى الاحزاب والطبقـــــات او العسكريـــة السوريـــة ٠

ولقد عاشت سوريا قبل الوحدة بعامين واقعا مؤلما ومحزنا ٠ ولم يعد أمامهـــا الا الاتجاه نحو القاهرة ٠ وكانت الوحدة ٠٠ خلاصا من ذلك الواقع بغض النظر عن كونها مطلبـا جماهيريا أثبت صدق الشعب السورى واخلاصه وتضحيته فى سبيله [(٤)] ٠

والفصل الثانى من هذا القسم يتناول العوامل او الاسباب الداخلية التى دعـت سوريا الى طلب الوحدة ٠ وهنا نتناول بالبحث الاحزاب السورية والطبقة البورجوازية والعسكرية ٠

---

(١) Campell; Op.Cit. P 42

(٢) Ibid P. 43

(٣) Kerr, M.: The Arab Cold War, 1958-1964", Oxford University Press, Oxford, 1965) P. 5

(٤) محمد حسنين هيكل : " ما الذى جرى فى سوريا " (الدار القومية ، القاهـــرة ، ١٩٦٢) ص٢٢ ٠

الفصـــــل الأول

الأسباب الخارجيـــة التى أدت الى الوحـــدة

المبحث الأول : حـــلف بغـــداد

اولا : كســـر احتكار الســـلاح

ثانيا : ضغط الحلف على سوريـــا

المبحث الثانى : مشـــروع أيزنهـــاور

اولا : مؤتمـــر أنقـــرة عام ١٩٥٧

ثانيا : " الأزمـــة السوريـــة "

المبحـــــث الأول

حـــلف بغـداد

جاءت سياسة الاحلاف فى المنطقة نتيجة لشعور الغرب الاستعمارى بأن قيام اسرائيل فى هذه المنطقة المتأججة بالروح الثورية لم يعد كافيا لتحقيق الاهـــداف التقليدية للاستعمار · كما أنها جاءت تحصيلا واقعيا لبروز دور الولايات المتحـــدة الامريكية فى توجيه سياسة المنطقة الى جانب بريطانيا ، وتصارعا معها فى دولها أيضـا (١) ·
وكان حلف بغداد الذى تأكد وجوده عام ١٩٥٤ تحت هيمنة بريطانيا ، ولكنه ما لبـث أن سيطرت عليه الولايات المتحدة الامريكيـة (٢) ·

اعتمد حلف بغداد على عاملين من عوامل الواقع الموجود فى العالم العربـــى ، اولهما وجود فئات حاكمة تتمركز فى بعض الدول العربية ولها مصالح ترتبط بشكل مباشر مع الاستعمار · وثانيهما هو وجود الاحزاب المحافظة والمستعدة للتعاون مع الغـــرب الاستعمارى بحكم تركيبها الطبقى البورجوازى من جهة ، وارتباطاتها الاستعمارية منـذ أيام الاستعمار الفرنسى ـ البريطانى من جهة ثانية · ولكن الحلف اكتشف عاملا آخر فـى سبيل ان يوجد له قاعدة شعبية الى جانب قواعده الحكومية ؛ وهى الجماعات الدينيـة الاسلامية التى كانت تحاول ان تتحول بالتدريج الى حزب سياسى يريد ان يستقل عـــن الاحزاب البورجوازية التقليدية دون ان يتخلى عن دعمها شعبيا وفى الاوساط الجماهيرية غير الواعية التى لم يدخل اليها مد التوعية الثورية بمضمونها العربى التقدمى (٣) ·

تلك كانت اسباب قيام حلف بغداد ، اما الخطوات التى اتخذت لابـــرازه الى الوجود فيمكن تلخيصهـــا بالتالى ؛

فى ٢٤ فبراير عام ١٩٥٤ صدر بيان تركى ـ باكستانى أعلن اتفاق الدولتين على دراســة وسائل التعاون السياسى والعسكـــرى (٤) ·

---

(١) انظر دور بريطانيا الذى اصبح فى عداد التاريخ حيث حل مكانه فى المنطقة النفوذ الامريكى

بعد تغيير الاستراتيجية البريطانية فى الشرق الاوسط تعاظم نفوذ الرئيـــس عبد الناصر · انظر ؛

(٢) سنرى فى نهاية هذا الفصل الصراع العنيف على النفوذ فى منطقة الشرق الاوســط وتنافس الدول الاستعمارية فيما بينها على مراكز النفوذ وكيف حلت الولايات المتحدة مكان كل من بريطانيا وفرنسا ·

(٣) مطاع صفدى ؛ مرجع سابق ، ص ٣٥٢ ·

(٤) لمزيد من التفاصيـل عن هذا الاتفاق انظر ؛ Campell: Op. Cit P.51

وفى ٢٢ يناير عام ١٩٥٥ صدر بلاغ عراقى — تركى جاء فيه :

" أ — دارت مباحثات بين الطرفين حول ايجاد تعاون بتأمين استقرار منطقة الشرق الاوسط ، وقررت الدولتان عقد اتفاق يرمى الى تحقيق توسيع التعاون المذكور قريبا .

" ب — سوف يحتوى الاتفاق على التعهد بالتعاون لصد اى اعتداء قد يقع عليهما من داخل او خارج المنطقة .

" حـ — ومن الضرورى والمفيد ان تنضم الى هذا الاتفاق دول غيرهما تؤمن بهذه الاهداف وتعمل لها بحكم موقعها الجغرافى ".(١)

وفى ٢٤ فبراير عام ١٩٥٥ تم توقيع حلف بغداد بين تركيا والعراق وانضمت اليه باكستان وايران وبريطانيا ، وتكون المجلس الدائم للحلف فى بغداد وانضم اليه ممثلون عن الولايات المتحدة بصفة مراقبين . وما لبثت الولايات المتحدة ان اشتركت فى نشاط ثلاث لجان من الحلف وهى : اللجنة الاقتصادية واللجنة العسكرية ولجنة مكافحة التسلل الشيوعى والمبادئ الهدامة .

ما يهمنا من حلف بغداد هو تأثيره المباشر على دفع مصر وسوريا الى الوحدة ، وقبلها التقارب فيما بينهما لمجابهة الحلف وأنصاره فى المنطقة .

أشاع الغرب بأن الزعماء المصريين قد استاءوا من الاقتراح الذى قدم اليهم ، وهو انهم سيلعبون دورا ثانويا وفق توجيهات تركيا فى المنظمة الدفاعية الغربية المقترحة، وادعى بأنهم كانوا خليقين بقبول الاشتراك فى المنظمة لو اعطى لهم الدور الاول بدلا من تركيا او العراق ؟! ان مثل هذا الرأى يضرب عرض الحائط بالعداء المستحكم فى العالم العربى نحو اى حلف مع الغرب.(٢) ان الحياد الايجابى لم يولد عام ١٩٥٤ ،(٣) فقد كان هذا موقف " الانتلجنسيا " (المثقفون) العربية وموقف الضباط وموقف الرأى العام على العموم أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها بكثير ، لم يكن ذلك العداء نتيجة الغرب تنظيم المنطقة انما كان شيئا وجد ما يعبر عنه فى معارضة حلف بغداد.(٤)

---

(١) جاءت الفقرات السابقة فى كتاب: دراسات فى المجتمع العربى ، مجموعة من اساتذة كليتى الاداب والاقتصاد ، جامعة القاهرة (دار النهضة العربية ١٩٦١ — ١٩٦٢) الطبعة الثانية ص ٣٢٠ القسم الثانى بقلم د . عبد الملك عودة .

(٢) وولتر لاكور: مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) بيير روندو : مستقبل الشرق الاوسط (ترجمة نجدة هاجر، المكتب التجارى ، بيروت ١٩٥٩) ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٤) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٢٢ . ويضيف لما سبق قائلا : " ان للهند أسباب اوجه تدعوها الى الاستياء والشعور بالخطر من حلف بغداد ، لان باكستان جارتها المعادية، تتقوى عصريا من هذا الحلف ، ومع ذلك فلم تتدهور العلاقات بين الهند والغرب كما تدهورت بين الغرب من جهة ومصر وسورية من جهة ثانية . كما ان عدم وجود ما يشبه المشكلة الاسرائيلية لم يؤد الى تقارب الهند والاتحاد السوفييتى كما ادى الى التقارب بين موسكو والقاهرة ودمشق " .

واستمرارا لموقف مصر من منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط [١] ، وبناء لاعـــلان الحكومة المصرية رأيها صريحا بالنسبة للاحلاف على اختلاف مصادرها ، فانها لم تقف عند حد المعارضة بالنسبة لقضية حلف بغداد وانما خطت خطوتها التالية فى تحقيق السياسة التى خطتها واعلنتها بالنسبة للبلاد العربية ، وهو ان الدفاع عن هذه المنطقة انمـا هو واجب الدول العربيـة وحدها [٢].

اما موقف سوريا من الحلف ، وموقف الحلف من سوريا ، فهناك مذكرة من السفير الامريكى فى دمشق ، كانت قد قدمت فى شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٩٥٥ الى الحكومـة السورية ، تضمنت رأى الحكومة الامريكية فى الحلف وما تستطيعه بعض الدول العربية ، ومن ضمنها سوريـا بالطبع .

ونص المذكـرة التالى :

أ ـ ان وزارة الخارجية الامريكية رحبت علنا بالاتفاق العراقى ـ التركى ، كخطـوة انشائية لمنظمة دفاع حقيقية ، يمكن مع الوقت ان تضم الباكستان وايران ـ وبعض الدول العربيـة .

ب ـ بعد تطور هذه المنظمة على غرار الاتفاق العراقى ـ التركى ، ترى حكومـة الولايات المتحدة مقدما احتمالا لان تستطيع الدول العربية الواقعة " خلـف المنظمة " اى وراء الخط الشمالى ، القيام بدور مفيد فى المنظمة الدفاعيـة ، وفى هذه الظروف اذا ارادت احدى الدول العربية الواقعة خلف المنظمـة ان تنضم الى هذه المنظمة الدفاعية ، فان الولايات المتحدة مستعدة للنظر فـى تقويـة دفاع تلك الدول العربيـة .

حـ ـ ان نمو الترتيبات الدفاعية وكذلك تحسين العلاقات العربية ـ الاسرائيليـة ، امر ضرورى للمساهمة الفعالة من قبل الولايات المتحدة الامريكية فى الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط ، وان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تبدد مواردهـا على قوى غير متجانسة داخل المنطقة ولا على سباق فى التسلح بين العـرب واسرائيـل [٣].

يتضح من هذه المذكرة ارتباط حلف بغداد بأمرين : اولهما ان اى سـلاح

---

(١) Cremeans: " The Arab and the World" (Fredrick New York, 1963) P. 140

(٢) الوثيقة الثانية من مطالعة النائب العام فى (حقيقة المؤامرة على سوريا والوطن العربى) ص ٣٢ . ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن موقف الحكومتين المصرية والسورية مـن حلف بغداد ، راجع : Campell : OP. cit. P. 54

(٣) نضال البعث ، الجزء الرابع ص ٢٥ ـ ٢٦ .

لا يقدم للدول العربية الا اذا انضمت الى الحلف ، وثانيهما ان المساعدة الامريكية للدول العربية لا يمكن ان تكون الا على اساس الصلح مع اسرائيل . وبمعنى آخر ، ان المساعدة الاقتصادية والمالية تساوى الصلح مع اسرائيل وان بطريق غير مباشر او بتحسين العلاقات معها على أبسط الفروض (البند حـ) .

كان من أهم أهداف الحلف غير المباشرة تطويق سوريا وعزل مصر عن المشرق العربى . وبتحقيق هذا الهدف يقضى على الحياد العربى . " وكان حلف بغداد الذى تحقق به ادخال دولة عربية واحدة فى الحلف هى العراق ، وتحقق بالتالى شلها عربيا وجعلها نقطة ارتكاز لدفاع الاستعمار عن مصالحه ونفوذه ، هو الاسلوب الذى اضطر الاستعمار ان يأخذ به بعد ان فشل فى ان يزج فى أحلافه منذ البداية دولا عربية اخرى كمصر وسوريا بصفة خاصة .

" وسار الاستعمار فى محاولاته لتوسيع الحلف ، عن طريق ضم دول اخرى له كالاردن أملا أن يتبعها لبنان لتطوق سوريا فتعزل مصر ، وبذلك يقضى على الحياد الايجابى كاتجاه تبنته عدد من الدول العربية " (١)

لقد كان شعب سوريا فى تلك الحقبة من الزمان مطوقا بأحزمة الملكيات المتعاونة مع الغرب . كما كان محوفا فى بعض اجزائه من الداخل بمؤسسات البورجوازية واليمينية من الخارج التى كانت تستثمر جميع مصالحه ، من تأخر وضعف اقتصادى وعصبيات طائفية واقليمية فى سبيل ان تفتت وحدة النضال الشعبى وتحدد من جبهاته الداخلية المتعارضة حتى يتم الاجهاز عليه وهو فى أوج قوته وجبروته . وعلى ذلك فقد عملت الدول الاستعمارية جهدها ان تدخل سوريا لحلف بغداد هادفة من ذلك ، كما قلنا ، الى عزل مصر ، وكان القول الذى يتردد فى تلك الآونة يقول : اذا كان للحلف ان يصبح منافسا " لناصر " فلا بد له ان يجذب أقطارا عربية أخرى . وبالفعل ما ان تم وجود هذا الحلف حتى بدأ التنافس بين الحلف ومصر على جر سوريا والاردن ـ مع اختلاف أهداف ومقاصد كل منهما .

ولقد كانت هذه المرحلة مريرة من النزاع بين الاقطار العربية ، ولم يدرك الغرب أهمية هذا النزاع حينذاك ، وكان العراق فى هذا النزاع متعرضا لمساوئ كثيرة ، فهو فى اتفاقه مع بريطانيا وتركيا يكون قد اتفق مع الاستعمار الذى احتل الوطن العربى لمدة أربعة قرون . وكان هناك بعض من سعى الى لم شمل العرب فى خلق وحدة بين العراق والاردن وسوريا . ولكن هؤلاء أنفسهم رأوا فى الحلف عقبة كأداء فاضطروا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ ـ ٥٢ ، من بيان لحزب البعث بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦

ان يهاجموا الحلف • وكان مصير سوريا فى هذه المناورات ذى أهمية خاصة • فهى تمتاز بروح عربية قومية شديدة مع ان الحكومات السورية المتعاقبة لم تكن مستقرة • وبالنتيجة خسر حلفاء بغداد معركة سوريا مع ان تركيا والعراق حاولتا مرات عديدة القيام بتهديدات عسكرية على الحدود السورية • وطالما ان بغداد هى التى خسرت معركة سوريا فان القاهرة تكون الرابحة • وبالفعل فان مصر نجحت فى ان تجتذب سوريا الى جانبها وكذلك الحال مع الاردن ولو الى فترة بسيطة من الزمان •

وليس من نافلة القول ان حلف بغداد كان عاملا جديدا ومربكا للاستعمار ولاعوانه فى المنطقة العربية • وكان للحلف تاريخ متميز انبثق فى اوله من فكرة دالاس عندما أدرك ان مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط مات وليدا • وسبب موته وعدم قبوله هو ان هذا المشروع حاول جمع أقطار الشرق الاوسط فى اتحاد منفرد موجه ضد روسيا • ولما كانت بعض هذه الاقطار بعيدة عن التهديد الروسى فانها لم تشعر بالخطر الذى تواجهه ، وكانت مصر مثلا لذلك •(١)

ولم يمض طويل وقت حتى اصبحت بريطانيا تتحدث عن حلف بغداد وكأنه حجر الزاوية السياسية فى سياستها الجديدة فى الشرق الاوسط • وهذا ما جعل اللورد (سترانغ) رئيس الدائرة الخارجية البريطانية يتحدث عن الحلف بأنه تنظيم رائع ، والمعاهدة فى حد ذاتها توكيد على عزم الدول الغربية الاحتفاظ بمراكزها فى الشرق الاوسط(٢) • وفى نفس الوقت هذا ما جعل عزم روسيا يشتد للقضاء على هذه المراكز(٣) ولذلك يصح لنا ان نقول ان حلف بغداد قد عجل فى تقدم روسيا فى مجالات الشرق الاوسط ، وقد ازدادت قدرتها وتشجعت اكثر لان الحلف أغضب الرأى العام العربى ولان العرب رأوا فيه محاولة غربية لاستخدام الاقطار العربية فى حربهم ضد الروس • وثانى نتيجة لظهور حلف بغداد هى التقاء مباشر بين السياسة الخارجية السوفييتية من جهة والسياسة الخارجية فى كل من مصر وسوريا من جهة ثانية • فالاتحاد السوفييتى يهاجم الاحلاف الغربية اينما كانت ، ومصر وسوريا اعلنتا ان الدفاع عن المنطقة من اختصاص شعوب المنطقة ورفضتا الحلف وبدأتا بالهجوم عليه من القاهرة ودمشق بشدة متزايدة • ولم تقتصر ردة الفعل العربية الحدائية على مصر وسوريا بل تعدتهما الى معظم الشعوب العربية •

---

(١) غاى ونت ؛ مرجع سابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ •
(٢) المرجع السابق ص ٥٥

ولقد كان حلف بغداد عبارة عن تعويض لبريطانيا حيث تهدد نفوذها فى العراق بعد انتهاء معاهدة التحالف البريطانية ـ العراقية ، والتى كانت عملية داخلية فى اطار متعدد الجوانب . وفى نفس الوقت ، فالحلف فى هدف من أهدافه ، عبارة عن تعويض عن اتفاقية الجلاء التى وقعت بين مصر وبريطانيا ، والتى تنسحب بموجبها القوات البريطانية من قناة السويس[١] .

وبالنسبة للحكام العراقيين فلقد كانوا متشوقين لتجديد روابطهم مع بريطانيا ، ولكن فى نفس الوقت كانوا يواجهون صورة الانعزال داخل الجامعة العربية ، ويواجهون عداوة الرأى العام العربى وعداوة مصر وسوريا بشكل خاص . هذه العداوة التى ارادوا ان يبتعدوا عنها بعد ان استطاعت مصر بثورتها ان تستقطب الرأى العام العربى .

اما ردود الفعل الثورية التى قامت فى سوريا ضد حلف بغداد فهى اعطاء قوة دافعة للحياد وللمشاعر التى هى ضد الاسرة الهاشمية ، هذه المشاعر العدائية التى بدأت فى الحرب العالمية الاولى اثناء الثورة العربية ، ووجدت جذورها فى فشل الشريف حسين فى قيادة الثورة وانحرافه بها . ومحاولات جر سوريا الى حلف بغداد محاولات متعددة المظاهر ترتبت عليها العديد من الآثار فى منطقة الشرق الاوسط وفى العالم . ولقد أظهر حلف بغداد عجز بريطانيا الواضح عن مواجهة تصاعد حركة التحرر القومى ، هذا العجز الذى دفع بريطانيا ايضا الى ان تتلقف فكرة حلف بغداد وتقيم مع الامبريالية الامريكية حلفا يضم دولا واقعة تحت النفوذ الامريكى مضافا اليها عراق نورى السعيد . وتعليق ايدن على حلف بغداد وانشائه تعبير صادق عن هذه الحقيقة . فبعد ان كان الصوت البريطانى هو الوحيد المسموع فى المنطقة يرى ايدن ان حلف بغداد هو طوق النجاة للمصالح الاستعمارية ." ان انضمامنا الى الحلف قد عزز نفوذنا ورفع صوتنا فى منطقة الشرق الاوسط واخذ نفوذ حلف بغداد يثبت قدرته على تثبيت الوضع واستقراره"[٢]

قلنا ان العراق هو الدولة العربية الوحيدة التى ارتبطت رسميا بحلف بغداد واصبحت ركنا اساسيا من اركانه . وفى نفس الوقت اتخذ منها الاستعمار الانجلو ـ امريكى نقطة استناد وانطلاق فى اعمال الضغط الموجهة ضد الدول العربية الاخرى بشكل عام وضد سوريا بشكل خاص . وكانت مصر وسوريا مركزين اساسيين فى الهجوم المعاكس

---

(١) وقعت اتفاقية الجلاء المذكورة بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ .

(٢) Eden, C :Op. Cit. P. 328 _34°.

ويربط بين البيان الثلاثى الذى أصدرته بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وبين علاقة مصر باسرائيل وبين انشاء حلف بغداد . وكذلك انظر :

Campell , C:Op. Cit. P. 39.

الذى شنته قوى التحرر العربى ضد حلف بغداد ومشاريعه ٠ واستطاعت حركة التحـــرر العربى فى النهاية بفضل صمود القاهرة ودمشق ان تمنع ارتباط الدول العربية الاخرى رسميا بحلف بغداد ، وان لم تستطع منع بعض الحكام العرب من العطف والانحياز بشكل واضح وسافر الى جانب حلف بغداد ٠ وانقسم جزء من الشعب السورى يمثل الرأسماليـــة والاقطاع وقسم كبير من البورجوازية الكبيرة والمتوسطة عن القاعدة العامة للشعب الســـورى وهى ان هذا الشعب يتوحد داخليا كلما هدده خطر خارجى طارئ ٠ فلأول مرة تسفـر البورجوازية والرأسمالية والاقطاع فى سوريا عن وجوهها وتؤيد حلف بغداد ٠

ولم يكن هدف الاستعمار والعراق عن طريق كل المؤامرات ضد سوريا الا اضعاف القوى الثورية داخليا ، بخلق قوى ، ان لم تكن متساوية بقوتها الجماهيرية ، فعلى الاقل يمكنها ان تقف بوجهها حتى ولو بالارهاب والاغتيال والمؤامرات ٠ وفعلا فان المؤامرات التى شهدتها سوريا فى الاعوام السابقة على الوحدة كانت تهدف الى تفتيت الاتجاه الوطنى ثم تصفيته فى الداخل ٠ ولكن النضال الوطنى والتضامن الفعال بين القاهرة ودمشق استطاعا ان يحبطا المؤامرة الاستعمارية تلو الاخرى (١) ٠

يمكن من العرض السابق تلخيص الاهداف العامة لحلف بغداد بالتالى :

أ ـ فرض حصار على سوريا ٠

ب ـ عزل مصر عن المشرق العربى ٠

وبالنسبة لعزل مصر عن المشرق العربى هناك عدة اعتبارات تستدعى ذلك العزل أهمها :

١ ـ الثبات الذى يتمتع به الحكم فى مصر والتفاف الجماهير العربية حوله بعد اعلانـــه الحياد ومحاربة الاحلاف ٠

٢ ـ موقع مصر الجغرافى الذى يعكس أهميتها الاستراتيجيـــة ٠

٣ ـ لا توجد لمصر حدود مشتركة مع اقطار المشرق العربى واى اتصال بينهما سيكـــون على حساب اسرائيل ٠

٤ ـ قوة مصر البشرية والماديـــة ٠

وكل تلك الاعتبارات قد جعلت خطة الاستعمار تقوم على عزل مصر عن المشـــرق العربى لان نتيجة هذا العزل هى ان يؤدى اولا واخيرا الى اضعاف القوى الثوريـــــة المعادية للاستعمار فى سوريا ويخفف فعالية مقاومتها وتصديها للحلف ويمهد بالتالـــى لضرب الاتجاه المعادى للاستعمار والامبريالية فى الداخل ٠

---

(١) ياسين الحافظ : " حول بعض قضايا الثورة العربية " (دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٦٥) ص ١٧٨ ٠

على انه مع بداية عام ١٩٥٦ كان مشروع حلف بغداد قد سجل تقدما خطيرا . مهددا وحدة الامة العربية فشنت القاهرة ودمشق حملة عنيفة على تركيا والعراق والدول الغربية . وفي هذه الاثناء وقبلها ، قررت الحكومة السوفييتية أن تفعل شيئا لوقف تقدم حلف بغداد في ربيع عام ١٩٥٥ . فأصدرت وزارة الخارجية في ١٦ أبريل عام ١٩٥٥ بيانا رسميا جاء فيه ان الحالة العامة في الشرق الاوسط قد ازدادت خطورة في الاشهر الاخيرة نتيجة لمحاولة الدول الغربية جر الاقطار العربية الى الاحلاف العسكرية (١) وجاء البيان بشكل خاص على ذكر الضغط الذى تعرضت له سوريا ومصر من اجل الانضمام الى الاحلاف وأكد في نفس الوقت ان الاتحاد السوفييتي لن يقف مكتوف الايدى في وجه هذه المؤامرة الغربية وأمثالها ." ان هذا الموقف لا يحتاج الى تفسير لان الاتحاد السوفييتي خلافا للولايات المتحدة هو دولة مجاورة لاقطار الشرق الاوسط" (٢) .

وكما قلنا عن تأثير حلف بغداد على المجال الداخلي لسوريا فاننا نلاحظ انه منذ اعلن الحلف في عام ١٩٥٤ والنشاط الدبلوماسى الانجلو-امريكي يعمل ليل نهار لغرض سياسة الاحلاف على الاقطار العربية . ولقد استطاعت الدبلوماسية الغربية ان تكشف وجه حكام عمان عندما وافقوا على الانضمام للحلف . اما الدبلوماسية الامريكية فلم تجد مجالا في سوريا نتيجة لقوة التيار الشعبى التحررى وان كانت بعض الفئات في سوريا لم تتوان أو تتأخر في اظهار عطفها على السياسة الاستعمارية الجديدة . وحين تحقق اجتماع الرؤساء في القاهرة لبحث اتجاهات السياسة الدولية في المنطقة واتخاذ موقف موحد من الاحلاف العسكرية ذهب فارس الخورى رئيس وزراء سوريا آنذاك للمؤتمر ، وبدل ان يقف ضد الاحلاف العسكرية موقفا واضحا وصريحا وقف موقفا مشبوها وعاد ليؤكد قائلا بأن الحلف العراقى التركى اذا لم يكن به نفع فليس به ضرر على كل حال (٣) ، وكان أن سقطت وزارته نتيجة لهذا التصريح . وانتهت بذلك الحلقة الاولى من حلقات الضغط على السياسة العربية المتحررة في سوريا . واخذ المد الشعبى يشتد قوة واتساعا واشترك حزب البعث العربى الاشتراكى في الحكم على اساس الابتعاد عن الاحلاف واعلان الحياد واتباع سياسة عربية تحررية موحدة .

Campbell: Op. Cit. P232.

(١) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٤٤ . وانظر كذلك
ويتحدث هنا عن الحلف كحلقة في الاستراتيجية العسكرية الغربية ومن هنا جاء هجوم الاتحاد السوفييتي عليه .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) ياسين الحافظ ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

ونتج عن هذه السياسة :

اولا : البيان الثلاثى الذى وقعته مصر وسوريا والسعودية والذى ينص فى مقدمته على زيادة الوعى زيادة ملحوظة • كما نص على انتهاج سياسة غير منحازة ، والتخطيط لمقاومة الصهيونية •

ثانيا : فشل سياسة الاحلاف فى الاردن وتطهير الجيش الاردنى من جلوب وانصاره والاتفاقات العسكرية والاقتصادية التى تلت ذلك بين الاردن ومصر وسوريا والسعودية واليمن ، وأهم هذه الاتفاقيات اتفاقية التضامن العربى التى جعلت الاردن قادرا على الاستغناء عن المعونة البريطانية[1] •

ثالثا : عزل حكام بغداد عن الشعب وحصر السياسة الحلفية فى العراق ، وحشد القوى الجماهيرية لمقاومتها •

رابعا : أدى انتهاج السياسة الاستقلالية فى مصر وسوريا الى تحطيم طوق التوازن الذى فرضه الغرب على العرب للحد من قوتهم العسكرية وضمان تفوق اسرائيل عليهم ، ومكنهم من شراء الاسلحة السوفييتية الحديثة[2] •

وأهم ما ارتبط بحلف بغداد من أحداث كانت لها اكبر الاثار على العلاقات السورية المصرية والتقريب بينهما حدثان :

١ـ كسر احتكار السلاح واتجاه الدولتان الى الكتلة الشرقية •

٢ـ ضغط حلف بغداد على سوريا وجعلها تمد يدها اكثر الى مصر •

---

(١) تم فى ٢٠ اكتوبر عام ١٩٥٥ توقيع ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا ، وفى ٢٧ اكتوبر ١٩٥٥ وقعت مصر والسعودية اتفاقا عسكريا ثنائيا • وفى ٢١ ابريل عام ١٩٥٦ تم توقيع اتفاق عسكرى ثلاثى بين مصر والسعودية واليمن •

(٢) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٤٥ •
وكذلك : Campell: Op. Cit. P. 56.

اولا ـ كسر احتكار السلاح

تجدر الاشارة عند هذه النقطة من البحث الى صفقة الاسلحة التى قامت بها مصر مع الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشيوعية ، ونشير كذلك الى شراء سوريا للاسلحة الشيوعية . ذلك ان صفقة الاسلحة التى قامت بها مصر فى سبتمبر عام ١٩٥٥ اعتبرت فى حينها نقطة التحول العظمى فى الشرق الاوسط ، واعتبرت أيضا نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد . ولقد أكد الزعماء المصريون منذ البداية ان اتفاقية الاسلحة انما هى عملية تجارية محضة تستورد بموجبها مصر من الاتحاد السوفييتى الاسلحة والذخائر وليس المبادئ والافكار السياسية .(١)

هذه الحجج التى طرحها الزعماء المصريون هى بلا شك سليمة وصادقة ، فلم يكن الدافع الى صفقة الاسلحة خوف من الغرب او رجاء من الشرق بقدر ما كان الدافع اليها عمل ايجابى يستند الى النوايا الطيبة ويهدف الى نتائج ايجابية .

ثم هناك أسباب أخرى للصفقة تتعلق بالمنطقة العربية على وجه الخصوص . ان حلف بغداد وما قدمه لتركيا وايران والعراق من مساعدات عسكرية ضخمة ، وما اعطاه من ضمانات لاسرائيل ، يوجب ان تتقوى مصر عسكريا . ولكن يجب ان لا نعزى ان مصر قامت بصفقة الاسلحة بسبب وجود حلف بغداد فقط بل هناك اسباب أخرى عديدة لهذه العملية التجارية وفى مقدمتها العدوان السرائيل الماثل على الامة العربية .(٢)

مهما تكن اسباب تلك الصفقة ، فاننا فى هذا الخصوص لا يمكن ان نتعامى عن العوامل الحقيقية التى أدت الى تلك الصفقة ، ان العوامل التى لعبت دورها فى ذلك كانت التالية :

اولا : حلف بغداد .

ثانيا : الهجوم الاسرائيلى على قطاع غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ .

ثالثا : روح مؤتمر باندونج التى اقرت الحياد الايجابى ومبدأ التعامل على قدم المساواة مع الشرق او مع الغرب .(٣)

رابعا : احجام الغرب الدائم عن تسليح العرب الا لمن أيد احلافه ودخل فيها .

خامسا : بهدف اقامة جيش وطنى يستعمل احدث الاسلحة .

واجمال كل الاسباب السابقة قد ذكره الرئيس عبد الناصر حين قال : "واذا كان كسر احتكار السلاح ـ لاقامة الجيش الوطنى القوى ـ مشهدا من مشاهد المعركة

---

(١) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) Marlowe: Op. Cit. P . 92.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٢

الوطنية فى مصر ضد تحكم الاستعمار ، فلقد كان فى نفس الوقت ، مشهدا رائعا من مشاهد الهزيمة الساحقة التى لقيها حلف بغداد فى محاولته تطويق البلاد العربية ، كذلك كان فى نفس الوقت حماية لا بد منها للثورة الاجتماعية حتى لا تسقط ثمراتها ونتائجها كغنائم الحرب فى يد اسرائيل التى جعلها الاستعمار ترسانة للسلاح وسط بلادنا العزلاء "[1] .

وهكذا ، يمكن القول ان صفقة الاسلحة تلك قد ادخلت عنصرا جديدا الى ميدان الشرق الاوسط ، وكانت مقدمة تشجيعية لسوريا لان تطلب السلاح السوفييتى فيما بعد . ففى عام ١٩٥٦ تصادفت الازمة السورية الاولى ومؤامرة حلف بغداد والعراق عليها اثناء حرب السويس . وعندما ادلهم الافق فى سماء الشرق الاوسط ، وكانت هناك بوادر عديدة ودلائل كثيرة تشير الى ان الدول الغربية الاستعمارية ستقوم بعمل عسكرى ضد مصر نتيجة لتأميم قناة السويس ، فى تلك الاثناء غادر الرئيس شكرى القوتلى سوريا عشية العدوان على مصر متوجها الى الاتحاد السوفييتى فى زيارة رسمية . وبعد ايام صدر فى موسكو بلاغ مشترك يؤكد الصداقة السوفييتية السورية[2] ، والاهم من ذلك كان قرار الاتحاد السوفييتى تزويد سوريا بمزيد من الاسلحة . " وحملت البواخر السوفييتية طيلة شهر اكتوبر ونوفمبر شحنات عاجلة من الاسلحة الى ميناء اللاذقية ، بينما كانت الطائرات الروسية تحمل شحنات مماثلة الى المطارات السورية "[3] وفرضت فى ذلك الوقت ، الحكومة السورية ، حظرا على عمليات شحن السلاح تلك مما جعل الاهتمام العام فى الغرب يتركز بشكل أقوى على هذه العمليات . فتقولت الالسن فى الغرب وبعض الالسن فى حكومة نورى السعيد مرددة صارخة ان سوريا قد أصبحت قاعدة عسكرية سوفييتية وان الجو فى دمشق يشبه جو " عشية اندلاع الثورة " .

اما ما حدث فى تلك الاثناء فعلا هو ان السيادة الفعلية انتقلت الى قيادة الجيش السورى بالتعاون مع بعض الوزراء المدنيين[4] ، واعلنت حالة الطوارئ التى ظلت نافذة المفعول عدة أشهر . وفى تلك الاثناء صرح وزير الخارجية السورية السيد صلاح الدين البيطار فى ٢٩ نوفمبر بأن قضية شحنات الاسلحة الروسية الى سوريا ليست فى متناول كل انسان[5] .

---

(١) من خطابه فى المؤتمر العام للاتحاد القوى بتاريخ ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ .

(٢) د . جلال يحى : مرجع سابق ، ص ٦٧٢

(٣) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٧٠ _ ٢٧٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٧

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ _ ٢٧٨ .

وهنا تجدر الاشارة بالقول الى ان بعض المراقبين الغربيين قد بالغوا بالاهمية السياسية المباشرة لشحنات الاسلحة السوفييتية وضخموها كثيرا عن حجمها الحقيقى .

" وضخموها نظرا لان سوريا لا تجاور الاتحاد السوفييتى ، ونظرا لان الضباط السوفييت لم يحتلوا المناصب الرئيسية او الثانوية فى قوى الجيش والامن فى سوريا ، فلم يكن صحيحا ولا سيما التقول بان سوريا ستتحول وشيكا الى دولة تابعة للاتحاد السوفييتى (١) " .

ومن هنا بدأ الغرب يشيع بأن سوريا قد اصبحت شيوعية وانها مجال تجريبى وقاعدة انطلاق للاتحاد السوفييتى نحو بقية الدول العربية . وهى نفس النغمة التى سمعناها عن سوريا عام ١٩٥٤ عندما بدأت الدعايات الغربية تقول بأن سوريا قد عقدت اتفاقا مع الاتحاد السوفييتى فى ذلك العام للتزود بالسلاح (٢) .

" ان صفقة الاسلحة السوفييتية الى مصر ، ومن بعدها سوريا ، كانت ذروة التمرد العربى ضد الامبريالية فى تلك الفترة وتعبيرا جزئيا عن ذلك التمرد فى الوقت نفسه . ولم تأخذ صفقة الاسلحة السوفييتية لمصر ، وبعدها سوريا ، تلك الاهمية النضالية الفائقة التى اهتزت لها الدول الاستعمارية لو لم تلبس طابع التحدى للاستعمار ولو لم تأخذ مضمونها السياسى المعادى للاستعمار والامبريالية . ان المعنى العميق لهذه الصفقة ليس السلاح ، رغم اهميته البالغة ، بل لان هذه الصفقة كانت ، وبحق ، نقطة اللاعودة ضد مخططات الاستعمار – ولانها كانت تعبيرا عن سياسة حازمة معادية لكل محاولة ترمى الى ربط المشرق العربى بعجلة الامبرالية الانجلو – امريكية من ناحية واول محاولة جادة بالنسبة للاتحاد السوفييتى لدخول المياه الدافئة منذ زمن طويل من ناحية ثانية (٣) " .

ولا نبالغ اذا قلنا ان صفقة الاسلحة كانت اول هجوم معاكس على القوى الاستعمارية والامبرالية . هذا الهجوم الذى كانت له أبعاده الضخمة حيث انه خلق تحركا شعبيا لم تعرفه المنطقة من قبل . ولن يستطيع الانسان أن يقدر الاهمية السياسية لصفقة الاسلحة تمام التقدير الا اذا قرأ ما ورد فى مذكرات ايدن بخصوص هذه العملية . ولقد نشبت انطلاقا من تلك الصفقة وبسببها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) انظر تطور العلاقات السوفييتية السورية والهبات الاقتصادية والعسكرية السوفييتية لسوريا فى كتاب : Sealo :Op. Cit. P. 255.

(٣) وولتر لاكور : مرجع سابق ، وانظر فيه بيان وزارة الخارجية السوفييتية عن تدهور الحالة فى منطقة الشرق الاوسط بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٥٥ ، ص ٢٤٤ .

" في المشرق العربي حالة حرب سياسية من اكبر حالات الحرب الباردة التى شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية وامسكت التطورات برقاب بعضها الى ان انتهت الى حرب فعلية بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ " (١)

---

(١) ياسين الحافظ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ وما بعدها .

وانظر كذلك : Eden: Op. Cit . P. 259 .

ويتحدث هنا عن حصول مصر على السلاح ومضاعفات هذه العملية .
وكذلك الصفحات من ٥٠٧ الى ٥٢٠ ، حيث يتحدث عن السلاح السوفييتى لمصر والعدوان الثلاثى ، اما تأثير صفقة السلاح على الاستراتيجية الغربية فى مواجهة الاتحاد السوفييتى فانظر ليدل هارت : " نظرة جديدة الى الحرب " مرجع سابق ، ص ١٦٥ .
ويقرر هنا ان الهدف الاساسى من صفقة السلاح هو احتجاج الاتحاد السوفييتى على دخول ايران حلف بغداد واعطاء السلاح لمصر " بمثابة تطوير عملى تشتيتى يحدث الشلل فى مؤخرات هذا الحلف الحديث الذى يقف بمواجهة الشمال " .

ثانيا : ضغط حلف بغداد على سوريـــا

حتى نستكمل الصورة الكاملة لحلف بغداد بأبعادها الحقيقية وأهدافها الظاهرة والخفية ، نورد فى خلال الصفحات القادمة محاولة المؤامرة العراقية التى دعمها حلف بغداد ضد سوريا فى عام ١٩٥٦ .

لقد كان توقيت هذه المؤامرة هو نفس الوقت الذى يبدأ فيه العدوان الثلاثى على مصر . من هنا تأخذ هذه المؤامرة قيمتها العدوانية الحقة . ولم يكن التوقيت مجرد صدفة على الاطـــلاق . وان ما قام به الاستعمار من عدوان ثلاثى على مصـــر ومحاولة لقلب نظام الحكم فى سوريا انما هى حلقات من سلسلة واحدة ربطها الاستعمار ببعضها .. لتصبح ذات فروع متعددة تمتد لكافة انحاء الوطن العربى .

وحتى نعطى ملامح هذه المؤامرة ألوانها الحقيقية نورد باختصار هنا أطـــراف المنفذين لها وأعمالهم :

١ — فهناك ميدان اعداد المسلحين المدربين ويقوم به القوميون السوريون .

٢ — وهناك ميدان المال والسلاح ويقوم به العراقيون فيسلمونه بواسطة العقيد صفا (١) والقوميين السوريين .

٣ — وهناك الحملة السياسية ويقوم بها منير العجلانى (٢) بواسطة الكتلة النيابيـــة .. ونواة هذه الكتلة قد تكونت منه ومن فيضى الاتاسى ومن عدنان الاتاســـى وميخائيل اليان وفرزت المملـــوك (٣) .

٤ — وهناك دور امريكا ، وقد برز فى جلسة البرلمان السورى بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وعندما لم يمض على العدوان الثلاثى على مصر بضعة عشر يوما وقـــف منير العجلانى وقال : " وانتقل الان الى السياسة الخارجية ، فقد رأيـــت قوما ينكرون علينا ان نحيى امريكا ، ... اريد ان احييها لاسباب كثيـرة ، لان تحيتها تنفى عنا على الاقل اننا متشيعون تشيعا كاملا لروسيـــا .. " وهكذا فاذا لم يحييها فانه يخشى ان ينسب اليه التشيع الى روسيا ." وهذه هى لب سياسته وسياسة المستعمرين اذا لم يتلقف التحية ، فالبلاد متشيعة لروسيا . واذا لم يدخلوا الحلف العراقى التركى فالبلاد شيوعية . اما ان بامكاننا ان نكون عربا مستقلين بدون ان نرتبط بأى حلف فهذا لا يستقيـــم

---

(١) العقيد صفا ضابط مسرح من الجيش السورى .
(٢) نائب فى مجلس النواب السورى آنذاك . وكل الاسماء المعروضة فيما بعد هم أعضاء فى مجلس النواب السورى أيضا .
(٣) الوثيقة الثانية من مطالعة النائب العام فى حقيقة المؤامرة على سوريا والوطـــن العربى ص ٨٣ .

بمنطقه ولا منطقهم[1]

٥ ـ وهناك العراق بأمواله الضخمة وبسلاحه يهربه الى داخل سوريا . قال منير العجلانى بالجلسة السابق ذكرها ؛ " اخيرا فانا رجل فى اعماق نفسى شئ من الضعف بالنسبة للعراق ومهما اختلفت الامور أظل احمل له حبا قد يحجب عنى أشياء ، وبهذه المناسبة ايضا احب ان اقول للحكومة الكريمة يجب علينا ان نجلب العراق الى صفنا مهما كانت التضحية . ولا يكون ذلك بحملة الشتائم فهى لا تفيد ... فلا ينفع الانسان ان يشتم بينما يصنع الاخرون ما يريدون[2]

اما بخصوص تدخل الجيش العراقى فى سوريا فيقول عدنان الاتاسى[3] : " وقال لى السامرائى " ان العراقيين لا يقدمون على العمل ما لم يكونوا ضامنين النتائج . وأقصد بقولى هذا ان الحكومة العراقية لا يمكن ان توافق على عملية الانقلاب فى سوريا دون ان تكون نتائجها مضمونة ونجاحها مؤكدا . ثم ذكر لى ان شخصية عراقية كبيرة موجودة فى بيروت منذ قليل ، وان هذه الشخصية ترغب الاجتماع بى وعرض على ان نذهب معا للاتصال بها فلا أمانع " . وهكذا أخذ الى حيث قابل اللواء غازى الداغستانى الذى حدثه ... عما يجب اجراؤه بعد نجاح الانقلاب وفيما اذا كان بامكان والدى[4] ان يقبل ان يرأس الحكومة الجديدة التى يتمخض عنها الانقلاب " .

اما دور بريطانيا فلا يجب ان يخفى فى هذه المؤامرة ، وكذلك دور حلف بغداد بالتالى . فبريطانيا كانت تحكم ، وعمليا ، العراق داخليا وخارجيا . ومعروفة تلك الصلة التى تربط نورى السعيد ببريطانيا . وبريطانيا هى التى خلقت وتبنت (الحزب القومى السورى الاجتماعى) الذى قتل العقيد عدنان المالكى عام ١٩٥٥ . وحتى يتضح الدور الذى قام به هذا الحزب المحظور فى سوريا نورد هنا جزءا من الرسالة التى ذكرها النائب العام السورى فى مطالعته اذ قال : " ونحن نورد هنا الرسالة الموجهة من سعيد تقى الدين[5] القومى السورى الذى يعمل فى خدمة الاستعمار واسرائيل . نورد له هذه الرسالة الموجهة الى رئيس حزبه جورج عبد المسيح والمؤرخة فى ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٥ لتبحث فى المجلس الاعلى قال فيها : " انه قابل سعيد القزاز وزير الداخلية فى العراق ، وقد افضى اليه وزير الداخلية بان العراقيين حاولوا القيام بحركة فى دمشق بواسطة الشخصيات والاحزاب ودفعوا مبالغ لقاء ذلك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٦

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٥

(٤) يعنى به هاشم الاتاسى من رؤساء جمهورية سوريا السابقين .

(٥) لبنانى وعضو فى الحزب القومى السورى الاجتماعى . اما جورج عبد المسيح فكان زعيم الحزب فى الفترة موضع الدراسة .

نفشلوا . والآن هم معتمدون على حركة داخل الجيش والارجح ان الذين سيقومون بهذه الحركة هم من الضباط الصغار . لان الضباط الصغار ليس لهم رتب يخسرونها اذا طغى العراق على الشام (١) ، وموقف الشام هو واحد اثنين ، اما ستنضم الى الحلف التركي او لا تنضم . فاذا انضمت الى الحلف التركي فسيسيطر نفوذ العراق والترك ويكون العمل الاول ضربة دامية جزرية للحزب الشيوعي " . وقال في هذه الرسالة :

" وقد يكون عمال الغربيين هم انفسهم ينشرون الشيوعية في الشام تبريرا للضربة " .

وليست هذه هي كل الاطراف في المؤامرة على سوريا .. بل هناك أديب الشيشكلي آخر دكتاتور حكم سوريا قبل وحدتها مع مصر عام ١٩٥٨ ، ولنترك الكلام عنه لمطالعة النائب العام في سوريا :

" ان اديب الشيشكلي قدم من فرنسا هذا الصيف واستدعاه (٢) لمقابلته في بيروت حيث عرف منه ان سبب قدومه انما هو لتهيئة انقلاب ، وطلب رأيه في الموضوع مبينا له انه من الصعب عليه ايجاد مجموعة من الضباط تتعاون معه ، وانه اتصل بعد مدة بصلاح الشيشكلي (٣) الذي أعلمه ان الانقلاب اضحى جاهزا وانه سيكون هذه المرة دمويا وعنيفا يصار فيه الى اغتيال او اعتقال عدة اشخاص منهم المقدم عبد الحميد السراج والرئيس (٤) مصطفى حمدون والرئيس عبد الغني قنوت واكرم الحوراني وخالد بكداش ... ورؤساء الشعب في الاركان العامة . كما انه اتفق على اغتيال فخامة الرئيس القوتلي على اعتبار انه ، كما يزعم صلاح ، يعود بعد كل حدث ولذلك تقرر قتله للتخلص منه نهائيا " (٥) .

اما كيفية تنفيذ المؤامرة فتبدو بجلاء في دور كل من العراق واسرائيل .. " كان محمد صفا شرع في الحديث قائلا ان وضع البلاد سيئ وانه ينبغي التخلص من الوضع الحاضر عن طريق عصيان مسلح يشترك فيه المواطنون في كافة انحاء سوريا بغية وضع حد لاعمال الجيش ، وانه متى نشبت الثورة على هذه الصورة فان الجيش العراقي سيتدفق من الحدود التي لا توجد فيها قطعات (وحدات) للجيش على اعتبار ان معظم القطعات السورية منتشرة على الحدود السورية — الاسرائيلية ، كما انه من المحتمل

---

(١) الشام لفظة يستعملها القوميون السوريون لتدل على سوريا بحدودها الحالية ، لان سوريا هي تلك الطبيعة التي تضم فلسطين والاردن ولبنان والعراق . او ما يسمى بالهلال الخصيب .

(٢) يقصد به سامي كبارة .

(٣) شقيق أديب الشيشكلي وقائد حرس البادية أثناء حكم أخيه .

(٤) رتبة عسكرية تقابل " نقيب " في الجمهورية العربية المتحدة .

(٥) الوثيقة الاولى من قرار الاتهام في المؤامرة على سوريا — ص ٣٦ — ٣٧ .

ان تحصل فى الوقت نفسه مناوشات بين قوات الجيش الاسرائيلى وقوات الجيش السورى بحيث لا يستطيع الاخير ان يبعث بقطعات لمقاومة العصيان او لرد تدخل الجيش العراقى (١)

لقد كان المشرف على تنفيذ المؤامرة وامدادها بالمال العقيد صالح مهدى السامرائى الملحق العسكرى العراقى فى بيروت . " وكلف العقيد صالح مهدى السامرائى الملحق العسكرى العراقى السابق فى دمشق ، وكان ابعد عنها لاشتراكه فى مؤامرة سابقة فنقلته الحكومة العراقية الى بيروت ، كلف هذا العقيد بالقيام بالاتصالات اللازمة لانفاذ المؤامرة ووضعت بين يديه الاموال التى يتطلبها تحقيقها (٢) .

لقد كان لموقف سوريا ومصر من حلف بغداد ما ازعج الاستعمار وما دفع به لتلمس الوسائل التى يستطيع بها ارغامها على الدخول فيه ؛ " ولاحظ ان سوريا مركز التوازن فى هذه المجموعة العربية ، فلو خضعت بطريقة ما لأمكن فرط هذا العقد العربى ولخضعت بعدها الاردن ولبنان ولضعف مركز مصر وغلبت على امرها ، فاما قبلت الدخول فى هذا الحلف طوعا اوكرها واما اهملت وعزلت عن بقية العالم العربى . ولقد جرى عرض هذا الرأى فى دعوى مقتل المرحوم العقيد المالكى فى الرسائل المرسلة من قبل هشام الشرابى من امريكا الى رئيس الحزب القومى السورى والتى كانت موضع بحث ومناقشة فى المحاكمات السابقة والخاصة بقتل العقيد المالكى .

" فالعزم قد تركز على عزل مصر باخضاع سوريا للحلف العراقى التركى بأى ثمن وبأية وسيلة . لقد لجأوا الى التهديد بالطرق الدبلوماسية فما أغنى تهديدهم شيئا . ثم لجأوا الى الحشود على الحدود التركية السورية وعلى الحدود العراقية السورية فما أفلح كيدهم . دفعوا اسرائيل للحشد والتحرش اكثر من مرة فأخفق مسعاهم فاستقر رأيهم على ان يعالجوا ذلك بوسائل اخرى فأجمعوا كيدهم واخذوا يكيدون .. " (٣)

يتضح مما سبق ان سوريا كانت مركز التوازن فى محاربة الحلف . وما دامت سوريا تقاومه فلا سبيل لنجاحه فاذا ارتبطت به رجح وزن الحلف ومالت الاردن ولبنان بطبيعة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ . راجع الملحق رقم (١) وهو وثيقة هامة جدا تظهر الاموال التى يدفعها السامرائى لقسم من المتآمرين .
(٣) الوثيقة الثانية من مطالعة النائب العام فى حقيقة المؤامرة على سوريا ص ٨ - ٧ .

ويكفى كبرهان على ما قصدت اليه مؤامرة حلف بغداد ضد سوريا ان نذكر انه ليس من قبيل الصدفة اطلاقا ان تكون هى وحرب السويس فى نفس التاريخ . انظر بهذا الخصوص وولتر لاكور ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

الحال لهذا الميل وجرها الثقل ." فهناك اذن عزم قائم دائم وارادة حاضرة ثابتة من قبل الحكومة العراقية لاشاعة الاضطراب فى سوريا ، تحدث عنه سعيد تقى الدين وكشفه برسالته الى جورج عبد المسيح منذ اول عام ١٩٥٥ والحلف العراقى التركى على وشك التوقيع ، دفع الاموال العراقية الى الاحزاب والافراد (١) ولما فشل ذلك عمد الى احداث حركة فى الجيش وقتل المرحوم المالكى ، فهناك امر استعمارى دائم باحداث القلاقل فى سوريا (٢)" .

وهكذا كانت بذرة الجرائم التى ولدت الجريمة تلو الجريمة هى الحلف العراقى التركى ، او ما عرف باسم حلف بغداد ." فمنذ ان عقد هذا الحلف ومنذ ان وقف منه مصر وسوريا هذا الموقف الذى يمليه عليهما واجبهما القومى ، أخذ الاستعمار يتوجس من هذا الوعى العربى الذى جاوز القول الى الفعل . ونحن نعتقد ان الاستعمار لم يكن توجسه للموقف السلبى الذى وقفته مصر وسوريا من الحلف وانما توجس من موقفهما العربى الايجابى الذى أعلن ان مهمة الدفاع عن الشرق العربى انما يعود لاهله لا للاستعمار . فلقد علم ان مصر وسوريا ستسعيان وتعملان لاستكمال اهبتهما ليكونا فى الحالة التى تتناسب وموقفهما المستقل ، ومعنى ذلك انهما ستسيران يوما بعد يوم نحو كمال الوحدة . ومعنى ذلك ان الاستعمار كالمغتصب سيجد المغصوب منه المعتدى عليه وهى البلاد العربية آخذة بأسباب القوة التى تحقق وجودها وتفرض احترامها وتحمى استقلالها (٣)" .

ونكتفى بهذا القدر من هذه الوقائع التى تكشف العراق ومن ورائه حلف بغداد ، لنأتى على فصل جديد من المسرحية التى مثلت على مسرح الاحداث السورية ومن حولها ، تحرك شخصياتها القوى الامبريالية من وراء الكواليس . وسنرى مدى التشابه بين ما فعله حلف بغداد وما فعله مبدأ ايزنهاور فى عام ١٩٥٧ . ان القصة تتكرر وان اختلفت بعض الشخصيات والابطال . سوريا ترفض حلف بغداد فاذا بهذا الحلف يتآمر ضدها ؟! وسوريا ترفض مبدأ أيزنهاور فاذا بهذا يثير ازمة عنيفة مع سوريا مدعيا انها اصبحت مقاطعة شيوعية تابعة للاتحاد السوفييتى . نفس الاهداف بمسميات مختلفة تود كلها اخضاع سوريا وجرها للنفوذ الغربى .

وقبل ان ننتقل فى الحديث عن مشروع ايزنهاور يثور سؤال هام ، لماذا يقف

---

(١) راجع بهذا الخصوص الوثيقة الهامة التى نشرها الاستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ . وهى الملحق رقم (١) لهذه الرسالة .

(٢) الوثيقة الثانية من مطالعة النائب العام فى حقيقة المؤامرة على سوريا ، ص ٣١

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦

العراق من سوريا هذا الموقف الذى يدعم الاستعمار والامبريالية ونفوذهما فى المنطقة ؟

لقد فكر بعض الساسة الغربيين ان اى اتحاد مع العراق سوف يربط سوريا مع الامبرياليين وسيعجل بخطوات أبعد باتجاه الوحدة العربية تحت راية الاستعمار كما حدث فى عام ١٩٤٤ حين انشئت الجامعة العربية . ولهذا ألح كل من العراق والبيت الهاشمى الملكى على تقييد وحصر الوحدة العربية بين تلك الدول العربية التى يأملان أن يسيطرا عليها : العراق وسوريا والاردن . اما مصر اكبر واقوى دولة عربية سوف تبعد باستمرار . وبينما مصر لم تكن قد ظهرت كبطل للعرب حتى عام ١٩٥٥ ، الا أنها قد عملت بكل الجمود ان تاقى بالسيطرة البريطانية ." وما نشده المصريون فى دمشق باستمرار لم يكن خارجا عن حق الاتحاد ، بل الاحتفاظ بسوريا بعيدا عن متناول القوى المسلحة للعراق . ولقد كان هذا الهدف المحدود فى داخل الدائرة الممكن تحقيقها دوما ".(١)

اما احلام بغداد فلا تخفى تجاه دمشق . ولقد حاولت ان تحقق هذه الاحلام بشتى الطرق اما عن طريق الاحلاف الغربية مثل حلف بغداد او عن طريق المؤامرات التى تثيرها داخل سوريا هادفة احضار حكومة سورية تستطيع السيطرة عليها ، اوعن طريق الاتحاد بين العراق وسوريا باسم العروبة اسما وبمعنى الهلال الخصيب فعلا . وهكذا ، كان لبغداد مصالح هامة فى دمشق وكانت لها أحلام :

" كانت بغداد تريد دمشق داخل حلف بغداد تأمينا لجناحها الغربى ، وفتحا للطريق امام هذا الحلف الاستعمارى ان يبسط نفوذه على الاردن ولبنان بعد سوريا

" ثم كان لبغداد فى دمشق حلم قديم هو ان يعود عرشها الى الاسرة الهاشمية الحاكم فى بغداد ، والتى كان لها الحكم يوما فى سوريا وان يجلس عليه الاميرعبد الاله بالذات ".(٢)

ـــــــــــــــــــ

(١) Kerr ,M : Op . Cit . P . 4

(٢) محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ، ص ٢١

المبحث الثانى

مشروع ايزنهاور

قبل البدء فى بحث مدى تأثير مشروع ايزنهاور على سوريا ودفعها نحو الوحدة مع مصر ، نقدم بعض الملاحظات الايضاحية الهامة ٠

١ـ ان حلف بغداد ، وتكملته مشروع ايزنهاور لسد الفراغ فى الشرق الاوسط ، ان هما الا حلقة من السلسلة الطويلة للحرب الباردة فى منطقة الشرق العربى خاصة ومنطقة الشرق الاوسط بشكل عام ٠

٢ـ ان مشروع ايزنهاور ، كسابقه حلف بغداد ، ان هو الا محاولة اخرى لعزل سوريا وقتل التيار التحررى فيها ٠

٣ـ ان هذا المشروع عبارة عن اول توحيد والتقاء عملى للسياسيتين البريطانية والامريكية فى المنطقة على اساس ان القوى الاستعمارية راحت تجدد من مخططاتها بعد ان ذهلت امام الانتصارات المتتابعة التى حققتها كل من مصر وسوريا ٠

٤ـ انه بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر ، وانكشاف أقوى حليفتين لامريكا بشكل سافر ، بعد هذا كان تجديد المخططات الاستعمارية بمثابة تطوير لوسائل النفوذ ولكن فى نفس الوقت ، كان التناقض الاستعمارى فيما بين اطرافه قد اتضح بشكل لم يسبق له مثيل ، وذلك خلال الصراع على النفوذ ، والسيطرة على موارد هذه المنطقة المتحركة والمتأججة من الشرق الاوسط ٠

٥ـ ان الولايات المتحدة الامريكية ، وبواسطة هذا المشروع ، اخذت تعمل سافرة ولاول مرة فى المنطقة(١) من اجل تحقيق عدة أهداف فى آن واحد ٠

أ ـ فرض الصلح مع اسرائيل ، على اعتبار ان المشروع قد اعتبر المنطقة وحدة استراتيجية ٠

ب ـ حاول المشروع ان يستفيد من فشل حلف بغداد ، ووضع بريطانيا امام الأمر الواقع وهدد نفوذها المتداعى فى المنطقة ٠

حـ ـ وعلى اساس من وضع بريطانيا امام الأمر الواقع فانه سيفرض عليها توحيدا بين مشروع ايزنهاور وبين حلف بغداد ، لتمتد السلسلة ويصبح ارتباطها بحلف الاطلسى وحلف جنوب شرقى آسيا بصورة غير مباشرة ٠ ذلك عن طريق ارتباط بعض دول حلف بغداد ، كتركيا ، بحلف الاطلسى وحلف بغداد ، وباكستان

---

(١) ما نقصده هو ان لا تنفرد بريطانيا فى التحكم بالمنطقة كما كانت تفعل من قبل ٠

(٢) Campell : Op . Cit . P . I22 .

بحلف بغداد وحلف جنوب شرقي آسيا ، وكذلك بريطانيا المرتبطة بالاحـــلاف الثلاثـة ، وكذلك الحال بالنسبة للولايات المتحدة الامريكيـة ٠

د ـ وحتى يصبح الخط الاستراتيجي ممتدا من امريكا الشمالية عبر الاطلسي ، مـــارا باوربا والبحر الابيض المتوسط ، مخترقا الشرق الاوسط ومدخله الغربي ، ومحاذيا للشواطئ الجنوبية لاسيا ، ويصل الى جنوب شرقي آسيا ، حتى يحقق كل ذلك فلا بد من اضافة بلاد جديدة لهذه السلسلة الطويلة ٠ والمتتبع للخـــط الاستراتيجي المذكور يلاحظ ان نقطة ضعفه هي المشرق العربي ، اى المدخل الغربي لمنطقة الشرق الاوسط ٠ من هنا امتدت الانظار الى سوريا على اساس انها مفتاح المنطقة ٠٠ ومن هنا ايضا ادخلت خسرا ضمن عناصر الحـــرب الباردة بين المعسكريـن ٠

واذا ما أردنا تحديد تاريخ معين لدخول الولايات المتحدة الى منطقة الشـرق الاوسط واهتمامها بالدول العربية فان الحرب العالمية الثانية خير تاريخ نستشهد به ٠ اذ انه بعد انتهاء هذه الحرب بدأ الصراع بين مصالح القومية العربية والقوتـين الاستعماريتين الاساسيتين في الدول العربية ، وهما بريطانيا وفرنسا ٠ وما لبث أن امتد الصراع ليشمل الولايات المتحدة الامريكية بعد مساعدتها الفعالة في اظهار دولـة اسرائيل الى حـيز الوجود ٠ (١)

---

(١) "The World Today " (V.I4,No.I2)Dec. I958 .

ويقارن (جون كامبل) في مجلة "Foreign Affairs" April I957 , P.44I. يقارن ما بين مشروع ايزنهاور ومشروع الرئيس ترومان لمساعدة تركيا واليونان في عـام ١٩٤٧ ، فيقول بأن المشروع الاول مشروع ترومان ، قد نجح في كل من تركيا واليونان لان هاتين الدولتين قد شاركتا الولايات المتحدة أهدافها ورحبتا بمساعدتهـا ٠ ثم يضيف قائلا : " ولكن نجاح المشروع الجديد يتوقف على مدى قبول حكومـات وشعوب المنطقة المعنية بهذا المشروع ٠ ذلك لان التحدي السوفييتي في الشرق الاوسط انما هو تحد سياسي في المقام الاول ٠ ان المساعدة الاقتصادية والمعونات العسكرية يمكن لهما ان تكونا بمحلهما لدول المنطقة اذا وضعتا داخل اطـــار الاستراتيجية السياسية العامة للولايات المتحدة " ٠

ويقرر طاهر ابو فاشا في كتابه (معركـة المصير العربي) ان مشـــروع ايزنهاور هو بعينـه مشروع ترومان ٠٠٠ قبل عشر سنوات ٠٠ والجديـــد في مشروع ايزنهاور هو الزمان والمكان ٠ ص ١٩٥ ٠

على ان ما يهمنا الآن هو الاحداث التى ظهرت فى خمسينيات هذا القرن وكانت بمثابة دوافع الى الوحدة التى قامت ما بين مصر وسوريا فى شهر فبراير عام ١٩٥٨ .

كان الواقع السائد خلال الفترة موضوع الدراسة يتلخص فى التالى :

١ـ مشروع انشاء منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط (فشل المشروع) .
٢ـ حلف بغداد (سجل بعض التقدم ويهدد وحدة الدول العربية وحيادها) .
٣ـ العدوان الثلاثى على مصر (فشل فى تحقيق أهدافه) .
٤ـ مبدأ ايزنهاور .

كل هذه العناصر مجتمعة لم تكن الا دلالة على ما كانت تواجهه الدول العربية المتحررة ، وفى مقدمتها سوريا ، من ضغط عنيفة كادت ان تجذبها نهائيا الى جانب المعسكر الغربى . ولكن صمود سوريا ووعى الجماهير العربية فيها قد جعلا كل تلك المشاريع تفشل . بل انها تحولت الى عناصر ايجابية فعالة فى دفع سوريا الى المطالبة بالوحدة الفورية مع مصر .

<u>أهداف مشروع ايزنهاور</u>

ما هى العوامل التى حدت بالولايات المتحدة الامريكية ان تطرح مشروع ايزنهاور لسد الفراغ فى منطقة الشرق الاوسط ؟ (١)

الاجابة على هذا السؤال متضمنة فى الوثيقة الهامة التى قدمها جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية الاسبق الى الرئيس دوايت ايزنهاور بشأن الفراغ فى الشرق الاوسط مقترحا عليه سياسة لامريكا تقوم على عدة عوامل . (٢)

وفيما يلى ما جاء بالتقرير السرى لدالاس :

• ان سياسة امريكا فى الشرق الاوسط يجب ان تقوم على ضوء ثلاثة عوامل رئيسية :

• ١ـ الضعف الخطير الذى أصاب حليفتى امريكا :

لقد اتضح بجلاء من العمليات الحربية التى قامت بها هاتان الدولتان فى الشرق الاوسط مدى التدهور الذى اصاب موقف بريطانيا وفرنسا فى المجال الدولى ، كما اتضح اضطرابهما الاقتصادى وضعفهما العسكرى . فقد دفنت هيبة بريطانيا وفرنسا تحت انقاض الحرب التى شنتها الدولتان على مصر .

---

(١) يحدد (جون كامبل) أهداف مشروع الرئيس ايزنهاور ، كما جاء فى مقاله فى مجلة Foreign Affairs ص ٤٤١ وما بعدها ما يلى :
" لقد تقرر لمشروع ايزنهاور ان يحقق عدة أهداف فى آن واحد ، كان اهمها على الاطلاق اربعة :

=

ثم اخذ دالاس يوضح بالارقام مدى الاضرار التى اصابت اقتصاديات هـــذه الدول نتيجة اغلاق قناة السويس ، وتوقف تدفق البترول . وخلص دالاس من هـــذه الاعتبارات الى شرح سياسة الولايات المتحدة الامريكية الجديدة التى يرى انها تحقق لها أهدافها فى الشرق الاوسط فقال :

" ان اهم النقط التى يجب ان ترتكز عليها هذه السياسة هى مقاومة النمـــو المضطرد للقومية العربية ، وملء الفراغ الناشئ فى المنطقة ، وهذا يتطلب اولا خلــق ظروف قانونية وسياسية واقتصادية وعسكرية ، تبرر اقدام الولايات المتحدة على التدخــل فى شئون المنطقة " .

ثم اقترح دالاس ان يطلب ايزنهاور الى الكونجرس ان يمنحه تفويضا باستخـدام القوات الامريكية فى منطقة الشرق الاوسط حسبما يتراءى له ، وذلك فى حالة تعـــرض المنطقة ، كما اسماه ، لتهديد الشيوعيـة الدوليـة .

واقترح ما يلى :

" اولا ـ تمهيد السبيل لابرام ميثاق دفاع افريقى ، يضم ليبيا وتونس ومراكش ثـــم الجزائر ، ويجب ان يكون هذا الميثاق متناسقا مع ميثاق حلف الاطلسى .

" ثانيا ـ لابد للولايات المتحدة ، لكى تعزز مركزها العسكرى فى الشرق الاوسط ، من ان تتخذ بعض التدابير ، ومنها تقديم المساعدة لبعض الاقطار العربية ، وتوسيع برنامج انشاء قواعد جوية ، وانشاء قوات خاصة ، تسلح ـ اذا امكـــن ـ بأسلحة ذرية ، وترابط فى بعض أقطار الشرق الاوسط .

" ثالثا ـ ومن الامور المحتملة ايضا ان تدرس امريكا ، بأسرع ما يمكن ، انشاء قواعـــد بحرية دائمة للاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط . "

ويرى دالاس : " ان هذه السياسة اذا تحققت فان الشرق الاوسـط ، وشمالى افريقيا سيدخلان ضمن نطاق المسئولية الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية . وهذا ييسر للولايات المتحدة اتخاذ التدابير المناسبة فى المنطقة ، دون مشاركـــة شريكتيها بريطانيا وفرنسا " .

وبهذا تتضح أهداف السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط وشمالـــى افريقيا . فعن طريق مشروع ايزنهاور حاولت الولايات المتحدة ان تتسلل الى مواقـــع الاستعمار التقليدى لترثها . فهذا هو المعنى المباشر الذى وضح فى البند الاول من التقرير السرى لدالاس (الضعف الخطير الذى أصاب حليفتى الولايات المتحدة) .

ومن ناحية اخرى ، فان ايدن فى محاولته لاظهار " النتائج الايجابية " للعدوان الثلاثى على مصر ، يذكر ان العدوان قد " قضى ـ على الاقل ـ على ذلـك

الفصل من الارتباك بالنسبة للوضع فى الشرق الاوسط ، فقد أسفر فاى العدوان ، عن ظهور مبدأ ايزنهاور الذى تدخلت انكلترا وامريكا على اساسه فى الصيف التالى فى الاردن ولبنان ، كما ساعد على اظهار عدم استعداد الغرب بالسماح بترك المناطق مفتوحة للتسرب والعدوان من اية جهة جاء . لكن هذه الارباح جزئية ، وما زال التوازن غير المتعادل قائما " (١).

ويدخل مشروع ايزنهاور ، من ناحية ثالثة ، ضمن نطاق الصراع بين السياسات الاستعمارية ، واحتلال نفوذ الولايات المتحدة لكل مكان ينسحب منه الاستعمار البريطانى او الفرنسى (٢).

لقد كانت انكلترا تهتم بالمحافظة على الاوضاع الراهنة ، التى تعبت كثيرا فى سبيل تثبيت دعائمها ، وخلق تقاليد اقليمية حولها ، بينما كان يبدو ان الولايات المتحدة تريد ان تقود المنطقة من اجل تقف بوجه الزحف الشيوعى وان تقاوم الدعوات المتطرفة التى يمكن ان تنبثق عن ظروفها الاجتماعية المتخلفة . وقد اعتقدت ان القومية العربية التى تفجرت بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بشكل لم يسبق له مثيل ما هى الا شكل يسارى آخر يريد ان يخل بالتوازن وان يفتح ثغرة للنفوذ الشيوعى . لذلك حاولت امريكا فى سياستها الاولى ان تمتص القوى الثورية عن طريق الاعتراف بنوع من الاستقلال الذاتى لبعض دول هذه المنطقة وتفريغ شئ من شحنتها الثورية بتبديل شكل الحكم فيها من النموذج المحافظ الذى دعمته انجلترا طويلا الى نموذج دكتاتورى عسكرى يكبح مباشرة جماح الثورة او يقيم حكما عسكريا قويا على نمط الحكم فى كثير من دول امريكا اللاتينية التى تخضع للاحتكارات الامريكية . كما انها ارادت عن طريق مشاريعها المختلفة كالنقطة الرابعة والقروض والمساعدات الاقتصادية ان تنعش قليلا من الاقتصاد المحلى لترفع من مستوى الدخل . وكانت تهدف من وراء ذلك غايتين : خلق نوع من المناعة الاقتصادية امام الدعوة الشيوعية ، وتأسيس قوة شرائية تستطيع ان تستهلك كميات لا بأس بها من الصناعات الامريكية . وبينما كانت هذه السياسة تبدو ناجحة الى أبعد حدود النجاح فى بلد مثل تركيا ، فانها لم تستطع ان تثبت نموذجا واحدا فى الشرق الاوسط العربى خاصة بعد انهيار تجربة الدكتاتورية العسكرية المتمثلة فى نظام اديب الشيشكلى فى سوريا (٣). لذلك تراجعت قاعدتها الى لبنان وحاولت

---

(١) مذكرات ايدن ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠ .

(٢) عندما اعلن المشروع ، صرح وزير خارجية لبنان فى ذلك الوقت ، الدكتور شارل مالك ، ان الولايات المتحدة " تدخل الان تاريخ الشرق الادنى " . مجلة Foreign Affairs عدد ابريل ، ١٩٥٧ ، ص ٤٤١ .
ويراجع كتاب Campell: Op. Cit. P. 39.

(٣) مطاع صفدى : (الثورة فى التجربة) (دار الطليعة ـ بيروت ، يونيو ١٩٦٣ ، ص ٣٥١ .

من هناك ان تنفذ نموذجها الاقتصادى داخل لبنان نفسه وان تستفيد منه كرأس جسر لمراقبة الاحداث فى الشرق الاوسط ، وخاصة فى سوريا ، ومحاولة التدخل فى تطوراتها لمصلحة النفوذ الامريكى .

لقد انعكست كل تناقضات الصراع العالمى على منطقة الشرق الاوسط وتحملتها عن المنطقة كلها سوريا ، وخاصة فى الفترة القلقة المتفجرة من تاريخها فى الاعوام القليلة السابقة على الوحدة . وظهرت انعكاسات هذه التناقضات على اشكال الصراع السياسى الداخلى فى سوريا بين حركات اليمين واليسار فى القطاع الشعبى وفى المجلس النيابى وداخل صفوف الجيش والحكومة القومية الائتلافية . وبدا ان سوريا سوف تخنق وحدها تحت أثقال الضغط المتزايد عليها من قبل الصراع الانجلو ـ امريكى .(١)

مهما يكن فقد أعلن الرئيس ايزنهاور مبدأه فى الثانى من يناير عام ١٩٥٧ (٢) ، فكيف سارت الأمور لتنفيذ السياسة الامريكية على اساس ما تضمنه المشروع من أهداف ؟

لقد قدم الرئيس ايزنهاور مشروعه الى الكونجرس الامريكى بتاريخ ٩ مارس عام ١٩٥٧ ، وبعد ثلاثة ايام ارسل مساعده لشئون الشرق الاوسط ، المستر جيمس ريتشاردز فى جولة الى دول الشرق الاوسط ليشرح اهداف المشروع ، ثم يكتب تقريرا عن أفضل الطرق لاخراج هذا المشروع الى حيز الوجود . وفى ٢٣ مارس انضمت الولايات المتحدة الى اللجنة العسكرية لحلف بغداد . " وبانضمام امريكا الى اللجنة العسكرية للحلف، وبقبول اية دولة عربية لمشروع ايزنهاور فان عليها ان تقوم بخطوات ليس ضد روسيا فقط ولكن ضد الجيران العرب أيضا ، اكثر من هذا ، بالانضمام الى حلفاء الغرب ، ضد الشرق ، فان المشروع قد أغلق الباب امام امكانية تعامل العرب مع الغرب بدون ربطهم بخيوط سياسية ."(٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

(٢) كان الرئيس ايزنهاور قد اعلن ، اثر اجتماعه بهمرشولد ، سكرتير الامم المتحدة ، فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٥٦ ، الخطوط العريضة للمشروع الذى حمل اسمه ، وهو يقضى بان تستعمل الولايات المتحدة القوة المسلحة لصد اى عدوان سوفييتى قد يتعرض له الشرق الاوسط . وفى سبيل رفع مستوى هذه المنطقة تمنح الولايات المتحدة شعوبها مبلغا يتراوح بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ مليون دولار ، وذلك للدول التى تدخل المشروع . وفى ١٩ مارس عام ١٩٥٧ دخل مشروع ايزنهاور مرحلة التنفيذ ، اذ منح الكونجرس للرئيس الامريكى سلطات استثنائية لمساعدة اية دولة او مجموعة من الدول الشرقية لتنمية اقتصادها والمحافظة على استقلالها واستعمال القوة المسلحة اذا ما تعرضت هذه البلدان لخطر عدوان من دولة شيوعية او دولة تدور فى فلك الشيوعية .

(٣) Seale: Op. Cit. P. 286 .

ولقد تضمنت خطوط النشاط الامريكي بعد اعلان مشروع ايزنهاور الاهداف التالية:

اولا : تفكيك التحالف التكتيكي بين الدول العربية التي لم ترتبط بحلف بغداد .

ثانيا : عزل مصر عن الجناح الاسيوي من الوطن العربي .

ثالثا : اسقاط الحكم في كل من مصر وسوريا .

رابعا : ربط الدول العربية الاخرى بمشروع ايزنهاور .

فكيف كانت انعكاسات هذه الاهداف على الدول العربية بشكل عام وعلى سوريا بشكل خاص ؟

نلاحظ انه بالنسبة للهدف الاول والثاني ، وهما تفكيك التحالف التكتيكي بين الدول العربية وعزل الجناح الاسيوي من الوطن العربي عن مصر ، نلاحظ ان مشروع ايزنهاور قد نجح الى حد ما في هذا المسعى (١) . فعندما اقترح الرئيس ايزنهاور على الكونجرس " ان يفوضه في ان يتعاون مع اية امة او مجموعة من الامم في الشرق الاوسط لتنمية اقتصادها وقوتها العسكرية ، وان يقدم المعونة ، بما فيها استعمال القوات المسلحة للولايات المتحدة ، الى اية امة تحتاج مساعدة ضد " هجوم مسلح واضح من اية امة تسيطر عليها الشيوعية الدولية " ، وعندما نال اقتراحه الموافقة نلاحظ ان الدول العربية ، وخاصة تلك التي وقفت من حلف بغداد مواقف مؤيدة مثل السعودية والاردن ، توافق (٢) على مشروع ايزنهاور ، وهنا كان " مشروع ايزنهاور ،

---

(١) عقد في القاهرة ما بين ٢٥ و ٢٧ فبراير عام ١٩٥٧ ، اي قبل اعلان مشروع ايزنهاور بأسبوعين تقريبا ، اجتماع لبعض الملوك والرؤساء العرب ضم رئيس جمهورية مصر ، الرئيس عبد الناصر ، ورئيس جمهورية سوريا ، الرئيس شكري القوتلي ، وملك المملكة العربية السعودية ، الملك سعود ، وملك المملكة الاردنية الهاشمية ، الملك حسين . ولقد شرح الملك سعود للمجتمعين نتائج زيارته للولايات المتحدة الامريكية . وفي نهاية الاجتماع صدر عن المؤتمرين بيان جاء فيه ذكر لنتائج زيارة الملك سعود لواشنطن وكيف انه قدم للرئيس الامريكي وجهة النظر العربية والخاصة بابتعاد الدول العربية عن الصراع على مناطق النفوذ .

واكد المجتمعون تصميمهم على حماية البلاد العربية من " الحرب الباردة " وأنهم يتمسكون بسياسة " الحياد الايجابي " وبهذا يحفظون مصالحهم القومية . وانهم يؤكدون ان الدفاع عن العالم العربي يجب ان ينبع من البلاد العربية .. وخارجا عن مناطق نفوذ الاحلاف .

ولا مجال لذكر المقررات التي اتخذت في ذلك المؤتمر والخاصة بنتائج العدوان الثلاثي على مصر . على ان ما يجب ذكره هنا هو ان الدول الاربع المذكورة كانت تشكل معسكرا عربيا متعاونا الى حد كبير . وسنرى كيف تفتت وحدة هذا المعسكر .

(٢) وافقتا ولم تدخلا فيه .

مثل حلف بغداد ، قد فصل الدول العربية عن بعضها وجعلها تتشاجر من حيث تأثير الغرب وسياسة ناصر فى عدم الانحياز "[1]. اما لبنان وليبيا فقد قبلتا المشروع ودخلتا فيه ، ومع ان السعودية والاردن قبلتا المعونة بموجب مشروع ايزنهاور الا انه لم يأت ذكر هذا المشروع "[2].

ويمكن القول ان اول نصر أحرزته الولايات المتحدة كان فى المملكة العربية السعودية . لقد اختارت الولايات المتحدة المملكة السعودية بهدف ان تقربها من الاسرة الهاشمية فى كل من بغداد وعمان اولا ، ولأجل ان تفرط عقد التحالف المصرى ، السورى ، الاردنى ، السعودى ، او ما سمى بالتحالف الرباعى . وهناك العديد من الاسباب لهذا . " فالولايات المتحدة ارادت ان تفهم عبد الناصر انها وقفت الى جانبه مرغمة فى ازمة السويس وانها عازمة على عزله حتى يعود اليها ويطلب الغفران ، ويدخل فى اطار النفوذ الامريكى . وهى لم تلجأ الى بغداد منافسة القاهرة لانها تعلم ان لبريطانيا ، رغم عدوان السويس ، الكلمة العليا فيها . ولذلك لجأت الى الملك سعود أملها الوحيد فدعته الى زيارة واشنطن واحسنت وفادته واستطاعت ان تجعل منه المحامى المدافع عن مبدأ ايزنهاور فى الشرق العربى "[3].

اما فى الاردن فلقد نشبت ازمة سياسية بين الملك والقوى الوطنية ، وارتد الملك حسين الى الغرب مخافا القوى الوطنية فى السجون بعد ظهور مبدأ أيزنهاور . اما الملك سعود " فهو الذى حمى الملك حسين فى هذا العمل الواضح النية ، وهكذا فرط عقد القوى الاربع المتحالفة لمصر وسوريا والعربية السعودية والاردن ، والذى تمثل فى لقاء قمة فى القاهرة فى فبراير . وفى نفس الوقت فان الملك حسين قد ألحق انقلابه بطلب انسحاب الفرق العسكرية السورية التى تمركزت فى الاردن منذ ازمة السويس - هذا الطلب الذى قابله السوريون (بضيق ومرارة) ورأوا فيه رابطا آخر فى السلسلة الطويلة من المؤامرات ضد العرب "[4].

* وبهذا نجحت كل من العراق والاردن فى توطيد علاقتهما بالغرب[5] . العراق

---

(١) Cremeans: Op. Cit. P. I56.

(٢) Ibid. P. I56.

(٣) بيير روندو : مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٤) Seale: Op. Cit. P.290.

(٥) تفاصيل الازمة الاردنية على اساس انها اول اختبار عملى لمشروع ايزنهاور فى كتاب
Campell: Op. Cit. P. I27.

ووردت بعض التفاصيل كذلك فى كتاب طاهر ابو فاشا ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ - ٠٣

وراجع مذكرات ... [illegible]

من طريق دعم حلف بغداد بموقفه المتصلب من الشعب العراقى الرافض لهذا الحلف، والاردن فى انسحابه من التحالف الرباعى الذى كان قائما ما بينه وبين مصر وسوريا والسعودية • وبالرغم من هذا فان النجاح الذى حققته حكومتا العراق والاردن كان واضحا انه ضد الرغبة الشعبية •(١)

وكيف قابلت مصر وسوريا مشروع ايزنهاور ؟

لقد رفضت كل من مصر وسوريا المشروع رفضا نهائيا • ولكن مشروع ايزنهاور قد ارتبط بأزمة عنيفة ما بين الولايات المتحدة وسوريا • وكان لهذه الازمة مقدمات اهمها مؤتمر انقرة فى يناير عام ١٩٥٧ •

اولا : مؤتمر انقرة ، يناير ١٩٥٧ :

عقد فى انقرة مؤتمر للدول الاسلامية المشتركة فى حلف بغداد(٢) بتاريخ ١٩، ٢٠ يناير عام ١٩٥٧ • اما أسباب عقد هذا المؤتمر فيمكن ارجاعها الى التالى :

١ـ تطبيق اهداف مشروع ايزنهاور •

٢ـ تنفيذ خطة الضغط الموجهة على سوريا •

٣ـ تنسيق سياسة حلف بغداد مع مبادئ واهداف مشروع ايزنهاور •

يتضح هذا من البيان الذى صدر عن المؤتمر والمتضمن التالى :

---

(١) "The Middle East Since Suez War", (The World Today), V. 13 N°.12, 1957; P. 510.

كذلك فقد كتب الدكتور محمد عوض محمد فى مجلة "المجلة" العدد ٦ ، يونيو ١٩٥٧ ، عن الازمة الاردنية واقالة حكومة النابلسى فى ابريل عام ١٩٥٧، بعد ظهور مبدأ ايزنهاور وزيارة ريتشاردز للشرق الاوسط ، كتب يقول فى ص ٣ ما يلى :

" ولان هذا المشروع حديث الولادة فان الازمة الاردنية كانت الحادث الاول الذى تمتحن فيه تلك السياسة الامريكية التى يتضمنها المشروع ، لذلك اهتمت حكومة الولايات المتحدة بحوادث الاردن ، ولكنها تنفيذا لذلك المشروع اوعلى الاقل تنفيذا لروحه ـ لا بد ان يكون هناك امران : خطر شيوعى او خطر ازدياد النفوذ الشيوعى ، و "طلب" رسمى تتوجه به الحكومة الشرعية ملتمسة فيه المساعدة الامريكية •

" فان المساعدة المالية والعسكرية التى بادرت امريكا بتقديمها للحكومة الاردنية هى المساعدة التى نص عليها مشروع أيزنهاور •••

" ومع ان الازمة الطارئة كانت فى الاردن منذ رأت الحكومة التركية ان تحشد جيشا على حدود سوريا ، وزعمت بعض صحف امريكا (نيوزويك) الصادرة فى ٦ مايو ان تركيا فعلت ذلك بايعاز من حكومة الولايات المتحدة الامريكية كوسيلة لانذار سوريا بالامتناع عن التدخل فى الاردن " •

(٢) وهذه الدول هى : العراق ، ايران ، تركيا ، باكستان •

اولا : ايجاد تسوية عادلة لقضية فلسطين .

ثانيا : ضمان حرية الملاحة فى القنال دون المساس بسيادة مصر .

ثالثا : " ان النشاط الهدام مستمر بدون هوادة ، وهو يستهدف تقويض النظام والوضع القائم فى هذه المنطقة . وقد اتفقت الدول الاربع على اتخاذ خطوات حازمة لمواجهة تحدى هذه الدعاية الهدامة المغرضة " .

رابعا : "لاحظ المجتمعون بارتياح ان مشروع الرئيس ايزنهاور للشرق الاوسط يقوم على اساس ادراك مدى الخطر الذى يتركه العدوان والتخريب الشيوعى فى دول الشرق الاوسط ، وانهم يؤيدون تأييدا تاما الاجراءات التى انطوى عليها هذا المشروع فى شكله الحاضر ، باعتباره يهدف الى حفظ السلم ويؤمن الرفاه الاقتصادى لشعوب هذه المنطقة ؟ وانهم ينظرون بارتياح الى أن هذا المشروع لا يستهدف ايجاد مناطق نفوذ ، كما لا يستهدف استعباد شعوب الشرق الاوسط . وهم يؤكدون مرة أخرى فى هذه المناسبة أهمية حلف بغداد وفائدته لمصالح المنطقة بأسرها وللسلم العالمى أجمع " .

خامسا : " وقد استهجن المجتمعون تخريب انابيب النفط فى سوريا ، مما أضر باقتصاديات الدول ذات العلاقة [١] ، واوجد بالتالى مصاعب ومتاعب كبيرة ، وحثوا على التعجيل باصلاح الانابيب ، وقد ابدوا اسفهم لتأخر اصلاحها حتى اليوم " .

هذه المقررات تظهر مدى ما كانت ستواجهه سوريا من مشروع ايزنهاور . وتظهر من جهة اخرى مدى الذعر الذى اصاب الدول الاستعمارية وحلفائها من المد الثورى العربى الذى كان يجتاح سوريا . وهذا الذعر ان هو ، بالتالى ، الا تذكير بتذبذب السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط . لقد خلقت الدول الاستعمارية بعد هذا المؤتمر، فى سوريا ومن حولها ، ازمة من لا شئ . وبدأت هذه الازمة تزحف وتحتمل فى مضاعفات خطيرة انعكست على الوضع فى المنطقة بأسرها ، ولكن العواصم الغربية بدل ان تعمل على كبح جماح عوامل تلك الازمة المفتعلة ، راحت تؤجج نارها . ولما ارتسمت فى خلال ايام معدودات الصورة التى كانت عليها سوريا ، ادرك الغرب حقيقة ما فعل فصعق واهتز .

ثانيا : " الازمة السورية " [٢]

وبالاحرى " الازمة السورية " الثانية كما اطلق عليها ، على اساس ان " الازمة السورية الاولى " هى تلك التى انتهى اليها حلف بغداد فى محاولة قلب نظام الحكم فى سوريا .

---

(١) ويقصد بالدول ذات العلاقة العراق وبريطانيا اولا وكل الدول المستفيدة من بترول العراق ثانيا .

(٢) Campell: Op. Cit. P.I9I.

وانظر كذلك : Kirk,G :"The Syrian Crisis Of I957"(International Affairs,V.36,Part I,I960),~~P.58-~~6I.

كانت بداية هذه الازمة فشل مشروع ايزنهاور فى سوريا . ففى الوقت الذى أعلن فيه الرئيس ايزنهاور مشروعه اعتقد الامريكيون " من خطأ انه اصبح فى امكانهم فرض الحلول التى يريدون على الدول الشرقية . وكان اول خطأ ارتكبوه فى سوريا حين ظنوا انفسهم قادرين على القيام بانقلاب فيها بواسطة عملائهم من القوميين السوريين والاقطاعيين واليمينيين ، فاذا بالسلطات السورية تكشف المؤامرة وتقبض على مدبريها "[1] .

فى ذلك الوقت كانت تدلفق على سوريا موجة عارمة ساخطة على السياسة الامريكية لوقوف الولايات المتحدة الى جانب الملك حسين ، ودخولها اللجنة العسكرية التابعة لحلف بغداد ، وهذا ما دعى السيد صلاح الدين البيطار وزير الخارجية السورية الى القول بأن " مبدأ ايزنهاور وحلف بغداد جسمان لروح واحدة " . ومع ذلك " فلم يسكت الامريكيون بالرغم من افتضاح امرهم بل طلبوا من اصدقائهم حكام لبنان والاردن والعراق واسرائيل وتركيا تشديد الحصار على سوريا لعزلها وخنقها "[2] .

ومثل المحاولة الاولى ، محاولة حلف بغداد ، لم يكتب لهذه المحاولة النجاح ، بل ان سوريا عوضا عن ان تخضع مدت يدا من فوق تركيا الى الاتحاد السوفييتى واخرى من فوق اسرائيل الى مصر . فسافر خالد العظم[3] على راس وفد سورى الى موسكو وعقد مع السوفييت فى ١٦ اغسطس ١٩٥٧ معاهدة فنية واقتصادية " يسيل لها اللعاب " ثم تبعها مساعدة عسكرية ضخمة . وكان هذا كافيا وحده لان تفقد امريكا صوابها وتحاول القيام بمؤامرة جديدة سرعان ما انكشف أمرها واعلمت بها سوريا مجلس الامن[4] ، فما كان

---

(١) بيير روندو : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٣) كان وزير دفاع سوريا آنذاك .

(٤) ارسل السيد صلاح الدين البيطار ، وزير خارجية سوريا ، فى ١٦ اكتوبر ١٩٥٧ رسالة الى رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة (وكان آنذاك السير ليسلى مونرو) طالبا من الجمعية العامة ان تضع على جدول اعمالها ، موضوع عاجل وهام جدا ، البند التالى : (شكوى بخصوص تهديدات امن سوريا والسلام العالمى) . وبعد ان تذكر الرسالة ان امن سوريا واستقلالها مهددان بالخطر الى درجة تستحق اتخاذ تدابير عاجلة من الجمعية العامة للامم المتحدة بناء لميثاقها ، تستطرد الرسالة قائلة : " ويقوم فى الوقت الحاضر تهديدا عسكريا فعليا على سوريا ، ناجما عن التركيز الثقيل ، الذى ليس له سابقة من نوعه وغير مباح للفرق العسكرية التركية ، المقسمة الى عدة فروع ، وذلك على الحدود المتاخمة لسوريا . هذه الفرق التى اتخذت مواقعها ان هى الا دليل على هجوم تركى وشيك الوقوع . ولقد اعطيت الفرق التركية امرا واضحا للزحف على حلب " .

هذا ويمكن مراجعة نص الرسالة كاملة فى Keesing,s Contemporary Archieves: V.1957 P 15814 .

من امريكا الا ان ارسلت احد خبرائها السياسيين فى شئون الشرق الاوسط وهو المستر هندرسون " فى مهمة استطلاعية الى الشرق الاوسط " وهذا عوضا عن ان يتوجه الى دمشق لدراسة الاوضاع على حقيقتها نزل فى انقرة حيث قابل المسئولين العراقيين والاتراك ثم انتقل الى بيروت وعاد الى واشنطن ليعلن ان " الوضع دقيق وخطير فى الشرق الاوسط ".(١)

كان اهم ما اشتمل عليه حديث هندرسون فى اجتماع انقرة بشأن الحالة فى المنطقة عامة ، وما قاله بخصوص سوريا والشيوعية فيها على وجه الخصوص هو التالى :

" لقد تكلمت مع دالاس وايزنهاور(٢) وكلاهما نظر الى الموضوع بعين الجد .. وفى وقت مبكر من هذا الاسبوع استلم البيت الابيض ووزارة الخارجية عددا من البرقيات تختص كلها بالتطورات فى سوريا ..

" لقد حللنا الوضع ، وكان اعتقادنا ان السلطة القائمة فى سوريا تميل الى تحقيق اهداف روسيا باسم القومية العربية والنمو والحياد . .....

" نحن نؤمن انه فى خلال بضعة اشهر من هذا الحياد (المفترض ؟) فان عدة اسلحة وفنيين سوف يحضرون من روسيا وان سوريا سوف تصبح معسكرا روسيا بالتدريج (كلمة غير واضحة) . وسوف يتبع هذا الامر معاهدات بين سوريا وروسيا ، وهذا ما يجعل القيام بعمل ضد سوريا توريطا لروسيا فى الحرب . لقد شعرنا ان سوريا سوف تصبح (جهاز نقل اذاعى ؟) للتأثير السياسى فى الشرق الاوسط .

" ان قدومى هنا لمناقشة الموضوع معكم مباشرة هو الطريقة المثلى لمواجهة هذه القضايا .

" اننى لم احضر لألح على تركيا او اية بلاد اخرى وافرض عليها اتجاها معينا او خطة ، بل لانقل لكم وجهات نظرنا وان اساعدكم فى العمل . ان الامر متروك لكم فى ان تقرروا ، وان قررتم بدء العمل ، دعونا نعلم ...

" اذا قررتم العمل العسكرى ، فان الاسباب يجب ان تشرح قبل التنفيذ ، وذلك لجعل هذا العمل العسكرى ممكنا الدفاع عنه فى الولايات المتحدة .. ويجب ان توضع المشكلة فى اطار يؤكد لبقية الدول العربية ان الامر ليس حربا ضد سوريا ،

---

(١) Seale: Op. Cit. P. 300.

(٢) اجتمع هندرسون بالرئيس الامريكى ووزير الخارجية دالاس ووليم رونترى ، مساعد دالاس لشئون الشرق الادنى وجنوب اسيا وافريقيا فى ٧ سبتمبر عام ١٩٥٧ . وصرح دالاس اثر الاجتماع بان الرئيس ايزنهاور يأمل بان : " الشيوعية الدولية سوف لا تدفع سوريا الى اية افعال عدوانية ضد جيرانها " .
Keesing,s : Op. Cit. P. I5745.

لكنه عملا ضد دولة انتهازية مصلحية (مخادعة ؟) ، وان الشيوعية تناهض الاسلام بالقدر الذى تناهض به المسيحية .

" ان العربية السعودية تشك من مقاصد عراقية معينة فى سوريا ، لكن الوضع قد شرح لها .

" ان اتحادا سوريا عراقيا يجب ان لا يفكر فيه فى الوقت الحاضر . وهذا لا يعنى ان هذا الاتحاد سوف لا ينفذ فى المستقبل ؟ لكن يجب ان يتضح الان انه ليس هدفا آنيا ..

" اننى اؤكد ان العمل يجب ان يكون ناجحا مائة فى المائة عندما تقررون تنفيذه . اننا نعتقد انه متى تقرر العمل فيجب ان يكون كاملا من حيث صلاحيته . واذا كان من الضرورى ، فان تركيا ستدعى للعمل اذا ما نجم اى شئ يعيق النجاح ..."(١)

فلماذا وقفت الولايات المتحدة من سوريا هذا الموقف ؟

كانت سوريا بالفعل اول دولة عربية ، وفى منطقة الشرق الاوسط ، قد هاجمت " الفرضيات التى اقيمت عليها السياسة الامريكية " . وفى العاشر من يناير ، اى بعد اقل من اسبوع من تاريخ تقديم الرئيس ايزنهاور مشروعه للكونجرس الامريكى ، أصدرت الحكومة السورية بيانا اعلنت فيه رفض نظرية " الفراغ " ورفضت وجهة نظر امريكا القائلة بان المصالح الاقتصادية تعطى اية قوة كبرى الحق بان تتدخل فى المنطقة ، وانكرت الشائعات القائلة بان الشيوعية تمثل اى تهديد قائم ضد العالم العربى ، بل ان — " الامبريالية والصهيونية هما الخطران الدائمان " على الامة العربية .

كانت ، اذا ، اهم حجة استندت اليها الولايات المتحدة هى ان سوريا قد اصبحت شيوعية . هذه الحجة التى بدأت بالتهويل والتحذير من النفوذ الشيوعى فى سوريا ، وتطورت حتى وصلت فى النهاية الى القول بان سوريا قد اصبحت دولة تابعة للاتحاد السوفييتى .

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان سوريا قد اصبحت فى منتصف صيف عام ١٩٥٧ الدولة العربية ذات العلاقة الاوثق بالاتحاد السوفييتى ، وصحيح ان الحزب الشيوعى السورى اصبح من القوى المؤثرة فى الداخل ، الا ان الامر لم يصل الى حد القول انها اصبحت دولة تابعة للاتحاد السوفييتى .

---

(١) لقد نقلنا هذا الحديث حرفيا من كتاب : Seale Op.Cit.P. P .298/299.

وكل الفقرات الموضوعة بين مقوسين من وضع باتريك سيل ، وهى اما شرح لكلام هندرسون او موضوعة لتعبر عن عدم ايمان المؤلف بها .

لقد قام من الشواهد على النفوذ الشيوعى المحلى والدولى فى سوريا الشئ الكثير ، ولكن ليس على حساب سوريا ولا على حساب شعبها ومصلحته . بل ان الشيوعيين السوريين اعتبروا ، فى تلك المرحلة كما سنرى ، من القوى الوطنية العاملة على محاربة الاستعمار . هذا الاستعمار الذى تمثل نضال سوريا كله فى دحره والحاق الهزيمة به .

لقد كانت الغلطة الكبيرة التى لحقت بالسياسة الامريكية اعتمادها على تقارير واقوال حلفائها من حكام لبنان والاردن والعراق وتركيا وايران . فأصبحت الدبلوماسية الامريكية قاصرة عن مد بصرها وادراك القوى الحقيقية التى تفعل وتنفعل بالاحداث السورية الحارة فى تلك الآونة . فلم تأخذ الولايات المتحدة وجهات النظر المختلفة ولم تدقق فيها . وهذا نجده فيما قرره مندوب (النيو يورك تايمز) حيث قال بتاريخ ١٩ ديسمبر عام ١٩٥٧ بأنه لم يجد اثباتا لوجود كميات ضخمة من الاسلحة السوفييتية فى سوريا . وهناك تأكيدات بهذا الخصوص من قبل الرئيس السورى ورئيس مجلس الوزراء وقادة آخرون على ان سوريا لم تكن سائرة نحو الشيوعية "(١) . ولقد قال السيد اكرم الحورانى ، رئيس مجلس النواب آنذاك ، فى فبراير عام ١٩٥٧ " ليس هناك دلالة على تسرب الشيوعية فى سوريا ، ربما ظهر فى ارادة الشعب السورى هو الاصرار على مقاتلة الامبريالية حتى النهاية "(٢) . والموضوع ببساطة هو ان " القوميين العرب ، وقد ارهقوا من الوصاية الغربية ، رأوا فى يد امريكا الثقيلة تهديدا كبيرا لحريتهم .. وحتى نعترف بوجود " فراغ قوة " فى الشرق الاوسط ، حسب التعبيرات الامريكية وشروطها ، انما هو امر يدعو لنكران رغبة العرب فى ان يسيروا امورهم حسب مصالحهم ، وان يدخلوا وصيا على المسرح المحلى انما هو امر خبروه فى بريطانيا . ولكن طالما ان دمشق بقيت صامدة ، فان المستر دالاس قد بقى مقتنعا انه يمكن ان ينهى اعمال المنطق السوفييتى السائد . وعندما قارب عام ١٩٥٧ على نهايته ، فان الغزو ضد الشيوعية الدولية قد قاد سكرتير الدولة (يقصد به وزير الخارجية) الى العراك بدون جدوى مع السوريين ، حيث كان هذا العراك عنصرا اساسيا فى قفزتهم للوحدة مع مصر "(٣) .

كانت الشيوعية الحجة الاساسية ضد سوريا ، فكيف تطورت الامور الى ازمة عنيفة؟ انفجرت الازمة فى اواسط اغسطس عام ١٩٥٧ بعد انهيار العلاقات السورية — الامريكية لاشتراك ثلاثة من الدبلوماسيين الامريكيين بالاعداد لقلب نظام الحكم فى سوريا ، فاخرجوا منها حين افتضح امر محاولة الانقلاب .

---

1) Ibid. P. P. 288_289.

2) Ibid. P. 289.

3) Ibid. P. 289.

وكان للازمة مقدمات وهى من وجهة نظر غربية :

١) مع بداية شهر اغسطس قام وفد سورى برئاسة خالد العظم ، وزير الدفاع ، بزيارة للاتحاد السوفياتى وكان مجرد اشتراك كبار الضباط من الجانبين السورى والسوفياتى فى المحادثات اوحى بأن القضايا العسكرية قد احتلت مكانا بارزا فى المفاوضات.

٢) فى السادس من اغسطس اعلن انتهاء مباحثات موسكو بين سوريا والاتحاد السوفياتى بشكل ناجح .

٣) فى التاسع من نفس الشهر استقال توفيق نظام الدين رئيس اركان حرب الجيش السورى وحل محله فى ١٧ اغسطس عفيف البزرى المشهور بميوله الشيوعية (لم يقم دليل فى ذلك الوقت على وجود علاقة رسمية له مع الحزب الشيوعى ، ويبدو انه انضم الى الحزب الشيوعى عندما كان يتخصص فى باريس) .

٤) اعلنت الحكومة السورية فى الثالث عشر من اغسطس عن اكتشاف محاولة امريكية فى دمشق ، هدفها قلب نظام الحكم . وعندها ، كما قلنا ، طلبت الحكومة السورية من الحكومة الامريكية استدعاء ثلاثة من دبلوماسييها فى دمشق ، فردت واشنطن باعلان السفير السورى ، فريد زين الدين ، شخصا غير مرغوب فيه .(١)

وهنا انفجرت الازمة بين سوريا والغرب بشكل لم يسبق له مثيل .

وقال الغرب بأن هذه الازمة والاتهامات مفتعلة ، وهى من خلق الاتحاد السوفياتى . على أنه لم يقم دليل يؤكد علاقة موسكو بهذه الازمة ، كما أنه من المشكوك فيه ان موسكو قد علمت بها مسبقا . فلو ان سوريا بدأت الهجوم ، لقام احتمال بشك انها اعلمت موسكو مسبقا . ولكن السياسة الاستعمارية المتمثلة فى حلف بغداد ومشروع ايزنهاور واليمين السورى التى بدأت فى نسج وتحريك وتنفيذ خيوط تلك الازمة الحادة . يؤكد هذا الفرض اعتبارات اهمها :

---

(١) Keesing,s C. Ar. OP. Cit. P. I572I.

(١) تقرير دالاس السرى الذى ذكرناه فيما سبق .

(٢) ان الاتحاد السوفياتى اعتبر هذه الازمة غير ضرورية .

(٣) ان حزب البعث العربى الاشتراكى كان قد داخله الشك من الحزب الشيوعى في تلك الفترة . ولم يكن البعث يريد هذه الازمة التى فيها مجال للحزب الشيوعى لكى يتقوى نفوذه على حساب البعث والقوى القومية والوطنية الاخرى مهما يكن . فقد ادى انكشاف محاولة الانقلاب الى حركة تطهير كبيرة داخل سوريا كانت توجهها أسباب واعتبارات السلامة على الوطن السورى .

فهل توقعت امريكا وانصارها من السوريين والعرب ردة فعل عنيفة من دمشق . يبدو أن واشنطن لم تستطع التراجع .. أصبحت الازمة بالغة الحدة والخطورة عندما ارسلت الولايات المتحدة في ١٨ اغسطس (لوى هندرسون) الى الشرق الأوسط . كما ذكرنا . فثارت الشكوك والريب حول اهداف هذه الزيارة . وزالت الشكوك عندما بدأت محاولة غزو سوريا تأخذ طريقها الى التنفيذ بعدما القى هندرسون كلمته في انقرة .

بدأت القاهرة ودمشق وموسكو اعنف هجوم على الغرب . وكتبت (البرافدا) مقالا تحت عنوان (المساعى الخطيرة) قالت فيه ان امريكا تستخدم التهديد والضغط . وانها لم تتعلم شيئا من الدرس الذى تلقته بريطانيا وفرنسا واسرائيل من حرب السويس . وبعد أيام بدأت في الاتحاد السوفياتى حملة (ارفعوا ايديكم عن سوريا)(١) التى كانت مماثلة لحملة (ارفعوا ايديكم عن السويس) التى نظمت قبل عام واحد . وقالت جريدة (جين مين جى باو) الصينية في ٥ سبتمبر و(البرافدا) في ٨ منه ان الولايات المتحدة تعد عدوانا على سوريا ونادتا بوجوب احباط محاولة الغزو الامريكية .

ومن ناحية أخرى . فقد صرح مشروع ايزنهاور " لجيران سوريا ان يقدروا الوضع ويقرروا السياسة الواجب اتباعها ضدها(٢) . وفى نفس الوقت . كان التفكير بين خبراء الشرق الاوسط الامريكيين يتجه نحو

---

(١) وولتر لاكور : مرجع سابق . ص ٢٨٢ .

(٢) Seale: Op. Cit. P. 295.

فكرة وضع سوريا فى " حجر صحى " لعزل العدوى . وهذه " دبلوماسية حقيقية بالنسبة للولايات المتحدة " كما قالت " النيويورك تايمز) بتاريخ ٢٢ اغسطس سنة ١٩٥٧ ، ثم اضافت قائلة " تلك الدبلوماسية التى تشجع كل البلاد التى هى ضد الشيوعية فى الشرق الاوسط وتدفعها لأن تستعمل كل مايمكنها من الضغوط لكبح جماح سوريا ".

ومع أن التهويل الامريكى وجيران سوريا " قد سببا حرارة فى دمشق الا انها لم تفقد اعصابها "(١)، وصرح خالد العظم ان سياسة سوريا بالرغم من الادعاءات الامريكية سوف تبقى على " الحياد الايجابى " ثم قال : " نحن على الطرف الخارجى لتلك السياسة ، ولا يمكن اكراهنا على الخروج منها ". " أما واشنطن فلم ترتدع من هذا التحذير ، بل انها ضغطت بكل جهودها لتحريك جيران سوريا بحجة تهديدهم من الأخيرة فى عقر دارهم "(٢).

اما تركيا فقد أصبحت " حصان طروادة " أو " بمعنى سائد فى الدول العربية جندرمة (شرطى) الامبريالية الامريكية " فى منطقة الشرق الأوسط "(٣)

اما النظام الشمعونى فى لبنان فخير ماعبر عن موقفه مذكرات الرئيس ايزنهاور حيث قال :

" وتلقينا تقريرا من لبنان عن تسلل على نطاق واسع عبر حدوده من جانب سوريين يحملون متفجرات وبنادق وذخيرة "(٤)

" ومن الناحية المشجعة ، فقد كان اللبنانيون واثقين من ان غالبية الشعب السورى يمقتون طبيعة حكمهم الجديد .

" وتبين له(٥) انه فى حين ان اللبنانيين يقومون باجراءات فعالة للقبض على المتسللين فانهم يشكون فى امكان استمرار بقائهم كحلفاء للغرب لفترة تزيد عن

---

(١) Ibid: P. 295.

(٢) Ibid: P. 296.

(٣) Ibid: P. 300. وسنعود الى دور تركيا تفصيلا لانها المنفذ الرئيسى لمحاولة الغزو .

(٤) محمد عبد المولى الزعبى (لبنان بين التحرر والاستعمار) دمشق ١٩٥٨ ـ دار الحياة .

(٥) يعنى به لوى هندرسون .

ثلاثة أشهر او سته اذا لم يتخذ اجراء ما لازالة الحكومة التى يسيطر عليها السوفييت فى سوريا .

" وفى منتصف شهر سبتمبر من عام ١٩٥٧ كانت جميع الحكومات العربية باستثناء حكومة لبنان قد تخلت عن أى تفكير فى القيام بعمل جماعى .

" وتقدمت لبنان التى امتلأت بالعملاء السوريين تطلب من الولايات المتحدة ضمانات رسمية بتأييدها فى حالة تعرض اراضيها لهجوم من جانب سوريا ".(١)

اما موقف المملكة العربية السعودية فيقول عنه الرئيس ايزنهاور فى مذكراته :

" وبدا الآن ان الملك سعود لا يستطيع احد ان يتنبأ بما سيفعل قد اجمع لاتهام الولايات المتحدة بأنها المسئولة عن اثارة الكثير من المصاعب وان كنا لا نفهم سببا لهذا الاتهام .

" وقد جاءنا تفسير آخر لموقف الملك سعود فى رسالة من الرئيس اللبنانى كميل شمعون . لقد قال شمعون ان سعود يخشى اذاعة القاهرة اذا هاجمته فانها كفيلة ببساطة بأن تثير الاضطراب بها وان تشب ثورة . كذلك فان العديد من الضباط والمدرسين والفنيين المصريين الموجودين فى السعودية قد اثروا على السعوديين تأثيرا كبيرا ".(٢)

" وعقد مؤتمر قمة فى دمشق بين الملك سعود ورئيس وزراء العراق على جودت والرئيس السورى شكرى القوتلى(٣) وبعد المؤتمر اعلن الملك سعود انه يستنكر اى عدوان يرتكب ضد أية دولة عربية بما فيها سورية . ولكن لم يكد المؤتمر ينفض حتى استدعى الملك سعود الوزير الامريكى المفوض وطلب اليه أن ينقل تحياته الودية ، وانه يتطلع الى استمرار صداقتنا وتعاوننا الوثيق ، وانه يأمل فى ان يرانى قريبا .. وذكر الوزير الامريكى أن الملك سعود ابلغه هذه الرسالة بحضور السوريين ، وهو عمل يستهدف على الأرجح ان يؤثر فى السوريين فى الوقت الذى يؤكد فيه صداقته لنا ".(٤)

---

(١) من مذكرات الرئيس ايزنهاور المترجمة فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٣/١٢/١٩٦٥ .
(٢) الاهرام ، مرجع سابق
(٣) كان الرئيس شكرى القوتلى قد زار القاهرة فى قمة الازمة بتاريخ ١٧ اغسطس ١٩٥٧ .
(٤) المرجع السابق .

أما عن دور تركيا واسرائيل فيقول الرئيس الامريكى اعتمادا على تقرير مبعوثه هندرسون :

" وكان تقريره محيرا ، فقد كانت النتيجة التى توصل اليها بشكل عام ان الخوف يعم جميع بلاد الشرق الاوسط من ان السوفيات قد يستطيعون قلب حكومة كل منها عن طريق استغلال الازمة السورية ".(١)

" وبالرغم من ذلك ، فان هندرسون أشار الى وجود قدر كبير من التنافس بين العرب ، وعلى سبيل المثال فقد كان هناك منافسة شديدة متبادلة بين البيتين المالكين فى الاردن والعراق ، وكلاهما ينتمى الى الاسرة الهاشمية . وفضلا عن ذلك فقد كان من الواضح ان العراق يريد أن يتجنب أية خسارة يمكن أن تلحق بموارد دخله من البترول اذا قطعت انابيب البترول سوريا . وبوجه عام ، فان لوى هندرسون كان يرى ان استعداد العرب لاتخاذ اجراء عسكرى فى حالة قيام أية صعوبة بسبب الحدود مع سوريا استعداد ضئيل ".(٢)

" على انه قال ان الاتراك لا يزالون مصممين على ازالة الحكم السورى ، لانهم يخشون فى حالة عدم القيام بأى عمل ضده من ثورة واضطراب داخلى يجتاح بلادهم . وكان مندريس على استعداد لأن يقدم على العمل ".(٣)

أما دور اسرائيل فى خطة الغزو فكان يقضى بابعادها عن العمل العسكرى المزمع تنفيذه ضد سوريا من قبل العراق وتركيا ولبنان والاردن . ذلك ان امريكا يهمها كثيرا ، لتأكيد دعواها بأن سوريا أصبحت شيوعية وانها البادئة بالعدوان على جيرانها ، ان تعطى اسرائيل دورا محددا لا يضمها الى الدول العربية أو الاسلامية التى " ستحرر سوريا من الشيوعية وترد العدوان السورى ".(٤)

---

(١) المرجع السابق (٢) المرجع السابق

(٣) (الاهرام) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق

ان ما قاله ايزنهاور فى مذكراته وان لم يتطابق مع المعنى السابق الا أنه يتفق معه فى النهاية . فلقد كتب بهذا الخصوص : " ... فاننا سعينا على الفور للحصول على ضمانات من الاسرائيليين بأنهم سيمتنعون عن استخدام الاضطراب الحالى كفرصة لوضع يدهم على مناطق جديدة .. واذا ما تصرف الاسرائيليون فى الخفاء فان نتيجة تصرفهم ستكون الفوضى المطلقة (١)

ولقد نشرت جريدة (النجم الاحمر) السوفياتية بتاريخ ١٠ سبتمبر عام ١٩٥٧ ماكان يمكن أن يكون خطة لغزو سوريا بعنوان (خطة شيطانية امريكية) . وقدمت الجريدة عملية تنفذ على خمس مراحل حيث تعيد فيها الولايات المتحدة صورة العدوان الثلاثى على مصر (٢) .

ومراحل هذه الخطة التالية :

١) تقوم اسرائيل بتحركات استفزازيه على الحدود المشتركه مع سوريا (٣) .
٢) تركز تركيا قواتها المسلحة على الحدود الشمالية لسوريا استحضارا لامكانية تصادم سورى اسرائيلى .
٣) يركز العراق بدوره قواته المسلحة على حدود سوريا الشرقية والشمالية الشرقية بحجة القيام بنجدة سوريا .
٤) تقوم الطائرات العراقية والتركية بخرق الحدود السورية بعد أن تدعيا بأن سوريا قد غزت حدودهما .
٥) ثم تتقدم الدولتان داخل سوريا ، وتستفيدا فى نفس الوقت بالمساعدة الامريكية لرد الهجوم السورى .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) جاءت هذه الخطة بمراحلها الخمس فى كتاب باتريك سيل . Seale: Op. Cit. P. 301-302.

(٣) ليس هناك من أى تعارض بين قيام اسرائيل بتحركات استفزازية لالهاء الجيش السورى وتحويله كله الى حدود اسرائيل كما فعلت دول العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ لتحويل الجيش المصرى الى سيناء وعزله ، وبين طلب امريكا من اسرائيل الامتناع عن استخدام الاضطراب الحالى كفرصة لوضع يدهم على مناطق جديدة .

وتنفيذا للخطة السابقة تلقى الاسطول السادس الامريكى فى السادس من سبتمبر الأمر بالتوجه الى قرب الساحل السورى . وازدادت الاستعدادات العسكرية على الحدود السورية من كل جوانبها . وفى هذه الاثناء ارسلت مصر ، بناء لاتفاقية الدفاع المشترك بينها وبين سوريا ، وحدات من الجيش المصرى ترابط على الحدود مع اسرائيل وتركيا .

لقد كان دور العراق اساسيا فى خطة الغزو ، ولكن العراق خاف ان ينسف السوريون انابيب البترول فتحول الدور الأول الى تركيا [١] وهذا ماقرره الرئيس ايزنهاور فى مذكراته حيث قال : " على أن الموقف الذى بدا واضحا فى أول الأمر سهلا سرعان ما أصبح غامضا فقد كانت الرسائل ترد الى واشنطن يوميا ، بل فى كل ساعة ، وكان مضمونها ابعد مايكون عن الاستقرار ، ففى حين ان المعلومات الاولية كانت تشير الى امكان قيام العراقيين بعمل عسكرى سريع وامتناع الاتراك عن مثل هذا العمل ، بدأت الآن شواهد على عكس هذا الترتيب . وكان الرادع الذى يخشاه العراقيون هو الخطر على دخلهم من البترول الذى سينجم عن قطع سوريا للأنابيب التى تمر عبر اراضيها . وكان ذلك يعنى تعريض نصف دخل العراق من البترول — وقدره ٤٠٠ مليون دولار للخطر [٢]

كانت تركيا تعيش ازمة عنيفة فى الداخل ، وللخروج من تلك الازمة اندفعت حكومتها أكثر فأكثر للارتباط بكل المخططات الغربية ضد الشرق الاوسط منذ حلف بغداد ، وقبله منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط . كل ذلك للاستفادة من المساعدات الجديدة التى قد تكون ثمنا لاستخدام تركيا للضغط على الدول العربية كما حصل عام ١٩٥٧ عندما حشدت تركيا جيوشها على حدود سوريا بناء لطلب الدول الغربية [٣].

---

(١) لم يكن دور العراق جديدا ، بل كان قديما حسب ماقرره الجنرال غازى الداغستانى أثناء محاكمته بعد ثورة ١٤ يوليو فى العراق ، فقال ان نورى السعيد دعاه الى وزارة الدفاع بعد خمسة أشهر من الهجوم الثلاثى على مصر — أى فى ربيع عام ١٩٥٧ — وعرض عليه خطة الانقلاب فى سوريا يحميها ثلاثة هجومات من الجيش العراقى على حلب وحمص ودمشق . وأضاف الداغستانى قائلا : " لقد اخبرنى ان القائد العام للجيش يجب أن يتخذ الخطوات اللازمة لتحضير الجيش للعمل " ولقد اعطى للانقلاب الداخلى فى سوريا اسما رمزيا هو " عملية نصر " بينما اطلق على التدخل العسكرى العراقى اسم " سيف العرب " وانظر بعضا من شهادة الداغستانى امام محكمة الشعب العراقية فى كتاب Seale: Op. Cit. P. 270.

(٢) مذكرات ايزنهاور ترجمة الاهرام مرجع سابق .

(٣) بيير روندو مرجع سابق ص ٢٩ .

ان يبلغ الاعضاء البارزون فى الكونجرس فى اليوم التالى بالتحركات التى ستتخذ ، كما أصدرت الأوامر الى قواتنا " المستحدة " ولا سيما قيادة القوات الجوية الاستراتيجية بأن تكون فى حالة تأهب (١)

" وبعد الانتهاء من هذه الاجراءات التمهيدية أوفدت السفير لوى هندرسون نائب وكيل الوزارة للشئون الادارية الى انقره حيث يجتمع الملك حسين ملك الاردن مع الوصى على عرش العراق والملك فيصل ، وحيث تتاح للسفير هندرسون فرصة ممتازة للحصول على موافقة رؤساء الدول هؤلاء على تلك الاجراءات (٢)

" ولقد عكست الاستجابات التى تلقيناها على رسائلنا المختلفة ادراكا مشتركا لخطورة الموقف . ولكن فيما عدا ذلك فانها اختلفت اختلافا بينا . لقد كان رئيس الوزراء التركى مندريس متفائلا . كما أن رئيس الوزراء الاسرائيلى بن غوريون ادرك بسرعة ضرورة امتناع اسرائيل عن الزج بنفسها بأية صورة فى المعركة ، ولكنه طالب بشدة بأن تقوم الولايات المتحدة باجراء عاجل ومباشر ضد سوريا ، فقد كان مقتنعا بأن سوريا أصبحت بالفعل شيوعية حيث قال فى رسالته الأولى : " من المستحيل أن نفرق بين سوريا وروسيا " .. وختم رسالته بأن اسرائيل هى الهدف النهائى للاسلحة التى يجمعها الاتحاد السوفياتى فى سوريا وقال : " ان جعل سوريا قاعدة للشيوعية الدولية من " اخطر الاحداث التى تعرض لها العالم الحر فى عصرنا (٣).

والسبب فى هذه الاجراءات التى اتخذتها الولايات المتحدة ضد سوريا يعود الى عدة اعتبارات اولها ، كما يقول الرئيس ايزنهاور فى مذكراته ، ان سوريا كانت اكثر قابلية للتغلغل الشيوعى من مصر (٤) " وفى هذه الظروف فان معظم بلاد الشرق الاوسط بدت تعتقد بضرورة القيام باجراء عسكرى ، وتقول ان هذا

---

(١) المرجع السابق (٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

(٤) وفى هذا المعنى يقول دالاس : " يمكننى أن اؤكد أن قادة الشيوعية الدولية سيقدمون على أية مخاطرة يجرأون عليها فى سبيل أن يكسبوا الشرق الأوسط من كتاب باتريك سيل (الصراع حول سوريا) ص ٢٨٥ . وأصبحت المشكلة لدى دالاس هى فيما اذا كان الغرب وجيران سوريا سيصبرون على الذيل السوفياتى فى المنطقة (بنيويورك تايمز ١٨ اغسطس) .

وبهذا وضعت الحكومة التركية على استعداد تام للقيام بالعمل المرسوم لها " فقد زادت القوات التركية على الحدود السورية من ٣٢ الف جندي الى ٥٠ الف جندي ، وهذه الزيادة قد لاحظتها المخابرات السوفياتية وراحت تستخدمها كحجة في زيادة صراحة موقفهم (١)

بعد هذا بدأت الامور تسير مسرعة لا يوقفها رجاء ، فقررت الولايات المتحدة اتخاذ اجراءات سريعة " وقررنا اولا أن نبعث برسالة الى مندريس رئيس وزراء تركيا ليبلغها الى جيرانه (وكنا نعلم ان زعماء العراق والاردن كانوا في ذلك الوقت في اسطنبول) وكانت الرسالة تتضمن تأكيدات بأنه اذا أحست الدول الاسلامية المجاورة لسوريا بضرورة اتخاذ اجراء ضد العدوان من جانب الحكومة السورية ، فان الولايات المتحدة تتعهد بالاسراع بشحن الاسلحة التي سبق الالتزام بشحنها الى دول الشرق الأوسط ، كما انها بالاضافة الى ذلك تتعهد بأن تعوض أية خسارة في هذه الاسلحة بأسرع ما يمكن (٢)

أما الخطوات العملية التي اتخذتها الولايات المتحدة بعد أن قررت العمل سريعا فيقول عنها الرئيس ايزنهاور : " وكخطوة اولى ارسلت الطائرات الامريكية في اوربا الغربية الى القاعدة الامريكية في " اضنه " بتركيا لتكون مستعدة في حالة الحاجة اليها ، كما صدرت الأوامر (٣) مرة أخرى الى الاسطول السادس بأن يبحر الى المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط .

" ولقد كنت ادركت ان التوتر في الشرق الاوسط والاجراءات التمهيدية التي كنا نتخذها يمكن أن تؤدي الى خطر حقيقي للحرب . وذلك انه اذا ادى العدوان السوري الى اقدام العراق على القيام بعمل عسكري ، واذا ثارت الصعوبات امام هذه الحملة واضطر الاتراك الى الاقدام على مساعدة العراقيين فان السوفييت قد ينتهزون الفرصة في التحرك ضد تركيا . فاذا ما حدث ذلك فاننا سنواجه حربا أكبر من ذلك بكثير . ومع ذلك ، فان البديل — وهو الا نفعل شيئا ونفقد الشرق الأوسط كله للشيوعيين — اسوأ ، وبالنظر الى هذه الاحتمالات فاني طلبت

---

(١) مذكرات ايزنهاور مرجع سابق .

(٢) جريدة الاهرام ، المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

الاجراء يجب أن يتم قبل أن تتاح الفرصة للسوريين والسوفييت لتوقيع واذاعة معاهدة دفاع مشترك ، او قبل أن تعتبر سوريا رسميا دولة شيوعية تابعة .. واذا كانت سوريا قد توغلت في يساريتها الى الحد الذى تصوره جيرانها ، فان مثل هذا العمل العدوانى من جانبها لابد أن يتم في وقت قريب ، ويصبح الرد عليه ضروريا " وبهذا أصبح الاعتقاد قويا بأن الشيوعية قد سيطرت على سوريا ، ويضاف الى ذلك اننا تلقينا تقارير حديثة تؤكد أن الاسلحة ترسل الى سوريا من الكتلة السوفياتية ".

أما الحجة الثانيه فتتلخص في أن سوريا عندما تصبح شيوعية ستعتدى على جيرانها وتثير الاضطراب في الشرق الاوسط ، ويمكنها أن تثير القلاقل في الأردن وتركيا ولبنان والعراق مستغلة الظروف السيئة التى تعيشها شعوب تلك الدول .

كان الاردن يعيش ازمة حادة قامت ما بين الملك والقوى الوطنية ، وفي خلال المراحل الاخيرة من تلك الازمة في خريف عام ١٩٥٧ " بدأت الحوادث تتجه في سوريا نحو القمة التى ركزت الاهتمام مرة أخرى في العالم نحو المنطقة العربية .. وأصبح الشعب والاقطار العربية المتقاطعة مع ناصر في حمى متزايدة وفي قوة هائلة .. (١)

والعراق يريد السيطرة على سوريا من ناحية ويريد التغلب على مصر عن طريق اخضاع دمشق . ولبنان الشمعونى التزم بمشروع ايزنهاور وارتبط بالغرب سياسيا .

ـ فما هى النتائج التى انتهت اليها هذه الازمة وهذا الغزو الذى لم يتم ؟ لم يكد عام ١٩٥٧ ينتهى حتى بلغ التقارب المصرى السورى أوجه ، وبدأت الدولتان باتخاذ خطوات عملية نحو الاتحاد . وكانت مقدمة هذا الاتحاد المعونة العسكرية العاجلة التى ارسلتها مصر الى سوريا . فعندما " بدأت الفرق العسكرية التركية تتحرك نحو الحدود السورية خلال فترة عدم الاستقرار الحكومى السورى ، فان

---

(١) Cremeans: Op. Cit. P. 159. ولمزيد من التفاصيل عن الازمة الاردنية وعلاقتها بالازمة السورية راجع مجلة (العالم اليوم) المجلد ١٣ ـ رقم ١٢ لسنة ١٩٥٧ ص ٥١٤ يراجع كذلك ؛ Campel: Op. Cit. P. 129.

السوريين قد دعوا الفرق العسكرية المصرية لتساعد في الدفاع عن البلاد • ومع نهاية العام ، لم ينشد معظم السياسيين الروابط الأقوى فقط ، ولكنهم طالبوا بالاتحاد الكامل مع مصر (١) •

طلب الوحدة مع مصر اذا كان أول نتيجة انتهت اليها تلك الازمة •

اما النتيجة الثانيه فهي تدخل الاتحاد السوفياتي بشكل سافر وعلني في المنطقة ، واعلان التأييد ، والحرب اذا لزم الأمر ، لسوريا • وفي هذا تقوية لمركز الشيوعيين العرب بشكل عام وللشيوعيين السوريين على وجه الخصوص • فالغرب اذا يتحمل المسئولية المباشرة عن نفوذ الشيوعيين الذي ظهر في سوريا • لم يكن النفوذ الشيوعي سببا لغزو سوريا ، بل تعتقد أن التهديد الغربي قد قوى كثيرا من النفوذ الشيوعي داخل سوريا وخارجها في المنطقة الغربية •

فما هو الدور الذي لعبه الاتحاد السوفياتي أثناء ماسمى "الأزمة السورية" •

يقول الرئيس ايزنهاور عن موقف الاتحاد السوفياتي من الحشود التركية والاستعدادات الامريكية لغزو سوريا : " وفي ١٨ اكتوبر ادلى المستر خروشوف بحديث الى مراسل امريكي مشهور هو (جيمس رستون) (٢) اتهم فيه الولايات المتحدة بأنها تحاول اثارة الحرب بسبب سوريا • وأكد خروشوف ان لوى هندرسون قد تلقى تعليمات محددة بهذا المعنى ، وانه عندما فشلت الولاية المتحدة في الحصول على تعاون العرب راحت تحاول اقناع تركيا بشن الهجوم ، وقال خروشوف جملة كان من الواضح انها موجهة للاستهلاك التركي : " اذا انطلقت البنادق فان الصواريخ ستبدأ في الانطلاق " •

وفي مؤتمر صحفي اعاد فوستر دالاس التأكيد بأنه " اذا حدث هجوم سوفياتي على تركيا فان ذلك لن يعني مجرد عمل دفاعي من جانب الولايات المتحدة ضد هجوم يقوم به السوفييت على تركيا من معبد مقدس " •

ومن جهة أخرى فقد ارسل رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، بولغانين ، في

---

(١) Paretz, D : "The Middle East Today", (Holt, Rinehart and Winston, U.S.A. 1963) P. 361.

(٢) وهو مندوب جريدة (نيويورك تايمز) • ومما قاله خروشوف في حديثه للمراسل المذكور : " ان تركيا لن تقاوم يوما واحدا اذا ما وقعت الحرب " •

١٠ سبتمبر عام ١٩٥٧ رسالة الى رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس حذره فيها بأن تركيا تعرض نفسها لاخطار شديدة فى حشد جيوشها على الحدود السورية ، مدفوعة بهذا العمل من قوى اجنبية غير مسئولة عما اذا تعكر صفو السلام فى منطقة الشرق الاوسط ام لا . وبعد أن قال ان السبب الرئيسى ، فى التوتر بمنطقة الشرق الاوسط ، قد تأتى من التدخل الواضح من قوى معينة فى مصالح دول المنطقة ، ذكر ان كل الضغوط العسكرية والاقتصادية والسياسية التى تواجهها سوريا ومصر انما هى نابعة من خارج المنطقة . " وفى خلال الأسابيع المنصرمة فان التهديد والضغط على سوريا قد وصل الى حد الخطر . وان الزيارة الأخيرة التى قام بها هندرسون الى منطقة الشرق الأوسط انما هى نابعة بشكل واضح من الرغبة فى القيام بتدخل عسكرى خارجى ضد سوريا .

ويصل الى حد تحذير تركيا فيقول : " واننا لنعتقد بأن تركيا سوف لا تجلب سوى افدح الخطر على نفسها اذا ما سارت على أية نصيحة من تلك النصائح الأجنبية عن المنطقة ، وهى القوى الغير مهتمة بالمحافظة على السلام فى الشرق الأوسط (١) .

بعد هذا مالبثت تركيا ان تراجعت عندما عرض الملك سعود وساطته بينها وبين سوريا . فقبلت وساطة الملك اما سوريا فرفضتها .

اما النتيجة الثالثة لهذه الازمة فهى دخول سوريا ، ومعها المشرق العربى ، الى الحرب الباردة بشكل كبير وخطير .

على أية حال ، فلم يكد ينتهى عام ١٩٥٧ الا وكانت الامور قد اتضحت فى سوريا ومن حولها ، وهدأت الى حد ما تلك العاصفة التى هبت رياحها من كل جانب . ولكن " مع ان التهديد المباشر ضد سوريا قد تقلص ، الا أن العراق ولبنان والاردن والسعودية العربية قد بقيت ملتحمة مع الغرب (٢) . وهذه النتيجة الرابعة " اما سوريا ومصر فكانتا البلدين العربيين الوحيدين اللذين اتبعا نفس السياسة والعقائدية الأساسية : ومن المناسب الاتحاد فى هذه الفترة . ان الزيارة الناجحة التى قام بها الوفد البرلمانى المصرى الى دمشق فى أواخر نوفمبر عام ١٩٥٧ قد ساعدت على تطور هذا الشعور (٣) .

وبالرغم من ذلك فقد ظل التوتر يسيطر على سوريا ، وظلت حالة التعبئة

---

(١) Keesing,s C. Arch. (V.1957) P. 15811.

(٢) Seale: Op. Cit. P. 317.

(٣) Ibid: P. 318.

النفسية والعسكرية قائمة ، فأبقت الحكومة السورية حالة الطوارئ في البلاد ، وصرح خالد العظم بأن خطر الغزو لا يزال يهدد سوريا ، وتواترت في نفس الوقت انباء عدة عن مؤامرات داخلية وخارجية وعن خطط تركية واسرائيلية وعن مؤامرات اردنية عراقية .

وكانت المرحلة الاخيرة من الازمة هي اقصر المراحل ، ذلك لأنها تتعلق بالقاهرة اولا واخيرا كمنقذ ، فقد انتهت تلك الازمة فجأة ، وبمرة واحدة ، اذ تحولت سوريا الى اقليم شمالي من دولة جديدة ، وكان ذلك نتيجة للوحدة مع مصر في أول فبراير عام ١٩٥٨ ، هذه الوحدة التي كانت تطورا غير متوقع للأزمة ، " لقد تمت تسوية القضية السورية بجعلها دولة منظمة بوضوح وثبات ، عن طريق اتحادها مع مصر في عام ١٩٥٨ ، وبهذه الخطوة انتهت الضغوط التي وجهت الى سوريا من كل من بريطانيا والولايات المتحدة والعراق والاتحاد السوفياتي ، هذه الضغوط التي وصل الأمر فيها ان تتدخل في الشئون السورية الداخلية "(١)

* * *

وحتى تكتمل الصورة التي رسمناها للعوامل او الأسباب الخارجية التي حددت بسوريا الى طلب الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ لابد من ذكر الصراع العنيف على النفوذ بين الدول الغربية الكبرى والذى تجسد بأوضح ما يكون في المشكلات التي ثارت في وجه سوريا ان من الخارج ، كما رأينا ، وان من الداخل ، كما سنرى في الفصل القادم .

قد يتبادر الى الذهن نتيجة لعرضنا السابق في الفصل الاول ان الدول الاستعمارية " القديمة والحديثة ، كانت تنسق سياساتها في المنطقة بغرض اتباعها للمعسكر الغربي . ان الحقيقة هي غير ذلك على الاطلاق . لقد قام تناقض شديد بين الدول الاستعمارية في المنطقة . هذا التناقض ليس قاصرا على الشرق الأوسط ، بل انه تناقض يمتد على أية بقعة ومنطقة في العالم . أما سببه فهي النتيجة التي انتهت اليها الحرب العالمية الثانيه متمخضة عن بلوغ الولايات المتحدة لمستوى كبير من القوة العسكرية والاقتصادية ، فهيأت نفسها ، وعملت ، على أن تحل محل كل من فرنسا وبريطانيا في أية بقعة من العالم . وفي هذا أكبر

---

(١) Kerr: Op. Cit. P. P. 6-7.

التهديد لمصالح الدولتين الاستعماريتين التقليديتين (١) .

وما يهمنا من هذا التناقض هو ذلك الذى وقع ، ويقع ، فى المشرق العربى ، منطقة الشرق الاوسط ، لانه يعكس صورة من صور الحرب الباردة من ناحية ، ويفرق بشكل واضح بين شكلين للاستعمار ، الشكل التقليدى القديم والشكل الحديث الامبريالى ، من ناحية أخرى .

كانت منطقة الشرق الأوسط ، ولا زالت ، من اكثر المناطق جاذبية لعوامل الحرب الباردة بين المعسكرين ، الشرق والغرب . ولهذا فقد ارتبطت الاحداث الداخلية فى هذه المنطقة بمخططات الصراع الدولية بين المعسكرين . وبات من المتعذر فهم أى تحول داخلى دون ربطه بظروف السياسة العالمية وما تباشره من ضغط وتسر على هذه المنطقة . ولا ريب فان الثورية العربية كان عليها أن تخوض نضالها الصريح ضد نفوذ المعسكرين المتناقضين لتؤكد خصوصية وذاتية المشاكل التى تعيشها المنطقة العربية بابعادها عن مجالات صراع الحروب الباردة .

وبينما بدا أن الاستعمار الانجليزى ـ الفرنسى ، فى هذه المنطقة من العالم ، يتعرض لضغط غير مباشر من قبل السياسة الامريكية الجديدة فى سبيل ان يتنازل عن نفوذه ، أو أن يسعى الى تطوير اشكال استعماره البالية المهترئة لضمان تبعية الشعوب العربية الى المعسكر الغربى ، فان المعسكر الشرقى دأب على طرح سياسة تقدمية أساسية بالنسبة الى الشعوب المتخلفة والمستعمرة فى انحاء العالم ، طرحها ليساعد على تخليص تلك الشعوب من اشكال العبوديات القديمة المقترنه بتاريخ نمو الرأسمالية الغربية . وراح المعسكر الشرقى يبحث عن ثغرة يتسلل منها الى المنطقة العربية التى ظلت مغلقة فى وجهه فترة طويلة من الزمن حيث كانت حكرا لبريطانيا وفرنسا .

ومع هذا فان التناقض بين الدول الاستعمارية قبل أن يدخل الاتحاد السوفياتى كطرف فى الصراع الدولى فى المنطقة العربية كان يسمح باعطاء فرص امام الثورية العربية

---

(١) انظر Campell: Op. Cit. P. 39.

وهو يتحدث هنا عن مركز بريطانيا المتفوق تاريخيا فى الشرق الأوسط ، ومحاولة الولايات المتحدة وراثة نفوذها فى المنطقة .

لتشق طريقها وتؤلف تيارا من القوى الخاصة النابعة من ظروف هذه المنطقة ،
ومع ذلك فلم تكن امريكا تابعة لهذا التيار ، ولم تكن تحسب حسابه ، وبالاحرى
فان السياسة البريطانية قد قامت ، منذ أن تسلمت الكثير من الاقاليم العربية
من الاستعمار التركى المنهار ، قامت على قواعد مدروسة لأمد طويل من أجل عرقلة
نمو الحركات الثورية التحررية العربية ، التى تيقنت السياسة البريطانية من انها
تكمن فى طموح الشعب العربى نحو الوحدة ، فخلقت منذ القديم مختلف محاور الصراع
والانعزال داخل هذه المنطقة عن طريق تثبيت عروش رجعية او حكومات ديمقراطية
مزيفة او امارات عشائرية (١) .

أما بداية دخول الولايات المتحدة الى المنطقة فيمكن تحديدها تاريخيا بأنها
بعد تأميم بترول ايران ومساعدة امريكا لبريطانيا فى ضرب حكومة مصدق لقاء
تنازلها عن قسم كبير من امتيازاتها البترولية لامريكا ، هنا بدأت انجلترا تشعر
أن الولايات المتحدة هى منافستها الحقيقية لا روسيا .

فى ايران اذا ، اتفقت السياستان على ضرب الحركة الوطنية ، هادفتان من
وراءها هدفين مختلفين . أما فى المنطقة العربية فقد قامت تناقضات أساسية
بين الدول الغربية تفتيشا عن مناطق النفوذ ، وتحقيقا للمكاسب التى كانت
تسعى اليها الدول الكبرى . اذ أننا نلاحظ انه ما أن تم طرد الاستعمار الفرنسى من
سوريا ولبنان — التناقضات بين فرنسا وانجلترا لعبت دورا رئيسيا فى هذا
المجال — نقول ما أن تم طرد الاستعمار الفرنسى من سوريا ولبنان حتى بدا الشرق
الاوسط وكأنه منطقة خاصة بالاستعمار البريطانى وحده . ولكن تطور النضال
القومى وتناميه جاء ليؤكد اعجز الاستعمار البريطانى عن مواجهته .

أما الولايات المتحدة فقد تسلمت زمام المبادرة فى تركيا واليونان عام ١٩٤٧ ،
وأصبحت السعودية القاعدة الامريكية الرئيسية فى الشرق الاوسط . وجاءت احداث
التأميم فى ايران ثم انقلاب زاهدى لتكريس النفوذ الامبريالى الامريكى فيها .
وتسربت امريكا الى عراق نورى السعيد بواسطة الوصى عبد الاله وفاضل الجمالى
بموجب اتفاقية الأمن المتبادل فى ابريل عام ١٩٥٤ ، واصبح لها دور أساسى

---

(١) مطاع صفدى مرجع سابق ص ٣٤٧ .

في الاردن بعد طرد " جلوب " واقالة وزارة النابلسي في ابريل عام ١٩٥٧ ، وفي لبنان لعب كميل شمعون دورا كبيرا في اضعاف النفوذ الفرنسي والارتباط رويدا رويدا بالاستعمار الانجلو امريكي الى أن ارتبطت حكومة سامي الصلح بمبدأ ايزنهاور عام ١٩٥٧ (١) .

ليس هذا فحسب بل ان التناقضات التي وضعت فيها الدول الاستعمارية الكبيرة في المنطقة العربية لم تمنعها من أن تكون تلك الدول ، مجتمعة أو منفردة ، عقبة في وجه الوحدة العربية . فمع الرياح الثورية التي لفت المعمورة في اعقاب الحرب العالمية الثانيه بدأت مواقع الاستعمار التقليدي بالاهتزاز والتساقط في الوطن العربي . ان الاحتلال الاستعماري كاد أن ينقشع عن العالم العربي ، وقد اصيبت القوى الامبريالية بضربة شديدة في عام ١٩٥٦ . ولكن النفوذ الامبريالي بأشكاله الجديدة ، بتكتيكه الجديد ، بمرونته البالغة وشراسته ، ما زال يشكل العقبة الأساسية في تطور الشعب العربي باتجاه الاشتراكية والوحدة العربية .

اتحدت اذا مصالح الاستعمار في احداث هامة في المنطقة مثل :

١) انشاء اسرائيل .
٢) ادخال المنطقة الى مجالات الحرب الباردة .
٣) تأميم مصدق لبترول ايران فيوانقلاب زاهدي .
٤) حرب السويس عام ١٩٥٦ .

لم تختلف الدول الاستعمارية فيما بينها ، ولكن الفروقات كانت تنحصر فقط في الوسائل . وظهر التناقض بينها كأوضح مايكون في المناطق الغنية في مواردها البترولية والاقتصادية . هو اختلاف وتناقض على المكاسب " والأسلاب " فقط .

من هذه التناقضات العنيفة وضع سوريا بالنسبة لكل من بريطانيا وفرنسا والعراق . فقد اتحدت مصلحة العراق وبريطانيا في سوريا . وتحالف العرش العراقي بحماس مع بريطانيا ، بينما العديد من الحكومات المصرية بحثت عن وضع يمكنها

---

(١) ياسين الحافظ مرجع سابق ص ١٦٦ ـ ١٦٧ . اما بخصوص موقف لبنان وانحيازه الى الاستعمار الانجلو امريكي في تلك الفترة يراجع كتابنا (لبنان بين التحرر والاستعمار) دمشق ١٩٥٨ ـ مطبعة الحياة .

من وضع نهاية للمعاهدة الانجليزية — المصرية • كان من الاهداف الثابتة للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ان تحتفظ بالعراق قويا وصديقا لها • وعلى هذا فان عملية جر سوريا الى العراق ماهي الا صورة اخرى لتطابق المصالح العراقية البريطانية في مستقبل سوريا • وكما قاومت مصر جهود العراق في هدفها هذا ، كذلك فعلت فرنسا ، حتى عام ١٩٥٦ ، وقاومت جهود بريطانيا في سوريا • ذلك لأن الفرنسيين كانوا غيورين على التأثير التجاري والثقافي والسياسي الذي تبقى لهم بعد تقلص انتدابهم على سوريا ولبنان ، ولم ينسوا الحكم البريطاني وكيف أنه لعب دوره خلال الحرب الثانية في تقليص النفوذ الفرنسي في سوريا • ولقد كان من الساسة والعسكريين السوريين اولاءك الذين تشدهم الى مختلف التيارات السياسية في العالم العديد من الروابط منهم الفرنسيين ومنهم الانجليز ومنهم المصريين ومنهم السعوديين او العراقيين • واخذ البعض اعانات مالية من جهات عديدة والبعض الآخر قد اضمر عدم الثقة بكل الأحزاب والفئات الخارجية • ومنذ عام ١٩٥٥ وما تلاه اتصلت (اللعبة) بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على حد سواء •

من دراستنا لحلف بغداد ومشروع ايزنهاور اتضح لنا بشكل واضح مدى التنافس الذي قام بين الدول الاستعمارية في المنطقة بشكل عام ، وفي سوريا على وجه الخصوص يؤكد هذا القول مايلي :

١) الضغوط التي واجهتها سوريا قبل الوحدة لم تكن منسقة صادرة من عاصمة كبرى واحدة • بل تعددت مراكز العمل داخل سوريا تبعا لتعدد الدول التي كانت تضغط عليها (١)

٢) محاولة امريكا الدائبة على أن تحل محل بريطانيا في المنطقة على أساس من الاستثمارات الاقتصادية والبترولية ، ومحل فرنسا ثقافيا (٢)

٣) ان مشروع ايزنهاور لملأ الفراغ في الشرق الاوسط لخير تعبير عن مدى التناقض الذي ثار بين الدول الاستعمارية •

---

(١) Kerr: Op. Cit. P. 3.

(٢) يدافع (جون كامبل) عن مشروع الرئيس ايزنهاور بخصوص هذه النقطة في مقالة بمجلة Foreign Aff. ص ١٥٠ ، قائلا ان الحجة التي تقول بأن المشروع يحاول أن يحل مكان بريطانيا وفرنسا في المنطقة بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ يمكن انتقادها • ذلك أن المشروع لم يذكر شيئا عن حلفاء امريكا أو عن الاحلاف الجماعية في المنطقة أو غيرها ، انما ذكر فقط ان الولايات المتحدة الامريكية ستعطي مساعدة للدول أو مجموعات الدول التي تريدها بدليل ان حلف

ان اوضح مثل على مدى تناقضات الدول الاستعمارية في المنطقـة وعنفها هو مشروع ايزنهاور • فلقد جاء هذا المشروع بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ هـذه المعركة التي بدأت بعدها صفحة جديدة في النضال العربي ضد الاستعمار حيث تداعت قوى الاستعمار الفرنسي والانجليزي ، واشتدت محاولات الولايات المتحدة للتسلل بغية الاستيلاء على " التركة " وتجميد النهوض الثوري للشعوب العربية ، وحماية التجزئة ، " وبين الغزاة القدماء والغزاة الجدد حدثت ، وتحدث ، تحالفات ومساومات وتناقضات ، الا أن الاستراتيجية العامة لجميع فرقاء الجبهة الاستعمارية متماثلة — بالأساس — في اهدافها : منع النهوض الثوري للجماهير العربية اولا ، وحماية التجزئة ثانيا " (١)

ان الامبريالية الامريكية التي كانت تهيء نفسها لاحتلال مواقع الاستعمار التقليدي في البلاد العربية ارادت أن تجنب نفسها النزول مباشرة في " خندق واحد مع قوى الاستعمار القديم " • وبهذا الأمر والمرونة تتجنب الادانة المباشرة والحاسمة كما حصل لانجلترا وفرنسا نتيجة العدوان على مصر • ان انهيار النفوذ الاستعماري التقليدي في المشرق العربي بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ " وما يتبعه من مبادرات وهجمات قامت بها الامبريالية الامريكية لـ " ملء الفراغ " حين اعلن ايزنهاور مبدأه في اوائل عام ١٩٥٧ دليل واضح على هذه الحقيقة " (٢) •

* * * *

التناقضات الاستعمارية في المنطقة اذا هي من الأسباب التي ادت الى ما سمي " بالازمة السورية " ولكن لا يمكن تحديد الابعاد الحقيقية لأسباب تلك الازمة الا اذا ربطنا الوضع الخارجي الذي يحيط بسوريا بالوضع الداخلي الذي كان واقعا تعاني منه سوريا في نهاية عام ١٩٥٧ • وفي هذا النطاق والتصور يمكن تحديد الأسباب الحقيقية لازمة عام ١٩٥٧ في سوريا •

= بغداد لم يذكر بالرغم من ان الرئيس ايزنهاور أشار الى خطوة رسمية مفادها ان أي تهديد أو هجوم ألوانه من ايران أو العراق أو باكستان أو تركيا ستواجهه الولايات المتحدة الامريكية بأقصى واعنف رد ممكن •

(١) ياسين الحافظ : مرجع سابق ، ص ١٦٥ •

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧ •

من أهم السمات البارزة لسوريا ، كدولة وشعب ، هى أن أية معركة خارجية مع أى خصم لها ، سرعان ماتعكس نفسها على الوضع الداخلى فى احزابه وتجمعاته ، فى اديانه ومذاهبه ، فى رفاهيته وركوده الاقتصاديين • وبالمقابل فان أية معركة داخلية تعكس نفسها بصورة تلقائية متخطية الحدود السورية الى جيرانها اولا ، والى المشرق العربى ثانيا ، والى الشرق الأوسط وما يرتبط به من سياسات عالمية ثالثا •

فالأزمة التى قامت فى سوريا عام ١٩٥٧ لا يمكن تحديد ابعادها الحقيقية الا اذا عرفنا الظروف الخارجية المحيطة بها ومدى قبولها او رفضها من ناحية ، والا اذا عرفنا الاوضاع والظروف الداخلية لسوريا ودور الجيش السورى فى حياة الشعب والدولة من ناحية أخرى • وعندما نعرف الظروف الداخلية والخارجية لسوريا فاننا نقف مشدوهين امام التفاعل العجيب والغريب بين السياستين الداخلية والخارجية ، بكل اجزائهما وتفصيلاتهما •

فأزمة ١٩٥٧ كان لها العديد من الأسباب • منها أن الازمة السورية تكمن أساسا فى العوامل الاقتصادية ـ ذلك بالرغم من أن هذه العوامل لم تلعب دورا مباشرا فى التطورات التى شهدتها سوريا فى تلك السنه (١) •

قد سجلت سوريا مابين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٥٢ ، وخلافا لكثير من الدول العربية والاسيوية ، تقدما اقتصاديا مدهشا • فلا يمكن التحجج بأن سوريا كانت فى حالة ركود اقتصادى ، فالعكس هو الصحيح ، لأن سوريا كانت تمر فى عهد من الرخاء • لكن مايمكن قوله بهذا الخصوص ان عدم الاستقرار السياسى قد عكس نفسه على النظام الاقتصادى •

وهناك رأى ثان يقول بأنه لا يمكن تفسير الازمة السورية بالاستناد الى انها كانت موشكة على أن تدخل فى نزاع مع الغرب • "لقد كان السوريون يشعرون باستياء شديد من اسرائيل ، وكانت تساورهم الشكوك حيال تركيا ، ولكن لم يكن بينهم وبين الغرب اصطدام مباشر ، ذلك أن الغرب لم يكن يحتل شطرا من الأراضى السورية (كما ظل يفعل فى مصر حتى عام ١٩٥٥) ، كما لم تقم أية قاعدة عسكرية غربية على الأراضى السورية " وهكذا لا يمكن اعتبار السياسة السوفياتية

---

(١) وولتر لاكور مرجع سابق ص ٢٧٢ •

أو الدعاية السوفيتية بمثابة السبب الرئيسى لتلك التطورات فى سوريا ... (١)

اذا ما أسباب تلك الازمة ؟ وبمعنى آخر ما هى العوامل الكامنه وراء تلك الأزمة ؟ تتمثل لنا تلك الأسباب الكامنه فى عملية النزوع الثورية جذريا . هذه العملية نتاج محلى بحت . وهى التى تبلورت فى الصراع ما بين الثورية التقدمية والطبقة المحافظة فى سوريا . الأولى انضمت الى المعسكر التقدمى العربى ، والثانية انضمت الى المعسكر المناهض للأول ، وكلا المعسكرين يقاتل فى سبيل البقاء ، وله اتجاهاته الدولية ، فتشابكت الأسباب واختلطت بالنتائج فأصبحت العلل نتائج والنهايات أسبابا .

ويرتبط بالسبب السابق سبب آخر فى تفسير تلك التطورات التى شهدتها سوريا بكل احداثها ، وهو الطابع القومى العربى ، الذى حاولت سوريا ، ولأول مرة فى تاريخ العرب نظريا وعمليا ، ان تحدده من حيث الزمان والمكان ، وارادت بوعى كامل ، ان تتكهن بما سيكون عليه ذلك الطابع القومى ، وما يمكنه أن يعرض من حقائق الحياة اليومية للأمة العربية كلها ، ولهذا نادت بالقومية العربية وبالوحدة ، واستطاعت تحقيق الشعار وتحويله من نداء الى مادة متمثلة فى دولة اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

وهناك سبب ثالث فى تفسير تلك التطورات التى شهدتها سوريا فى عام ١٩٥٧ وهو أن الساسة فى سوريا وقادة الرأى العام فيها قد أصبحوا أقل رضى ، وفى شك ، من سجلاتهم السياسية المحلية ، وذلك ناجم عن الصراع المحتدم الذى نشب بين مدرستين من السياسيين فى سوريا ، مدرسة قديمة الطراز ومدرسة حديثة من الأحزاب الثورية . وكان من نتيجة هذا الصراع ، ولأجله ، ان ظهرت الدكتاتوريات العسكرية . وكان من الطبيعى أن يعكس كل هذا نفسه على الدول المحيطة بسوريا ، هذه الدول التى لها ارتباطاتها الدولية ، ومن هنا يكمن السبب فى دخول الدول الكبرى الى ميدان الأحداث الداخلية فى سوريا ، ثم تصعيد تلك الاحداث حتى أصبحت فى النهاية ميدانا خطيرا من ميادين الحرب الباردة بين المعسكرين ، الشرقى والغربى .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

ولم يظهر سبب من هذه الأسباب ، ولم يقم أى حدث من الاحداث التى شهدتها سوريا بعد استقلالها وحتى قيام الوحدة ، الا وكان للجيش السورى دور فعال ومؤثر وبارز فى تلك الأسباب والاحداث . وكان هذا الجيش يحاول جاهدا تحويل تلك الاحداث لمصلحة الذين يتولون امره وقيادته .

ان تلك الأسباب وما انتهت اليه من نتائج ، وان كل الوقائع والاحداث والازمات قد تفاعلت مع بعضها بشكل كبير لتنتهى وقد طبعت سوريا بتلك الخاصية القائلة بعدم معرفتها للنظام الثابت والحكومة القوية : " ان انقسام سوريا قد نجم عنه احدى الانظمة السياسية المتقلبة فى الشرق الاوسط . ومنذ أن حصلت البلاد على استقلالها فى عام ١٩٤٦ ، فانها قد مرت على ما يزيد من ستة انقلابات ، وحكمت بموجب ستة انظمة مختلفة . ومع أن السوريين قد تعلموا أن يقفوا كتلة واحدة فى وجه الهجوم الخارجى ، الا انهم لم يحصلوا على أية درجة من التعاون فى بناء حكومة قوية وذات فعالية مؤثرة (١).

وأصبح يطلق على سوريا نتيجة لتلك الفكرة انها " بلد التناقض السياسى " ومع انها قلب القومية العربية ، (الا أن فردية سكانها وتعصب مناطقها لنفسها والتحزب المطلق لكثير من الجماعات الدينية والسلالية والاجتماعية ، قد منعوا الروح القومية فى الداخل من الظهور على حقيقتها ، الا لفترات قصيرة (٢)).

مهما يكن من أمر ، فان السمة البارزة فى حياة سوريا انها متمسكة باستقلالها " حتى الموت " . وحتى يمكننا أن نفهم " ملابسات تضحيتها الكبرى فى أول فبراير باستقلالها وشخصيتها لتكون النواة للوحدة العربية (٣) " ، حتى نفهم تلك الملابسات لابد من تبيان (القوى فى الشرق الأوسط المعاصر ، وتطور الاحداث السياسية فيه على ضوء توازن تلك القوى وتفاوتها .. ولنكتفى الآن بالملاحظة أن هذه الطفرة السياسية لم تكن الا مرحلة وجيزة من مراحل الازمة السورية المنفتحة منذ وقت طويل ، والتى استمرت تحت اشكال مختلفة كشخصية هذا البلد الحقيقية . لقد عرفت سوريا الحكم الدكتاتورى العسكرى .. ثم فضلت العودة الى النظام البرلمانى فى فبراير عام ١٩٥٤ .. ومع ذلك لم تجد الاحزاب وصراع الافكار السياسية الحل المنشود

---

(١) Paretz: Op. Cit. P. 352.

(٢) Ibid: P. 342 .

(٣) بيير روندو مرجع سابق ص ٣٦

لمشكلاتها الملحة ٠ ان سوريا تتألم منذ القديم بالشعور بالعزلة ٠ وفى الشهور الأخيرة من وجودها السياسى المستقل سرت فيها حمى التفتيش عن مركزها فى العالم الذى تعيش فيه ٠٠)[1] ٠

فى كل هذا ، وجدت سوريا نفسها مطوقة فى قلب المشرق العربى ٠ لبنان ، فى البداية ، يصر على البقاء همزة وصل بين الشرق والغرب ٠" واحكم الطوق حولها ، طوق عدم الثقة " : من الشمال تركيا المناوئة للحركة العربية والتى لا تغفر للعرب استقلالهم عن الباب العالى ٠ ومن الشرق والجنوب الشرقى تحالف الهاشميون لابتلاعها وتحقيق الهلال الخصيب بزعامة بغداد ٠ ثم جاء التكتل العراقى ـ التركى ضدها عن طريق حلف بغداد ، ومن الجنوب الغربى يطل خطر الصهيونية واسرائيل الحالمة بالتوسع ٠ ثم شدد الطوق حولها أكثر يوم أن قبل لبنان مشروع ايزنهاور ، وتخلى عن كونه نقطة اتصال بين الغرب والشرق وانحاز للغرب ٠

ازاء كل ذلك بدأت الاخطار الداخلية تبرز على السطح وكأنها انعكاسات المرايا من الشمس الخارجية ، فأصبحت مع نهاية عام ١٩٥٧ ، تتنازعها الاهواء والتيارات المختلفة من قومية عربية الى انعزالية الى قومية سورية الى شيوعية فدينية أما جيشها فقد تحول الى جيش سياسى أكثر منه عسكرى ٠ ولهذا التحول أسبابه فهو الضمانة العربية الوحيدة التى بقيت للشعب السورى ٠ وفى وسط هذا الجو " بدأت تتبلور زعامة عبد الناصر واخذت تستهوى الشعب السورى وتخط له الطريق الواجب اتباعها " ٠

ولقد كان وراء كل ظاهرة داخلية فى الحياة السورية شخصية سياسية أو حزبية او عسكرية ٠ وكانت تلك الشخصيات أو الجماعات تفعل وتنفعل بالاحداث بناء لما تقرره مفاهيمها ومبادئها او اتجاهاتها السياسية المتنافرة المتصادمة وبحث الاحزاب السورية يقدم لنا مجمل العوامل الداخلية التى ادت الى الوحدة فى النهاية ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧ ٠

الفصل الثاني

العوامل الداخلية التي ساهمت في قيام الوحدة

المبحث الأول : الاحزاب السورية

اولا - احزاب تقليدية

أ - الكتلة الوطنية

ب - حزب الشعب

جـ - الحزب الوطني

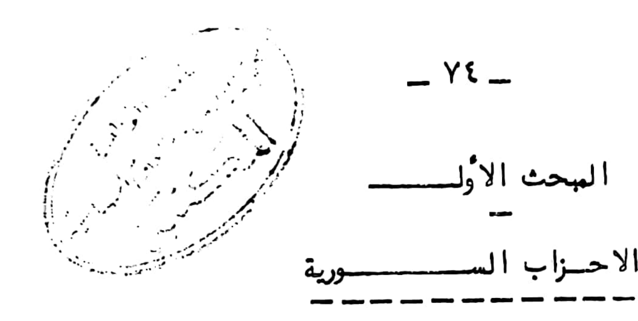
ثانيا - احزاب تقدمية ثورية

أ - الحزب الشيوعي في سوريا .

ب - حزب البعث العربي الاشتراكي .

ثالثا - الائتلاف القومي .

المبحث الثاني : دور الجيش السوري في السياسة الداخلية السورية .



المبحث الأول

الاحزاب السورية

ان التاريخ القريب للاحزاب السورية هو عبارة عن صراع بين نوعين من الاحزاب :

أ ـ احزاب تقليدية بما تحمله من افكار بورجوازية ورأسمالية واقطاعية وعشائرية .

ب ـ احزاب تقدمية ثورية تعتمد على الشعب كقاعدة عريضة لها .

وبحث الاحزاب فى سوريا واتجاهاتها السياسية يجب أن يبدأ من تلك اللحظة التى قام بها الجيش السورى بانقلابه ضد الشيشكلى فى فبراير عام ١٩٥٤ . اذ أن تلك الفترة ، ومابعدها ، كانت قد سجلت بروز الاحزاب الثورية كقوة جماهيرية يحسب حسابها على مسرح الحياة الداخلية ومن ناحية أخرى ، لم تعد الأحزاب التقليدية قادرة على استقطاب الجماهير السورية بعد أن تمكنت من هذا الأمر فى مرحلة النضال ضد الاستعمار الفرنسى وطلب الاستقلال .

وتصنيف الأحزاب السورية بناء لأهدافها واتجاهاتها السياسية أمر من أصعب الأمور . ذلك لأن تلك الاهداف وهذه الاتجاهات كانت من المرونة فى الحركة بحيث لا يمكن تصنيفها تحت اسم واحد . على الأقل بالنسبة للاحزاب التقليدية التى كان أقصى ماتسعى اليه زيادة عدد اعضائها فى المجلس النيابى السورى لتستولى على السلطة وتحكم البلاد .

وعملية حصر الاتجاهات الرئيسية للاحزاب السورية ، ان صحت ، تمكننا من تصنيفها على الشكل التالى :

١) الاحزاب الدينية (ويمثلها الاخوان المسلمون) .

٢) الاحزاب الاقليمية (ويمثلها القوميون السوريون) .

٣) الاحزاب الطبقية (ويمثلها الشيوعيون) .

٤) الاحزاب القومية الاشتراكية (ويمثلها حزب البعث العربى الاشتراكى) .

٥) الاحزاب القومية العربية (ويمثلها حركة القوميين العرب) .

٦) الاحزاب المحافظة (ويمثلها حزب الشعب والوطنى) .

على أن ماكان يلفت النظر هى تلك التناقضات التى كانت تحيط بها جميعا ،

وأصبح كل منهما ، باتجاهاته ، " يمثل نفيا للآخر وتحديا له ، ولكن لم تكن هناك امكانية معركة فاصلة " (١) .

وسنقتصر في بحثنا هنا على أهم الاحزاب السورية وهي أربعة :

١) الحزب الوطني .
٢) حزب الشعب .
٣) الحزب الشيوعي .
٤) حزب البعث العربي الاشتراكي .

فالحزبان الأولان : الوطني والشعب يمثلان الاحزاب المحافظة والبورجوازية (٢) ، اما الحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الاشتراكي فيمثلان الاتجاهات التقدمية في سوريا وان اختلفت آراءهما وخاصة فيما يتعلق بالتقارب المصري السوري وبالوحدة . وكذلك الحال بالنسبة للحزب الوطني وحزب الشعب .

---

(١) ناجي علوشي مرجع سابق ص ٢٦

(٢) انبثق هذان الحزبان عن (الكتلة الوطنية) كما نرى في الفقرة القادمة .

اولا ـ أحزاب تقليدية محافظة

١) الكتلة الوطنية :

وهى الأساس الذى قامت عليه كل الاحزاب المحافظة والبورجوازية فى سوريا . ولهذا الأمر أسبابه .

فالحياة السياسية المنظمة على أساس من الاحزاب ، ظاهرة حديثة فى سوريا . ولقد نمت من بذور زرعت فى الجمعيات السرية التى تكونت فى فترة ماقبل الحرب العالمية الأولى . وبرز من هذه التجمعات حزب سياسى رئيسى واحد فقط كانت له أهميته ، وذلك خلال فترة الانتداب الفرنسى ، هذا الحزب ، او المجموعة السياسية المنظمة هى الكتلة الوطنية .

وما لوحظ على الكتلة الوطنية ان الوئام والانسجام قد نقصاها دائما . وكانت تواجه صعوبة دائمة فى العمل لأنها مكونة من عائلات محلية تؤلف فى أساسها نخبة من الملاك الزراعيين . ولقد قاست الكتلة الوطنية من نفس الضعف الذى ظهر فى معظم التنظيمات الوطنية فى البلاد العربية . هذا الضعف الذى يتمثل فى عدم اتصال طبقاتها العليا والمتوسطة بالجماهير السورية الا اتصالا قليلا حين يكون هذا الاتصال لخدمة مصالح تلك الطبقات كالانتخابات مثلا : او طرد الاجنبى لتعزيز نفوذها ومصالحها الاقطاعية . ولم تهتم الكتلة الوطنية بأى من المشاكل الاجتماعية او الاقتصادية التى تأخذ دورها الكبير فى المجتمع وانحصرت مجهوداتها فى شىء واحد فقط هو : تجنيب سوريا والعالم العربى السيطرة الأجنبية (١).

ولما كانت الكتلة الوطنية ، بأهدافها واعمالها ، على الشكل السابق ذكره فلقد انقسمت على نفسها وانفصلت الى تكتلات واحزاب فى عام ١٩٤٨ . وكون معظم رجالاتها حزبين جديدين وان تاما على انقاضها ، الا أنهما قد طورا من مبادئها قليلا . هذان الحزبان هما : حزب الشعب والحزب الوطنى .

٢) الحزب الوطنى :

جاء على انقاض الكتلة الوطنية . وقيامه ، مع حزب الشعب ، يمثل انتقال الحياة الحزبية فى سوريا من مرحلة الحزب الواحد الى مرحلة تعدد الاحزاب .

---

(١) Paretz : Op. Cit. P. 352.

ومثله ، مثل حزب الشعب ، فقد ضم الحزب الوطنى كل الساسة المحترفين ، والشخصيات البارزة من الطبقة المحافظة • ولمع من قادة الحزبين رشدى الكيخيا وناظم القدسى وصبرى العسلى وشكرى القوتلى ومعروف الدواليبى •

مايهمنا من الحزب الوطنى هنا هى سياسته القومية • والملاحظة الجديرة بالذكر أن سياسته فى هذا المجال على شئ من الوضوح الى حد ما •

وأهم ماتضمنته مبادئه التى وضعت فى عام ١٩٤٨ هى التالية :

أ – ان العرب فى اتحاد وطنهم كافة يكونون امة واحدة ، والسوريون جزء منها ، وسياسة الحزب تقوم على هذا الأساس •

ب – ان الحزب يسعى الى تحرير سائر اجزاء الوطن العربى ، واستكمال سيادتها ، ويتضامن فى هذا السبيل مع مختلف المنظمات والمراجع القومية •

ج – والحزب يعتبر الجامعة العربية مؤسسة قومية يعلق عليها آمالا كبيرة فى الاهداف القومية ويسعى لتقويتها وتعزيزها •

د – يقاوم الحزب كل نزعة أو سياسة أو حركة مخالفة لأمانى الأمة العربية • (١)

٣) حزب الشعب :

يهمنا من اهدافه واتجاهاته سياسته القومية • فعنده ان العرب فى مختلف ديارهم امة واحدة ، ذات كيان واحد ، تتوافر فيه عناصر الوحدة الشاملة من روحية وسياسية واقتصادية واجتماعية •

والى أن تتحقق الوحدة المنشودة يرى الحزب أن يسعى اليها بالطريقين التاليين :

اولا – اقامة اتحاد دولى بين سورية والاقطار العربية •

ثانيا – اتخاذ الجامعة العربية وسيلة الى :

أ – توحيد السياسة الخارجية فى البلاد العربية وتوحيد التمثيل الخارجى •

ب – توحيد قوى الدفاع العربى فى قيادته وانظمته •

---

(١) ياسين الحافظ مرجع سابق ص ٢٢٥ • ولمعرفة المزيد من مناهج ومبادئ الاحزاب السورية راجع كتاب الاستاذ ساطع الحصرى (العروبة بين دعاتها ومعارضيها) • بيروت – الطبعة الاولى سنة ١٩٥١ •

جـ ــ توحيد التشريع .

د ــ اعتبار بلاد دول الجامعة العربية وحدة جمركية .

هـ ــ اعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية وتوحيد المنهاج الاقتصادى .

و ــ توحيد مناهج التعليم .

ز ــ الغاء جوازات السفر بين البلاد العربية .

ح ــ توحيد النقد العربى وتأسيس مصرف اصدار مشترك .(١)

تلك كانت أهم الاحزاب المحافظة السورية ، بمبادئها واهدافها من الناحية النظرية البحته . ولكن ماهى مواقفها العملية من الاحداث التى مرت على سوريا ؟

انطلق حزب الشعب من شمال سوريا ، من حلب ، محاولا أن يرث نفوذ الكتلة الوطنية فى تلك المنطقة . وحاول كذلك أن يدخل فى " صفوفه بعض المثقفين من ابناء العائلات الكبيرة ، والعائلات الوسطى الطامحة الى الصعود "(٢) . وبهذه العملية استطاع الحزب أن يوحد بين هؤلاء وبين كبار الصناعيين والاقطاعيين فى حلب . فاستفاد حزب الشعب من فشل الكتلة الوطنية القديمة ، هذا الفشل الذى بلغ ذروته فى خيانته للقضية الفلسطينية . ويلاحظ انه بينما كانت الاجهزة السياسية للكتلة الوطنية مرتبطة بالنفوذ الفرنسى فى سوريا ، فان حزب الشعب قد حاول أن يكون أكثر مرونة وتطورا فادرك أن البريطانيين هم الوريث المنتظر لفرنسا فى هذه المنطقة خاصة وانهم ما يزالون ، اى البريطانيين ، يحيطون بسورية عن طريق العراق والاردن .

وقد نجح حزب الشعب فى استقطاب شمال سوريا كلها تقريبا . فتكتلت داخله مجموعات الاقطاع والرأسمالية والعناصر المثقفه اليمينية . فظهر وكأنه حزب اقليمى ضيق بالرغم من مبادئه ، مطالبا بحقوق (مصطنعه) لشمال سوريا ضد نفوذ الجنوب المتمثل فى الحزب الوطنى الذى يرجع فى أصوله الى مدينة دمشق . واسس حزب الشعب نواة معارضة استندت فى معارضتها ، قبل الانقلابات ، الى مفاسد الحكم الذى كان يتولاه الحزب الوطنى ، " كما استطاع أن يستثمر لدى جماهير المدن الشمالية بعض الاحساسات الاقليمية الضيقة التى زرعها الاستعمار الفرنسى منذ القديم "(٣).

---

(١) ياسين الحافظ مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) مطاع صفدى مرجع سابق ، ص ٤١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

وذلك ليدعم الفرقة والتنافس الحاد بين دمشق وحلب . ليس هذا فحسب . بل ان هذا الحزب استطاع أن يكسب الرأسمالية (الحلبية) الصاعدة لتأمين مصالحها امام الرأسمالية (الدمشقية) . وبينما كان من تقاليد الحزب الوطني الاستناد الى التعاون مع فرنسا ونفوذها في سوريا ، ثم الاعتماد على وريثتها الولايات المتحدة الامريكية ، فان حزب الشعب اعتمد على البريطانيين كما اقلنا . ولهذا السبب طرح حزب الشعب مشروع " الهلال الخصيب "(١) كهدف سياسي له ، من أجل الاستفادة من الشعور الوحدوي لدى الجماهير .

وظلت هذه حال الحزبين السابقين ، الوطني والشعب ، وظلت لهما السيطرة السياسية في الداخل حتى بدأت الانقلابات السورية منذ انقلاب حسني الزعيم في عام ١٩٤٩ الى الانقلاب ضد الشيشكلي في عام ١٩٥٤(٢) .

في فترة الانقلابات المذكورة بدأت احزاب تظهر قوتها الشعبية والتنظيمية ، اهمها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي وبعض الاحزاب القومية والاقليمية ، وهنا تبدل ميزان القوى السياسية داخل سوريا لصالح الاحزاب القومية ، وراحت هذه الاحزاب ، وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي ، تتخطى مناهج الاحزاب القديمة .

يظهر هذا التغير في ميزان القوى كأوضح مايكون اذا ما قارنا نتائج انتخابات المجلس النيابي السوري لعام ١٩٤٩ بنتائج انتخابات عام ١٩٥٤ . فبعد الاطاحة بأديب الشيشكلي تمت الانتخابات في عام ١٩٥٤ على دورتين في ٢٤ — ٢٥ سبتمبر و ٤ و ٥ اكتوبر في ظروف كاملة الحرية والنظام(٣) . ونجح من النواب في الدورة الأولى ٩٩ نائبا من أصل ١٤٢ ثم ٤٣ نائبا في الدورة الثانية .

---

(١) اصطلاح لمعنى اتحاد يضم لبنان وسوريا والعراق والاردن .

(٢) ويمكن حصر اهم هذه الانقلابات بأربعة : ١) انقلاب حسني الزعيم في ٢٩ مارس ١٩٤٩ ٢) انقلاب سامي الحناوي في ١٤ اغسطس ١٩٤٩ .
٣) انقلاب اديب الشيشكلي في ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ .
٤) الانقلاب ضد الشيشكلي في فبراير ١٩٥٤ راجع بهذا الخصوص د .جلال يحيى مرجع سابق ص ٦٦٧ — ٦٧٠
وكذلك

(٣) اقفلت الحدود خلال الانتخابات خوفا من التأثيرات الخارجية .

وكان تمثيل الاحزاب والجماعات المستقلة على الشكل التالي بالمقارنة بانتخابات عام ١٩٤٩ (١) .

١٩٤٩		النسبة المئوية	١٩٥٤		النسبة المئوية
٣١	المستقلون (بما فيهم ٩ يمثلون العشائر)	٢٧ر١٩٥ %	٦٤	المستقلون	٤٥ر٠٧ %
٢٠	مستقلون (يؤيدون حزب الشعب)	١٧ر٥٥٤ %	٣٠	حزب الشعب	٢١ر٢٣ %
٤٣	حزب الشعب	٣٧ر٧١٩ %	٢٢	حزب البعث العربي الاشتراكي	١٥ر٥٩ %
١	حزب البعث	٠ر٨٧٩ %	١٩	الحزب الوطني	١٢ر٨١ %
١٣	الحزب الوطني	١١ر٥ %	٢	القوميون السوريون	١ر٥ %
١	القوميون السوريون	٠ر٨٧٩ %	٢	الحزب التعاوني	١ر٥ %
١	الحزب التعاوني	٠ر٨٧٩ %	٢	حزب التحرير (انشأه اديب الشيشكلي)	١ر٥ %
٤	الكتلة الاسلامية	٣ر٤ %	١	الحزب الشيوعي	٠ر٨ %
١١٤	المجموع	١٠٠ %	١٤٢	المجموع	١٠٠ %

ويلاحظ على مقارنة نتائج ١٩٥٤ بنتائج ١٩٤٩ مايلي :

١) خسارة حزب الشعب لكثير من مقاعده ، وذلك لصالح حزب البعث والحزب الوطني .

٢) الثبات النسبي لعدد اعضاء المستقلين .

٣) الزيادة الكبيرة لعدد اعضاء حزب البعث اذ ارتفع العدد من واحد في عام ١٩٤٩ الى ٢٢ في عام ١٩٥٤ .

٤) دخول نائب شيوعي لأول مرة في تاريخ سوريا الى البرلمان .

والملاحظة الثانيه انه بعد مرور خمسة اعوام على تعطيل الحياة البرلمانية في سوريا انتقلت السلطة السياسية بعد الانقلاب على الشيشكلي الى الاحزاب التقليدية والى الساسة المحترفين في بادئ الأمر . فاعادت هذه الاحزاب انتخاب

---

(١) جاءت هذه الاحصائية في كتاب : Seale : Op. Cit. P.182. والنسبة المئوية من وضع الباحث .

السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهورية (١) . ومما يذكر في هذا الصدد ان الشيوعيين قد ايدوا خالد العظم لرئاسة الجمهورية . وقد نظروا الى اعادة القوتلي للرئاسة بعين المقت ، ومع ذلك فقد امتدحه المراقبون السوفييت وقالوا بأنه" وطني بارز " .

وكان لتلك الانتخابات عدة دلالات في تغير موازين القوى الداخلية :

أ ـ أقامت تلك الانتخابات الدليل القاطع على أن الاحزاب التقليدية لم تعد صاحبة الكلمة العليا في سوريا وفي تصريف الامور بها . لقد ظهرت قوة جديدة هي حزب البعث الذي نال ٢٢ مقعدا ، وهي نسبة تكون ١٥ر٥٩ ٪ من مجموع النواب . ولهذا الحزب قواعده في سائر اقطار المشرق العربي ، فنشطت هذه القواعد في كل من الاردن والعراق ولبنان وهذا هو الأثر الأول لهذه الانتخابات .

ب ـ وبجانب حزب البعث ظهرت قوة المستقلين ، وهي فريق كبير شكل ٦٤ نائبا قاد معظمهم او اثر فيهم خالد العظم " الذي قرنت الاذهان نشاطه بصورة مضطردة مع نشاط الشيوعيين ". (٢)

جـ ـ فوز الشيوعي خالد بكداش بمقعد نيابي ، وبهذا أصبح للشيوعيين المحليين ، ومن ورائهم الشيوعية الدولية ، لأول مرة في تاريخ سوريا كلمة مسموعة أن على الصعيد الرسمي أو على الصعيد الشعبي . وكان هذا الفوز ثاني اخطر النتائج التي انتهت اليها تلك الانتخابات .

د ـ قيمت الصحافة المصرية هذه التطورات تقييما موضوعيا فقالت (الاهرام) في عناوينها الكبيرة يوم ٢٥ سبتمبر عام ١٩٥٤ : " الرأي العام السوري يدير ظهره للغرب ويعارض التحالف معه " . قالت هذا في فترة كثر الحديث فيها عن الاحلاف والارتباط بالمعسكر الغربي . وكانت نتائج الانتخابات دليلا على تحول سوريا عن مواقفها التقليدية بالنسبة للسياسة الدولية . وهذه هي النتيجة الهامة الثالثة :

---

(١) انتخب الرئيس شكري القوتلي للرئاسة في ١٨ اغسطس ١٩٥٥ " وكان شكري القوتلي يعتمد على الحزب الوطني ، بصفته قوة الوسط الموجودة في سوريا أساسا" في عملية اقامة حكومة اتحاد قومي . د. جلال يحيى ، مرجع سابق ، ص ٦٧٢ .

(٢) وولتر لاكور ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤ . هذا وقد انقسمت كتلة المستقلين الى قسمين هما : الجبهة الدستورية المتحدة وتضم مايقرب من ثلاثين نائبا والكتلة الديمقراطية وتضم باقي المستقلين ، وهذه الاخيرة هي التي تزعمها خالد العظم .

هـ — فى ٢٨ سبتمبر نشرت جريدة (الصرخة) الشيوعية مقالا تكهنت فيه بأن يوم الاقطاع بات قريبا وان موئيديه السياسيين سيقضى عليهم • وبهذا كانت النتيجة الرابعة هى فتح المعركة ضد الاقطاع فى سوريا • هذه النتيجة التى كانت لها اخطر الاثار على الحياة السياسية الداخلية •

فما هو الدور الذى لعبه الاقطاع والطبقة المحافظة والبورجوازية السورية فى الداخل ؟ الاجابة على هذا السوءال تتضمن الدور الذى لعبته الاحزاب التقليدية فى الحياة السياسية الداخلية لسوريا • ذلك لأن هذه الاحزاب هى الممثلة الحقيقية لمصالح تلك الطبقات وموءسساتها •

كما قد ذكرنا فى المبحث الاول من الفصل الاول المحاكمات التى جرت فى دمشق على اثر اكتشاف محاولة من قبل العراق ،مدعمة من حلف بغداد ، لقلب نظام الحكم فى سوريا ، بعد تلك المحاكمات التى جرت فى الثامن من يناير عام ١٩٥٧م ، وتقدم فيها ٤٧ شخصا من روءس العناصر المحافظة والبورجوازية والاقطاعية لم يبق غير حزب الشعب كقوة سياسية توءثر على مسرح الاحداث السياسية فى سوريا (١) • هذه القوة رفضت دوما مجاراة الروح الثورية العربية التى انبعثت طفرة واحدة اثناء وبعد العدوان الثلاثى على مصر • لقد انتهز الحزب الوطنى الفرصة ، وكذلك فعل بعض المستقلين ، واظهروا من المرونة فى المواقف السياسية الشيء الكثير • خاصة بعد ان أصبح للجيش السورى اليد العليا فى طول البلاد وعرضها اما حزب الشعب فقد رفض الانصياع للأمر الواقع كما فعل الحزب الوطنى • ففى شهر يونيو عام ١٩٥٧م استقال ٣٦ من نوابه وموءيديه من البرلمان السورى احتجاجا على خطاب القاه خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان — ومع أن الشيوعيين قد ظلوا فى الموءخرة طيلة الأشهر السابقة على تلك الحادثة (٢) وكان لهذه الحادثة عدة دلالات اهمها :

١) دلت على مدى القوة الكامنه خلف الحزب الشيوعى •

٢) شجعت من ناحية ثانية الحزب الشيوعى السورى على العمل بشكل سافر كأمر واقع ايضا •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ •

٣) عدم رضاء الطبقة المحافظة والبورجوازية عن الوضع الذى ساد سوريا قبل الوحدة ببضعة أشهر فقط ٠

٤) دلت على عدم الاستقرار السياسى الداخلى ٠ وان بدا هذا وكأنه صراع بين احزاب سياسية تتنافس على مراكز السلطة فى الدولة الا أنه يخفى وراءه صراعا بين القيم والمبادئ التى كانت تصطرع داخل سوريا ٠

٥) دلت على مدى التحول الداخلى الذى حصل فى مراكز السلطة والقوة الجماهيرية ٠ فبعد ان كانت المبادرة ، وفى معظم الاوقات ، بيد القوى المحافظة والاقطاعية والعشائرية ، اصبح الزمام بيد القوة الشعبية مدعومة بالجيش ٠

لقد كان لتلك الطبقات أكبر النفوذ داخل سوريا فى فترة ما قبل الوحدة ٠ ولم يكن نفوذها الحزبى ليعلن عن قوتها كما رأينا فى مبادئ حزب الشعب والحزب الوطنى ، بل كان ذلك النفوذ فى المؤسسات الاجتماعية والصناعية الخاضعة لها(١) ٠

ان نفوذ تلك الطبقات ، وان كان قويا الى حد السيطرة على المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد ، الا أن طاقاتها المادية كانت ضعيفة ٠ مثلا لم تكن الصناعات السورية تتجاوز كلها (٤٠٠) مليون ليرة سورية ، ونصيب القطاع الصناعى الخاص يتراوح بين ٧ — ٨ بالمائة من الدخل القومى ٠ ومع ضعف طاقاتها ، وقوة مؤسساتها فى مواجهة الشعب ، وقعت تلك الطبقات بين " ضغط قوتين : وعى العمال (النسبى طبعا) من جهة ، وقوة رأس المال الاحتكارى الأجنبى من جهة ثانية(٢) "

وتعطينا الاحصائيات المتوفرة عن الصناعة التى تملك مؤسساتها البورجوازية السورية الخط البيانى التالى :

كان الاندفاع فى الاستثمار الصناعى والتوظيف الرأسمالى قويا فى البداية ٠ وكما جرى فى معظم بلاد العالم أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل ، فلقد كان سبب الاندفاع فى الاستثمار الصناعى والتوظيف الرأسمالى سبب استثنائى وموقت ، على اعتبار

---

(١) سيظهر لنا نفوذ تلك المؤسسات حين نتناول الانفصال والطبقات التى ايدته وقامت به ٠

(٢) ياسين الحافظ مرجع سابق ص ٨٢ ٠

ان الحرب قد خلقت وفرا فى المدخرات من ناحية وانقطاعا عن السوق الأجنبية من ناحية ثانية . ومالبث ان أخذ التباطوء يسود الاندفاع نتيجة لتقلص ميدان قطاع الانتاج الخفيف المربح ، ونتيجة لانتهاء الحرب وفتح السوق المحلية للبضائع الرأسمالية . والنتيجة المتحصلة عن ذلك كله ان التوظيفات الرأسمالية الخاصة قد اصبحت بتقلص تدريجى . وهنا أصبحت الاقطاعية سيدة الموقف بدون منازع ، وبدأ الصراع بينهما وبين البورجوازية التى غالبا ماكانت تعتمد على مواسم القحط وسوء الانتاج الزراعى لتظهر نفسها بأنها القوة المسطرة على سوريا . وبالرغم من كل ذلك نفالبا ما توحدت القوتان امام أى تهديد لمصالحهما الداخلية . ولابد لنا من تقديم مثل صادق على مدى قوة مؤسسات الطبقة المحافظة والبورجوازية مع ضعف طاقاتهما المادية ، ففى قطاع البنوك مثلا كانت تلك القوة على أوضح مايكون . كان يتحكم بهذه البنوك رأس المال الخاص . وكان هذا يمول نفسه من ودائع الشعب . مثلا كان رأس المال فى البنك المركزى لا يتجاوز مليونى ليرة . وكانت مجموعة السلفيات التى يقدمها البنك كل سنه تقدر بحوالى ٢٠٠ ــ ٣٠٠ مليون ليرة سورية (١) . فمن الذى يدفع الفرق ، خاصة اذا علمنا أن الشعب السورى بمجموعه ينتمى الى الطبقة المتوسطة ؟؟

هذا بعض من واقع الرأسمالية والبورجوازية السورية ، فكيف كان الحال بالنسبة للاقطاع ، وبالتالى كيف كان عليه وضع الفلاح السورى ؟

مع أن سكان المدن السورية يتكونون فى أساسهم من الطبقة المتوسطة ، الا أن الفلاحين السوريين يشكلون حوالى ثلاثة أرباع السكان . ولقد وقع هؤلاء الفلاحون بين شقى الرحى : التصادم بين الاقطاع واليمين وبين الطبقة المتوسطة الصاعدة فى المدن . ومع ان أحوال الفلاح تداخلت من منطقة الى اخرى داخل سوريا فى الخمسينات من هذا القرن " لكن معظمهم لا يزال يعيشون على حد البقاء والكفاف " (٢) وان ثلثيهم لا يملكون ارضا ويعيشون على الحصة التى يتصدق بها الاقطاعى عليهم من المحصول الزراعى . فبعد أن يدفع الفلاح السورى اجرة استعماله الأرض والجرارات الزراعية والماء وما شابه ذلك ، فانه غالبا مايتبقى له ٢٠٪ من انتاجه على أقصى تقدير . هذا اذا تذكرنا أن معظم الأرض المزروعة فى سوريا انما يقوم محصولها على المطر لا على الرى . كذلك يجب أن نتذكر سنوات الجفاف التى تموت فيها مواشى الفلاح ولا تعطى ارضه أى ناتج (٣) .

---

(١) راجع بهذا الخصوص (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر) لاعوام ٦٠ ـ ٦٢ ص ٥٤٤ .

(٢) Paretz : Op. Cit. P. 359.

(٣) وبالمقارنة مع مصر ، فان سورية لديها عشرين مرة لكل شخص من الأرض الزراعية اكثر مما هى عليه الحال فى مصر . ومابين عامى ١٩٤٣ ـ ١٩٥٣ فان شمال سوريا وقع فى ...

فكيف تكونت الطبقة الاقطاعية السورية ، ومن الذى استفاد من التوسع الزراعى فى سوريا ؟

لم يتمكن التوسع الزراعى من تحسين مستويات المعيشة للفلاح السورى بشكل عام ، وفى الشمال ، حيث كان تطور الأرض عظيما ، فان اولائك الذين استفادوا من ذلك التطور كان التجار الوسطاء وشيوخ القبائل الذين استأجر منهم التجار الأرض. (١) وأصبح هؤلاء جميعا يكونون الطبيعة الاقطاعية فى سوريا . اما كيف حصلوا على الأرض الزراعية ، فلهذا صلة بالانتداب الفرنسى . لقد اكتسب شيوخ القبائل تلك الأراضى الخصبة والمروية خلال السنوات الأخيرة من الانتداب الفرنسى على سوريا ، وذلك نتيجة للجهود الاستعمارية لتهدئة خواطرهم فى المنطقة . وحولت فرنسا بهذا العمل اراضى الدولة التى كانت فيما سلف مملوكة بشكل جماعى لمختلف القبائل ، حولتها الى المشايخ بصفتهم افرادا ، وأصبحوا بهذا الملاك الجدد لتلك الأراضى . ومن الطبيعى أن يصبح التجار والوسطاء الوارث الشرعى لبعض هؤلاء المشايخ حين نزوحهم ، لسبب أو لآخر ، عن الأرض فيمتلكونها بعدهم . وبهذا الشكل تكونت الطبقة الاقطاعية السورية ، اعتمادا على المستعمر الفرنسى ، واعتمادا على السمسرة وتسخير الفلاح واستئجار الأراضى الزراعية .

وعندما هبت روح الثورة التقدمية على سوريا فى فترة الحكم القومى ، وعندما زاد الوعى العمالى والفلاحى من تأثير الاحزاب الثورية ، وفى مقدمتها حزب البعث ، عند ذاك بدأ الفلاح يطالب بحقوقه ، وقامت شبه ثورة ريفيه على صعيد سوريا كلها ولكن طبيعة الصراع الداخلى المحتدم فى سنوات ماقبل الوحدة ، والديمقراطية البرلمانية التى كانت سائدة آنذاك ، والصف الانتهازى من الثورية السورية ، قد جعلت انصاف الحلول هى السائدة ـ لقد حولت كل تلك العوامل الثورة الريفيه الى مجرد " مناقشات سفسطائية لا نهاية لها حول الاصلاح الزراعى " . ولقد تمخضت تلك الثورة الريفية فى النهاية عن تجويف للاصلاح الزراعى الحقيقى واستبدلت به (مخدرا) يلهى الفلاح عن اهدافه الحقيقية . وصدر ماسمى بقانون الاصلاح الزراعى ، ولكن تحت اسم (قانون العمال الزراعيين) . " ذلك القانون الذى اكتفى بمجرد تنظيم ابتدائى لعلاقة الفلاح الأجير بالاقطاعى السيد ، معترفا كامل الاعتراف بسيادة الاقطاعى وحقوقه ، ومأجورية الفلاح وعبوديته . (٢)

* * *

(١) Ibid: P. 360.

(٢) مطاع صفدى ، مرجع سابق ص ٣٧٤ .

على أننا قبل ان ننهى الحديث عن الاحزاب التقليدية السورية وما تمثله من طبقات محافظة وبورجوازية واقطاعية نقدم كلمة عن الوضع فى مصر على سبيل المقارنة ، وذلك لكى يظهر لنا مدى الاختلاف بين الدولتين ٠ هذا الاختلاف الذى مرت عليه وتجاوزته السلطات التى أقامت الوحدة بين الدولتين ، والذى اعطى اخطر نتيجة لدولة الوحدة فى النهاية (١) ٠ وكان هذا من ضمن الأسباب التى ادت الى الانفصال كما سنرى فى حينه ٠

اختلفت الحياة الحزبية فى مصر عنها فى سوريا ، خاصة فى فترة ما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ٠

كانت الحياة الحزبية فى مصر قاصرة لا تعتمد على الجماهير ولا تأبه لها الا للحصول على تأييدها فى الانتخابات ٠ لقد كان الشيوعيون اقلية ٠ وكان الاخوان المسلمون اعداء لكل تقدم ، ثم أصبحوا اعداء للثورة ، واعداء كل ثورة اشتراكية تقدمية ٠

وكانت الاحزاب التقليدية فى سورية لا تعتمد على الشعب الا لمصلحة ٠ وكان الحزب الشيوعى محصورا فى أوساط اغلبها من المثقفين والباقى من العمال فى المدينة ٠ وعرفت سوريا الاحزاب القومية التقدمية ٠ بينما لم تعرف مصر الا الاحزاب الوطنية المحلية ٠

هناك اختلاف فى التنظيم الحزبى فى كل من الدولتين اذا ٠ وهذا قد أدى الى خلاف يعود فى أساسه الى الاختلافات التى ثارت فيما ظهر من مشكلات الصراع السياسى الداخلى ، وخاصة اذا ما سحبنا الدراسة الى فترة الحكم الثورى الذى قام بعد ثورة يوليو ٠ اذ ما أن ربح هذا الحكم معركة السويس حتى شعر بتحركات الطبقة المحافظة والاقطاعية القديمة التى كانت تنتظر انهياره " لتنقض عليه وتستعيد مراكزها القديمة ، فبرز شعار العدالة الاجتماعية ، او الاشتراكية السلمية واضحا فى خطابات الرئيس عبد الناصر وفى انواع الدعايات التى كانت تصدر عن اجهزة الاعلام (٢) " ٠ وبهذا استطاعت الثورة المصرية أن تشل فعالية احزاب اليمين السياسية بعد أن قضت على قلعتها الحصينة فى الملكية ٠

---

(١) انظر تفاصيل الرأى المصرى بالاحزاب ما أبداه الرئيس عبد الناصر بهذا الخصوص فى مباحثات الوحدة الثلاثية فى عام ١٩٦٣ فى القاهرة : محاضر جلسات مباحثات الوحدة ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ ٠

(٢) مطاع صفدى (مرجع سابق) ص ٣٧٧ ٠

فى نفس هذه الفترة كان اليمين السورى مطلق الحرية ، يمارس نشاطه السياسى الى جانب نشاطه الاقتصادى " ولم يكن يدرى ان نشاطه السياسى فى هذه السنوات الحاسمة ، سوف يكشف عن حقيقته أمام الجماهير عندما يتحتم عليه خوض المعارك ضد الثورية العربية وهى فى كفاحها ضد الاحلاف والتآمر الخارجى ". (١)

ونلاحظ انه بينما استطاعت الثورة المصرية أن تقضى على الاقطاع واليمين والمحافظين من خلال تجريدهم من امتيازاتهم الاقتصادية والسياسية ، فان الانقلابات العسكرية السورية " تحاشت جميعها المشكلة الداخلية من خلال فعاليات اليمين السياسية " . بل يمكن القول ان مجموع هذه الانقلابات تدهادنت اليمين ، مكتفية بتخديره فقط . ولكن ما ان ينهار انقلاب ويبتعد الجيش موقتاً حتى يعود اليمين مجمعاً قواه ، فى سبيل أن يعود الى الحكم والتوجيه السياسى والاقتصادى . " وبالرغم من أن انقلاب حسنى الزعيم قد انهى حكم اليمين المتمثل فى حكم المزرعة ، فى حكم الكتلة الوطنية التى ورثت السلطة عن المستعمر المحتل بعد الاستقلال ، الا أن اليمين قد جدد من شكله السياسى ، فخرج بعد انقلاب الحناوى .. فى تشكيلة سياسية جديدة ، ظهرت فى ضرب الشعب (٢) ثم مالبث الأمر ان تطور لينفصل جزء من اليمين السورى ليشكل البورجوازية الصناعية ، وخاصة فى حلب . وهكذا كانت البورجوازية السورية الابن الشرعى للاقطاع اليمينى . فالبورجوازية السورية " لم تهدم الاقطاع لتقوم على انقاضه (كما جرى فى اوربا الغربية ، وفى فرنسا بشكل خاص) ، بل نمت حول الاقطاع وفى تربته ". (٣)

وفى الفترة التى عاشتها سورية مابين الانقلاب على الشيشكلى فى فبراير عام ١٩٥٤ والوحدة ، كانت البورجوازية السورية تشعر احيانا ، ببعض الضعف واختلاط الامور على القوى الثورية السورية فكانت تنظر الى هذه البورجوازية بمعايير خاصة لا يحددها سوى محاربة الاستعمار والتهديد الخارجى ، وهذا أمر يهم البورجوازية كثيرا لانها أمام التهديد الخارجى ، وحيث الاذعان ، ستجد أمامها ، وجها لوجه ، قوة اقتصادية استعمارية لا تقوى على مجابهتها او منافستها . وهذا مايفسر اندماج البورجوازية السورية مع كل الاحداث الخارجية التى وقف الشعب السورى امام تحدياتها (٤).

---

(١) المرجع السابق ص ٤١٦ . (٢) المرجع السابق .

(٣) ياسين الحافظ ، مرجع سابق ص ٧٦ .

(٤) يتضح من العرض السابق ان فى مصر وسورية ـ قبل الوحدة ـ وضعين ثوريين مختلفين ، كان لهما نتائج مختلفة فى فترة الوحدة ، ستتضح آثارها بشكل واضح حين نبحث فى الانفصال وآثاره .

ثانيا : احزاب تقدمية ثورية

أهم الأحزاب التقدمية فى سوريا ، خلال الفترة موضع الدراسة ، اثنان :

١ ـ الحزب الشيوعى السورى .

٢ ـ حزب البعث العربى الاشتراكى .

وسنتناول هنا هذين الحزبين تماما فيما يخص النقطتين اللتين حددناهما فيما سبق ، وهما : التقارب السورى ـ المصرى والوحدة بين مصر وسوريا .(١) هذا ولا ننسى مواقف هذين الحزبين بالنسبة للتقارب الذى جرى ما بين سوريا ومصر من جهة والاتحاد السوفياتى من جهة أخرى .

١ ـ الحزب الشيوعى السورى

ما يلاحظ على السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتى هو ذلك الموقف المعادى الذى كان يتخذه دوما من الحركات القومية فى العالم . فالشيوعية كمذهب ، ترفض القومية كعقيدة . ولقد كان التحول من موقف العداء للحركة القومية فى العالم ، وفى الشرق الأوسط خاصة ، الى موقف التعاون معها تحولا تدريجيا ، وبحذر . واذا كانت قد بدت فى عام ١٩٥٢ دلائل على أن السياسة السوفياتية قد أصبحت أقل تصلبا حيال الحركة القومية العربية الا أن التحول الحقيقى لم يحدث الا بعد وفاة ستالين حيث تلاحظ أن الحزب الشيوعى السورى قد نادى بالجبهة الوطنية للوقوف فى وجه الاستعمار .(٢)

وكانت الأسباب التى دفعت بالاتحاد السوفياتى الى ذلك الموقف مختلفة .

أولها أن التقييم الماركسى اللينينى قد نهج نهجا جديدا فى تفسير الوضع الذى كان قائما فى كل من مصر وسوريا على وجه الخصوص . فقد قيل أن حكام مصر وسوريا الجدد يمثلون قوى اجتماعية وسياسية جديدة هى أكثر تقدمية من القوى التى حكمت فى السابق ، " وعلى العموم أصبح النضال من أجل التحرر الوطنى والوضع الثورى القائم فى الشرق الأوسط موضع الكثير من التعليق " .(٣)

كان لهذه النظرة الجديدة ولذلك التقييم المتطور من المضاعفات السياسية الشيء الكثير . ولقد أدى الى اندفاع الاتحاد السوفياتى الى الشرق الأوسط مع بداية

---

(١) وسنذكر بعض مواقف الحزب الشيوعى المصرى بالنسبة للنقطتين المذكورتين واضعين اياها فى الهوامش على سبيل المقارنة فقط .

(٢) ما لبث الحزب الشيوعى المصرى أن نحا هذا المنحى فى عام ١٩٥٥ .

(٣) وولتر لاكور (مرجع سابق) ص ١٨٣ .

العقد السادس من هذا القرن ، وشجع الشيوعية المحلية على الظهور (فوق الأرض) بعد أن كانت تعمل حتى ذلك التاريخ تحتها • وهذه هي النتيجة الأولى للتقييم السوفياتي الجديد للحركات القومية •

وهنا يتبادر السؤال التالي الى أذهاننا : هل كان الاتحاد السوفياتي ، في نظرته الجديدة وفي تقربه من دول المنطقة ، يود أن يكسب أرضا جديدة ؟ أم أنها كانت سياسة عامة تود الانفتاح على العالم ؟ الأرجح أن الشق الثاني من السؤال هو الصحيح • على أنه مهما يكن من دوافع تلك السياسة الجديدة ، فان التفسير العلمي لتلك الظاهرة الجديدة هو أنه لا يمكن ارجاعها الى نزعة أو سبب واحد • فالانتصارات على المعسكر الغربي في المنطقة العربية في ذهن الساسة السوفيات• ولكن هل الانتصارات الثورية التي حققتها مصر وسورية في تلك السنوات راجعة للمكاسب التي حققها الاتحاد السوفياتي بدخوله الى المنطقة عن طريق المساعدات العسكرية والاقتصادية ؟ انه لمن المشكوك فيه أن يكون تفسير الموقف السوفياتي هو في حقيقة الأمر أهم العوامل المسئولة عن الانتصارات الثورية للحركة القومية • فحتى لو أن الموقف السوفياتي قد أصبح أكثر مرونة فانه لم يتكشف عن أى دهاء سياسي ميكيافيللي في التعامل مع المنطقة ، كما لم يتكشف في البداية عن أى مسعى حثيث لاكتساب موطىء قدم في الشرق الأوسط • وتكشف الوقائع عن أن بادرة دخول الاتحاد السوفياتي الى الشرق الأوسط قد صدرت عن القاهرة ودمشق بقدر ما صدرت عن موسكو • ويكفي أن نذكر صفقة السلاح حتى ندرك أن البادرة صدرت عن القاهرة ودمشق أكثر من صدورها عن الاتحاد السوفياتي •

ما تقدم يقيم الدليل على أن التغيير الذى طرأ على سياسة الاتحاد السوفياتي بالنسبة للمنطقة فيما بعد عام ١٩٥٣ انما يرجع أولا وأخيرا الى تلك الروح الثورية التي ظهرت في العالم العربي ، والتي لم يخلقها النفوذ السوفياتي كما أثبتت التجارب• هذه الروح الثورية برزت كقوة سياسية واجتماعية جديدة أخذت تحل محل الطبقات الحاكمة القديمة ؛ وكان أن تحتم التصادم بينها وبين الرأسمالية الغربية كنتيجة حتمية لتصادم القومية العربية بمضمونها الوحدوي مع الغرب •

وهناك عامل آخر في تفسير النظرة السوفياتية الى المنطقة وفي محاولته الاعتراف بالحركات الوطنية فيها •

ذلك العامل هو نجاح خالد بكداشي في الانتخابات النيابية السورية في عام ١٩٥٤ • فبعد سقوط أديب الشيشكلي في فبراير عام ١٩٥٤ خاض الحزب

الشيوعي السوري الانتخابات النيابية على أساس " برنامج وطني ديمقراطي معتدل ". وكان أهم ما احتواه هذا البرنامج العمل على الغاء " القطيعة الاقتصادية " ما بين سوريا ولبنان ، والسعي الى حل القضية الفلسطينية " بمعزل عن المستعمرين ". وقد أسفرت تلك الانتخابات عن نجاح خالد بكداش - زعيم الحزب في سوريا ولبنان - في دمشق حيث نال ١٦٫٥٠٠ صوتا ونال كل من زميليه ٩٠٠٠ (وجاءت النتائج في المراكز الأخرى مخيبة . ولكن الانتخابات دللت بشكل عام على سعة قواعد الحزب في المدن الثلاث - دمشق وحلب وحمص - وضعف هذه القواعد في الأرياف بالمقارنة مع قواعد حزب البعث العربي الاشتراكي) . " وكان خالد بكداش أول نائب شيوعي في دنيا العرب (اذا استثنينا نيابة عبدالقادر اسماعيل في العراق قبل الحرب ، والنواب الشيوعيين اليهود في فلسطين المحتلة ، والنواب الشيوعيين الفرنسيين في الجزائر " . (٢)

يدل على صحة التفسير السابق بالنسبة لموقف الاتحاد السوفييتي ما لوحظ من أن موسكو قد استمرت بالتنديد بالنظام الذى قام على أنقاض دكتاتورية الشيشكلي ، ولم تغير نظرتها الى ذلك النظام الا بعد أن أعاد الحياة البرلمانية والديمقراطية وبعد أن نجح ممثل الحزب الشيوعي في انتخابات خريف ١٩٥٤ (التي وصفت في موسكو بأنها نقطة تحول) ونشوء قوى أكثر راديكالية في سوريا " وليس ثمة حاجة الى القول أن عطف روسيا كان مع الحزب الشيوعي السوري - فيما يتصل بالمسرح الداخلي - هذا الحزب الذى قيل أن نفوذه وسلطته قد ازدادا بشكل حثيث حتى بات من أقوى الأحزاب السورية " . (٣)

هنا تغيرت نظرة موسكو الى الأحزاب السورية . كانت الأحزاب السورية على اختلاف مذاهبها وأهدافها تعتبر أعداء خطيرة ومنافسة للحزب الشيوعي السوري ... الا أنه حدث تغير حين نودى بالجبهة الوطنية . ونظرت موسكو الى بعض الأحزاب السورية بعين التأييد ؛ منها لاحزب الوطني الذى تزعمه (بعد تصفية تطهيرية) صبري العسلي (ممثلا البورجوازية المحلية والملاكين) وحزب البعث العربي الاشتراكي (الذى يمثل البورجوازية الوطنية ، وصغار رجال الأعمال ، والذى يضم

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٢) الياس مرقص : تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي (دار الطليعة - بيروت - ١٩٦٦) ص ٣٠ .

(٣) وولتر لاكور ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

بعض رجال الحرف ، وبعض فئات العمال والفلاحين) • وو صفت موسكو هذين الحزبين بأنهما " يؤيدان استقلال سوريا ويعارضان الاستعمار الغربي " بينما نسب الى حزب الشعب (أكبر الأحزاب السورية حتى عام ١٩٥٥) بأنه " مرتبط بالرأسمال الاحتكاري وبالأوساط العليا من البورجوازية الوطنية " فكان بالتالي يفتقر الى الغيرة الوطنية وبأنه ، من ثم ، " عنصر غير مرغوب فيه " • (١)

وهذه هي النتيجة الثانية لدخول الاتحاد السوفياتي الى المنطقة العربية : تبني الجبهة الوطنية على الصعيد الداخلي تمكينا للحزب الشيوعي السوري من الانطلاق الى قواعد ومكاسب جديدة كما حصل بالنسبة للجبهات الوطنية في أوروبا الشرقية •

ولتأكيد هذه النتيجة وتحقيقها كان التغيير الذي طرأ على مواقف الحزب الشيوعي السوري (ومواقف الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي بوجه عام) • ويمكن تلخيص الموقف الجديد في سوريا وفي الحقل العربي بالتالي :

تأكيد فكرتي الأمة العربية والوحدة العربية ، وعلى الصعيد السوري الداخلي العمل على أساس من سياسة الجبهة الوطنية القائمة على " التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الاشتراكي " • ولقد جاء اكتشاف الأمة العربية على النحو الذي أعلنه بكداش في خطابه أمام مجلس النواب السوري بتاريخ ١٩٥٥/١٠/٦ مفاجأة تامة لغالبية أعضاء الحزب • فقد أكد بكداش أن جميع مقومات الأمة (بما فيها الوحدة الاقتصادية) متوفرة في العرب " وكما هو واضح وساطع كالشمس في رائعة النهار " • (٢)

وعلى النسق السابق جاءت مقررات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان في أواخر أبريل ـ أوائل مايو عام ١٩٥٦ • وذلك على أثر انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي • وكانت الوحدة العربية بالنسبة للمؤتمر هي " احدى قضايا السلم والحرية في العالم " وهي أيضا " نتيجة لتطور تاريخي موضوعي مستقل عن الرغبات والارادات " • (٣)

---

(١) الياس مرقص ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ـ ٨٧ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ •

(٣) أما كيف كان الأمر بالنسبة لمصر ؟ بمعنى ما هو موقف الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي المصري من الثورة ؟ يلاحظ أن خطوات التقارب من مصر قد بدأت ابان الصدام القوي بين ثورة يوليو وبريطانيا ما بين عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ • ولقد تجنب الاتحاد السوفياتي •• التعليق على أزمة مجلس الثورة وابعاد محمد نجيب (مارس ١٩٥٤) ثم أبدوا بعض الاستياء من اتفاقية الجلاء ، دون أن ينسفوا

أما عن موقف الأحزاب السورية والشخصيات السياسية من الحزب الشيوعي السوري فنعرض هنا موقف حزب البعث وموقف خالد العظم .

أما الذين كانوا يعملون ويدعون للتقارب مع الحزب الشيوعي السوري فلم يكونوا مدفوعين بدوافع عقائدية — فمثلا كان حزب البعث العربي الاشتراكي يؤيد فكرة الجبهة الوطنية على أساس أن يكشف الخطوط الخلفية لدوافع الحزب الشيوعي السوري ، وفي نفس الوقت يستمد التأييد من القوى الثورية الوطنية في الداخل ليتمكن من التصدى للحزب الشيوعي حين تسنح الفرصة . ومثل آخر على التعاون مع الشيوعيين خالد العظم — وهو ذلك المليونير ومن رؤساء الوزارة السابقين الذى كان قد تعاون مع الفرنسيين زمنا أيام الانتداب . ولقد أصبح الحليف الموثوق لدى الشيوعيين — كما أصبح موضع اطمئنان وثقة الاتحاد السوفييتي . وكان تقربه من الحزب الشيوعي نتيجة لعدم انتخابه رئيسا للجمهورية بدل السيد شكري القوتلي في عام ١٩٥٥ كما كان يرجو ؛ ثم تخلى حزب البعث عنه بعد أن تحالف الحزب مع الحزب الوطني .

كل الجسور .. " (الياس مرقص ص ٨٥) . ثم شجب الاتحاد السوفييتي أعمال العدوان الاسرائيلي على قطاع غزه بأقصى ما يمكن من الشدة . وما لبثت أن تدهورت العلاقات السوفييتية الاسرائيلية بسرعة ، مع نهوض الحركة العربية الثورية ونمو الصداقة السوفييتية التى تجسدت في تزويد مصر وسوريا بكميات ضخمة من الأسلحة السوفييتية . وشجب خروشوف بتاريخ ١٩٥٥/١٢/٢٩ " مسلك اسرائيل التى دأبت منذ الأيام الأولى لوجودها تهدد جيرانها وتسير على سياسة غير ودية حيالهم " . وأعلن شبيلوف أن مصر تستلهم الاشتراكية وأعرب عن تأييده للوحدة العربية (١٩٥٦) — وحملت احدى الصحف السوفييتية على " المشاغبين الذين يسمون أنفسهم شيوعيين في مصر ويتجاسرون على معارضة حكومة الرئيس عبد الناصر " . بينما وصف خالد بكداش في جريدة (النور) الدمشقية جمال عبد الناصر بأنه رجل " عجيب الوطنية عجيب الذكاء " . " وأعلن في مجالسه الخاصة أن جمال عبد الناصر قد عمل ضد الاستعمار أكثر من جميع القوى السياسية الوطنية مجتمعة ، وأن الشيوعيين الذين ما زالوا في سجون مصر هم " ثرثارون صهيونيون " .
وكيف كان موقف مصر من الشيوعيين ؟ كان السفير السوفييتي لدى القاهرة قد سلم بتاريخ ١٠ أغسطس الرئيس عبد الناصر دعوة لزيارة الاتحاد السوفييتي ، فأعلن عبد الناصر أنه سيزور موسكو في ربيع عام ١٩٥٦ . وأوضح الرئيس عبد الناصر في تصريح خاص لجريدة (الجريدة) اللبنانية نشر بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٥٥ بأن تلك الزيارة لا تتناقض مع مبادئه المتعارضة مع الشيوعية . وفي نفس الوقت أخبر السفير السوفييتي الرئيس عبد الناصر بأن حكومته ليس لها أدنى علاقة بالشيوعيين المصريين ؛ وكان مما قاله الرئيس عبد الناصر لجريدة (الجريدة) :
" لا شيء يمنعنا من تقوية صلاتنا الاقتصادية مع روسيا حتى ولو كنا نعتقل الشيوعيين في بلادنا ونحاكمهم " .
اتضح مما سبق الفرق الكبير بين الحزبين الشيوعيين : المصري والسوري . الحزب الشيوعي السوري يؤيد الجبهة الوطنية في الداخل ، ويعترف بالوحدة العربية ويؤيد عبد الناصر ، بينما الحزب الشيوعي المصري أعضاؤه بالسجون والاتحاد السوفييتي يتنصل منهم ، والحزب يقف من الثورة والسلطة موقف المعارض . وفيما سيلى من هذا البحث سنلاحظ التبدل الجذري الذى حصل لدى كل من الحزبين : الحزب الشيوعي السوري يرفض الوحدة والحزب الشيوعي المصري يؤيدها ويباركها

على أنه مع مضى الوقت ، وتصاعد حرارة الأحداث فى المشرق العربى ، فلقد زاد التأييد الشعبى للصداقة السوفييتية . " ولقد أيد الناس فى مصر وسوريا الاتحاد السوفييتى ليس لأنهم شيوعيون بل لأنهم قوميون . (١) ذلك أن العرب بعد ولادة حركتهم القومية ، وزيادة تحديهم للغرب ، وجدوا من يسندهم بقوة .

ولقد اقترنت زيادة التحالف ما بين القوميين والشيوعيين بتدهور نفوذ الغرب وأنصاره فى المنطقة . وهنا لم يعد الغرب يميز ما بين القومية والشيوعية . وكانت هذه أولى أخطاء الدبلوماسية الغربية فى الحقبة موضع الدراسة . ومن ناحية ثانية فلقد " تخطى الدبلوماسيون الغربيون معاملة البعث للشيوعيين كخصوم وكذلك معاملة عبد الناصر للشيوعيين المحليين . والحقيقة تظهر أن كلا من الشيوعيين والقوميين كانوا يحذرون بعضهم البعض ولم يتحدوا الا فى وجه الضغوط الغربية : وكان خطأ مزدوجا دفعهم الى أيدى بعضهم البعض " . (٢) وطالما أن عبد الناصر والبعث قد عملا على أن يمحوا أى أثر للنفوذ الغربى فى العالم العربى فلقد اعتبرهما الغربيون خطرين كالشيوعيين .

على أن فكرة الجبهة الوطنية لم تثمر فى النهاية عن أية نتائج ايجابية بعد أن بدأ الحزب الشيوعى السورى يظهر مقاصده فى السيطرة على سوريا . وما يجدر قوله هنا أن الحزب وان أحرز مركزا مرموقا فى بعض دوائر السلطة فى سوريا ، الا أن قواه وقواعده الشعبية ظلت دون هذا المستوى بكثير . " ولذا فان سياسة الوثوب الى الحكم التى نهجها فى صيف ١٩٥٧ لم تكن الا مغامرة مآلها الطبيعى سقوط سوريا فى أحضان الرجعية ومبدأ ايزنهاور وتخريب وحدة النضال الثورى فى الوطن العربى " . (٣) وكانت دلائل سقوط الحزب الشيوعى فى سوريا قد ظهرت منذ الربيع . فى تلك الفترة لم تتمسك القيادة الشيوعية السورية بمبدأ التعاون بين الحزبين الوطنيين الشعبيين الكبيرين " ، أى حزب البعث والحزب الشيوعى . ولقد تحولت من تأييدها الكامل للكتلة الاشتراكية فى الجيش ابان ما سمى (بعصيان قطنا) . " والى انشاء ودعم كتلة تقدمية وضفاضة تناوئ الكتلة المذكورة . وهدر الحزب الشيوعى طاقة كبيرة فى هذه الحرب الخفية ، وفى النضال ضد المعارضة اللينينية التى اشتدت فى صفوفه " . (٤)

---

(١) Seale, Op. Cit., p. 287.

(٢) Ibid. p. 287.

(٣) الياس مرقص ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٩١ .

قيل أنه كان بامكان الحزب الشيوعي السوري أن يستولي على السلطة بمفرده ٠ فالى أي مدى صحة هذه الحجة ؟

الاجابة على هذا السؤال من أعقد التحليلات التي تواجه أي محلل لتلك الفترة ٠ بين الايجاب والسلب في الرد على السؤال السابق يمكن القول أن من المشكوك فيه أن يستطيع الحزب الشيوعي السيطرة على السلطة والجيش في سوريا ، وان قامت دلائل على قوة الحزب ٠ فهل كان الحزب من القوة بحيث يستطيع الاستيلاء على السلطة ؟ " ان التفسير الذي انتشر فيما بعد والقائل بأن البعث قد طلب الوحدة مع عبد الناصر حتى يمنع الشيوعية من السيطرة على سوريا ، هذا التفسير يقدم اجابة أكثر تعقيدا ٠ ومن المحتمل أن البعث وأصدقاءه قد خافوا من أن الضغوط والتدخلات القادمة الى سوريا من جيرانها ، المتعاونين مع الغرب ، سوف يستغلها الشيوعيون السوريون ان آجلا أو عاجلا ٠ وكذلك تفعل الحكومة السوفييتية وخالد العظم وأتباعه "المتزايدون" ٠ على أية حال ، فان الاتجاه نحو القاهرة بهدف الوحدة قد ظهر للسوريين الوحدويين على أنه ليس عملية تسليم وانما فصلا من النصر ٠ فما الذي كانوا يدافعون عنه لعدة سنوات اذا لم تكن وحدة قومية ، تقدمية ، ثورية ، مع بقية الدول العربية " ٠ (١)

وبدأت بوادر الصراع العلني تظهر بين القوى الثورية القومية في سوريا وبين الحزب الشيوعي فيها ٠ لقد أصبح أصدقاء الأمس أنه أعداء اليوم ٠ وبينما كانت الثورية العربية ترمي بكامل قواها في المعارك السياسية المباشرة في النصف الثاني من عام ١٩٥٧ " كانت الشيوعية المحلية تحفر الأرض تحت أقدامها لتجعلها تتردى الى الهوة التي تعتقد أنها قفزت الى الذروة " ٠ (٢) ولم تدر الثورية العربية في سوريا الا والشيوعية تقوم بعملية اغتصاب للجماهير ، وتحولها عن خطها القومي دون أن تدري ، بواسطة اللعب بعواطفها والتسليم بمشاعرها القومية العفوية ، ثم الاجهاز عليها بالتدريج " عن طريق المؤسسات المختلفة التي سيطر عليها الشيوعيون في مختلف القطاعات ٠ لقد داهمت الشيوعية المحلية الصفوف الخلفية للثورية العربية ، وراحت تستأصل منها قواها العفوية وتعمل على تأليبها أو جرفها وراء الأطر التنظيمية التابعة للحزب الشيوعي ٠ (٣)

كان ذلك من أفدح الأخطاء التي تحملتها الثورية السورية في فترة

---

(١) Kerr; Op. Cit., p.p. 13-14.

(٢) مطاع صفدي ، مرجع سابق ص ٤١١ ٠

(٣) المرجع السابق ، وكذلك Paretz, Op. Cit., p. 358.

ما قبل الوحدة (١) ·

وبالرغم من كل ذلك ، هل تأثرت العلاقات السورية السوفييتية والسوفييتية المصرية ؟

كانت اهداف الاتحاد السوفييتي في سوريا واضحة · فهي ترمي الى جعل سوريا صديقا ان لم يكن بالامكان جعلها حليفا · والعلاقة الودية بينهما قد قامت بشكل رئيسي على مصالح سياسية مشتركة اكثر مما قامت على رغبة سوريا ، او مصر ، في الاقتداء بالتجربة السوفييتية في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي ·

كما قد رأينا تصريح الرئيس عبد الناصر لجريدة (الجريدة) اللبنانية الذى قال فيه بالتفريق بين الاتحاد السوفييتي وبين الشيوعيين المحليين · وفي نفس الفترة ، وفيما بعدها ، أنكر الزعماء السوريون مزاعم الغرب الذى رأى النفوذ السوفييتي والصداقة السوفييتية قد بلغا الذروة في سوريا ، فرد معروف الدواليبي — حزب الشعب — على تلك المزاعم واضعا اياها على انها تسيّرها " المكارثية " فليس هناك في سوريا ما يدعى بالمشكلة الشيوعية ··· واكد اكرم الحوراني — حزب البعث — بأن الحزب الشيوعي هو أضعف حزب سياسي في سوريا (٢) وقال صبرى العسلي لجريدة (الاخبار) القاهرية : " انني لست شيوعيا ولا يستطيع هذا البلد المسلم أن يصبح شيوعيا · ولو كنت أعتقد ان هؤلاء الناس يعملون من اجل الشيوعية لما بقيت لحظة رئيسا للوزراء " · وهكذا كان كل أصحاب الحل والربط في سوريا متفقين على ان هناك فرق كبير بين الشيوعية كمبدأ والاتحاد السوفييتي كدولة ، ولذلك فانهم ما خلقوا ما اعتبروه افكارا وهمية يهول بأمرها الغرب في دعاياته (٣) ·

بالرغم من هذه النظرة الى الشيوعية الدولية والشيوعية المحلية ، وبعد ان مرت ازمة صيف عام ١٩٥٧ ما بين سوريا والغرب ، فان العلاقات الاقتصادية ما بين

---

(١) وعلى سبيل المقارنة يمكن القول انه في الوقت الذى كان الحكم الثورى في مصر يمد للشيوعية المحلية ليكشف خطوطها الخلفية ، وفي الوقت الذى كان يمهد لها مختلف الطرق لكي تبرز كل امكانياتها ، وتفضح نفسها بنفسها " اى في الوقت الذى كان الحكم واعيا كل الوعي ، لدرجة انه عندما انكشف له الخطر دفعة واحدة في نهاية اللعبة ، حتى وكأن جميع المعارك التي خاضها عن طريق تعاونه مع الحركة الثورية العربية ، سوف تصبح في النتيجة معركة واحدة ، من اجل تسليم البلاد الى الشيوعية " ·

(٢) من تصريح له لجريدة (الاخبار) المصرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٧ ·

(٣) وولتر لاكور : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ ·

سوريا والاتحاد السوفييتي قد أصبحت وثيقة جدا . ذلك ان الحكومة السورية قد " قامت بجهد صادق لتقوية العلاقات الاقتصادية مع الكتلة السوفييتية لاغراض سياسية " بحته بالرغم من ان بوادر ازمة بين القوى الثورية والحزب الشيوعي السوري قد لاحت في الافق . وكمثل على العلاقات المتينة بين الدولتين فقد قبلت سوريا العرض التشيكي لبناء مصفاة للبترول في حمص . وعلى أثر هذا القبول صرح السيد/ اكرم الحوراني زعيم البعث في مجلس النواب بأن العرض قد قبل لاسباب سياسية وليس لانه اقل العروض . وبالمقابل فقد رفضت سوريا قرضا من البنك الدولي لان نسبة الفائدة المطلوبة هي اعلى مما يجب ولأنها خشيت من الضغط السياسي من جانب البنك ، وبدلا من ذلك طلبت قرضا من الاتحاد السوفييتي وعقدت معه يوم ٢٨ اكتوبر عام ١٩٥٧ اتفاقا عاما للمساعدات الاقتصادية والفنية (١) .

٢ — حزب البعث العربي الاشتراكي :

كان حزب البعث العربي الاشتراكي اقوى حزب جماهيري في سوريا في الفترة موضع الدراسة . والحزب يرجع في جذوره الى حزبين هما : البعث العربي والاشتراكي العربي . الاول حزب عربي ، قام في اساسه على القومية العربية والوحدة الشاملة ، والثاني حزب اقليمي انحصر نفوذه في جزء من شمال سوريا هو محافظة حماه . الاول حزب عقائدي له دستوره وكادراته ومبادئه واهدافه الواضحة ، والثاني قام على اساس من شخصية زعيمه ومؤسسه اكرم الحوراني ، واعتمد على الفلاحين في محافظة حماه للوقوف في وجه أعتى اقطاع في سوريا كلها . هذا من الناحية النظرية البحتة .

ولقد اتحد الحزبان ، وكان هذا الاتحاد بين حركتين ، وان بدت وحدة الاهداف ظاهرة في دستوريهما ، الا انهما بدتا متناقضتين أشد التناقض في الناحية العملية . حزب البعث العربي يقوم على " العقائدية والتخطيط الاخلاقي في العمل السياسي والتوعية النظرية المستمرة والشعور بشمول القضية القومية " (٢) والحزب الاشتراكي العربي يطرح " الوسائل والادوات الناجحة السريعة لضرب العدو بدلا من التماسك الايديولوجي " (٣) . ولقد آمن الاشتراكي العربي بالميكيافيلية والمرحلية الضيقة ، واعتمد على ذكاء الافراد القياديين وخاصة زعيمه اكرم الحوراني ، ومبادرته الشخصية . وانطلق الحزب ، كما قلنا ، من افق اقليمي محدود ولم يستطع ان ينظر ابعد من المشكلات الآنية للاقليم الذي نشأ فيه . وفي هذا يقول (كبير) :

---

(١) عرض الاتحاد السوفييتي بفائدة منخفضة بلغت ٢,٥٪ وهي اقل من الفائدة التي طلبها البنك الدولي . انظر المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٢) مطاع صفدي : مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

" كان الساعد الآخر للحزب المتحد هو حزب اكرم الحورانى (الحزب الاشتراكى العربى) ، وبنى هذا الحزب على الاصوات الانتخابية فى مدينة حماه بشمال سوريا "(١) .

وتجدر الاشارة هنا الى الخلاف بين شخصيتى مؤسسى الحزب . " وحيث كان عفلق متأملا وحساسا وذكيا خجولا ومعروفا بعطفه من قبل أتباعه الشبان باسم " الاستاذ " ، فان الحورانى كان سياسيا عمليا رفيع الشأن ومتكتكا ورجل عمل قد بقى على صلات ناجحة مع مجموعات سياسية مختلفة ومع قادة مختلفين . وكان رجلا ذا ثقافة قليلة وليس له اهتمام بالمبادئ والاحكام المنهجية ، ولم يشارك على الاطلاق عفلق والبيطار فطرتهما بالاسباب الثورية . ولقد بنيت زعامته فى حماه لكونه عدوا مرا للعائلات الاقطاعية الكبيرة فى المنطقة . وهو الذى أمد حزب البعث بعد عام ١٩٥٢ بمعظم اتباعه داخل الجيش ، لانه قد بنى صداقات وتمكن من ادخال أفكار راديكالية فى عقول عدد من الضباط الشبان خلال سنين عديدة "(٢) .

وهكذا يمكن القول بأن ادى البعث نوعا من الازدواجية فى كل من مركز القيادة فيه وفى مبادئه أيضا . وهذه أعقد الأسباب التى قامت فى جذور البعث . وسيترتب عليها أخطر النتائج للحزب فى سنوات الوحدة أو بعدها(٣) .

مهما يكن من امر الحزب ومبادئه وقادته ، فان الذى يهمنا منه فى هذا المجال موقفه من الوحدة . وموقفه من الاحداث التى قامت قبلها ، وخاصة موقفه من الثورة المصرية منذ قيامها حتى قيام الوحدة .

يلاحظ ان هذا الموقف لم يتسم بالثبات والسير على وتيرة واحدة . فالخط البيانى لآراء الحزب فى الثورة المصرية ، والعلاقات السورية - المصرية ، والوحدة تعطى نموذجا فريدا على تذبذب المواقف الحزبية . فالحزب كحركة تقدمية انقلابية ، كما يقول دستوره ، كان يجب ان يؤيد كل حركة تقدمية فى اى جزء من أجزاء

---

(١) Kerr: Op. Cit. P. IO.

(٢) Ibid: P.II.

(٣) فبعد الانفصال الذى حدث فى سبتمبر عام ١٩٦١ كانت الامور تسير بالبعث الى ان يعود الى اصله وينفصل الى حزبين ، وهذا ما حصل فعلا للبعث ، اذ اصبح بعد الانفصال مباشرة قسمين : قسم بزعامة عفلق واخر بزعامة الحورانى . انظر (محاضر جلسات مباحثات الوحدة) ص ٩٧ حيث يقرر الفريق لؤى الاتاسى ، عضو الوفد السورى ، ان بتاريخ حزب البعث جناحين ...

الوطن العربى ، ولكن التجربة الخاصة للحزب على صعيد سوريا ، كانت تأسره فى بعض الاحكام والآراء[١].

أكدت تجربة سوريا فشل الانقلابات العسكرية لسبب أو لآخر . ومع ان حزب البعث قد شارك مشاركة فعلية فى قيام وتنفيذ هذه الانقلابات الا انه كان فى كل مرة يخيب امله فى الانقلابيين . من هنا ، من تجربة الانقلابات السورية ، حكم البعث على التجارب الانقلابية فى البلاد العربية الاخرى. وكان اهم انقلاب قد حدث فى فترة الانقلابات السورية هى الحركة العسكرية التى قامت صبيحة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقد هاجم حزب البعث هذه الحركة منذ قيامها .

ففى البيان الذى صدر عن حزب البعث فى اكتوبر عام ١٩٥٣ فقرات تذكر الوضع فى مصر وتصفه بأنه " دكتاتورى " و " يجب تصفيته " . يقول البيان :

"أ ـ يجب التأكيد على فشل تجربة الحكم الدكتاتورى عسكريا كان ام غير عسكرى .

"ب ـ فى شأن القضية المصرية يرى المؤتمر انه يقتضى على الفروع والشعب حاليا السير فى مواجهة الوضع فى مصر ضمن الخطوط العامة التالية :

١ ـ بث الوعى ضد المؤامرة التى تجرى الان فى مصر من اجل تسوية القضية المصرية فى اتجاه هو فى صالح الاستعمار بعد ان هيأ لذلك بفرض دكتاتورية عسكرية تبطش بالقوى الشعبية .

٢ ـ والتأكيد على ان كل حل من هذا النوع سيكون له أثر على بقية القضايا العربية الاخرى وحافزا للانتقاص منها ، وفى هذه الحالة يجب التأكيد والمطالبة بجلاء صحيح غير مشروط بارتباط العرب بأى معسكر لان موقفهم الدولى هو الحياد"[٢] .

على ان هذا الهجوم على الثورة المصرية لم يكن من فعل البعث وحده ، بل ان معظم الاحزاب والحركات السياسية فى سوريا والمشرق العربى قد اشتركت فى اطلاق صفة (الدكتاتورية) على الحكم الجديد فى مصر ، وهذا راجع ، كما قلنا ، الى ان معظم تلك الاحزاب والحركات كانت اسيرة التجربة السورية فى الدكتاتوريات العسكرية .

---

(١) نتابع هنا فكر البعث بالنسبة للثورة المصرية والعلاقة السورية ـ المصرية ، مرجئين الكلام عن البعث والوحدة الى مفاوضات الوحدة ، كما سنذكر مواقفه بشئ من التفصيل فى سنوات الوحدة وكيف اراد تلك الوحدة .

(٢) نضال البعث الجزء ٤ ص ١٥ .

على ان الامور قد سارت منحى مغاير للاعتقاد السابق ، وبدأ عرب المشرق ينظرون الى الثورة المصرية نظرة موضوعية بعد ما انجزته من اعمال داخلية وسياسية خارجية ترفض الاحلاف العسكرية والارتباط بأى من المعسكرين ، وبعد ان قامت مصر بصفقة الاسلحة ووقفت بصلابة ضد حلف بغداد ، وجاء العدوان الثلاثي ليكرس عروبة مصر بالدم .

كانت اول مرة يطرح فيها حزب البعث قضية الوحدة بشكل علني بتاريخ ١٧ أبريل عام ١٩٥٦ (١) . فلقد أصدرت القيادة القومية للحزب بيانا حول أهم القضايا العربية فى التاريخ المذكور نشر فى جريدة (البعث) فى عددها الاول بتاريخ ٢٠ أبريل جاء فيه ذكر الوحدة على الشكل التالى :

" والاستعمار .. يقصد ضمان أهدافه مع استمرار سيطرته ومصالحه فى دول شرقى القنال وعزل مصر ..

" لذلك فان حزبنا اذ يفضح التخطيط الاستعمارى .. يرى أن نقطة الانطلاق نحو الوحدة .. مع استمرار السعى لتوثيق التعاون بين الدول العربية المقاومة للاحلاف وذات السياسة الخارجية المستقلة والتى تحيط بها تلك الخطط الاستعمارية ، هى فى المبادرة لاعلان الوحدة بين مصر وسوريا (٢) " .

وبهذا المطلب ، طلب الوحدة ، بدأ الحزب يستقطب الجماهير السورية . ولكن هل وصل الحزب الى درجة تؤهله استلام السلطة عن طريق الوسائل الديمقراطية الانتخابية التقليدية ؟

---

(١) لقد رأينا فى الفصل الاول كيف قاد حزب البعث الحكومة السورية واجبرها ، مع الجيش السورى ، وضغط الجماهير ، الى اتخاذ مواقف خارجية متشابهة ، ومتماثلة ، مع المواقف المصرية ، من مؤتمر باندونج وتوحيد السياستين الخارجيتين للدولتين ، مرورا بالبيان المشترك الذى صدر نتيجة لزيارة وفد مصرى برئاسة صلاح سالم ثم ميثاق الدفاع المشترك بينهما . الى غير ذلك من المواقف المشتركة . على ان ما يهمنا الان تتبع الخط البيانى لحزب البعث فى رايه بالثورة المصرية وبالعلاقات العربية المصرية وبالوحدة وكيفية انجازها .

(٢) نص البيان كاملا فى كتاب (نضال البعث) جزء ٤ ص ٤٧ وما بعدها . وما يلاحظ بهذا الخصوص ان الوحدة ، من الناحية العملية البحتة ، قد ارتبطت واقترنت ، عند البعث ، بالمؤامرات والتهديدات التى يواجهها العرب ، وبدون اى ذكر لمحتوى هذه الوحدة الاجتماعى والاقتصادى أو لنوع وطبيعة دولة الوحدة ، ولهذا نتائجه الكبيرة كما سنرى فيما بعد .

ان الحزب لم يستطع ان يحقق في اى وقت من الاوقات شعبية انتخابية واسعة تعتمد على قاعدة عريضة خاصة بالحزب . ولذلك فانه قد اضطر الى ان يتعاون مع بعض العناصر المحافظة في حالات كثيرة . على ان " اكبر ورقة رابحة كانت في يده ، هي قدرته على التفاهم مع بعض العسكريين "(١) ، بينما كانت غالبية اعضاء الحزب وانصاره ومؤيديه في صفوف الطلاب ، وبين أفراد الطبقتين الوسطى والدنيا في كل من حمص وحماه على وجه الخصوص، والى مدى أقل في مدينة دمشق العاصمة .

عندما قام الانقلاب ضد الشيشكلي في فبراير عام ١٩٥٤ لم يكن الحزب راغبا في اجراء انتخابات نيابية على وجه السرعة ، وذلك لخوفه من ان يفوز المستقلين وحزب الشعب والحزب الوطني ، وهؤلاء يؤلفون الاقطاع والعشائر والرأسمالية والبورجوازية الكبيرة . وفي ذلك الوقت كان خالد العظم يعد العدة لخوض انتخابات رئاسة الجمهورية ، اما الحزب الشيوعي فكان قد بدأ يحقق بعض المكاسب الشعبية الجديدة نتيجة لتوطد الصداقة بين سوريا والاتحاد السوفييتي وما انتهت اليه من اتفاقات اقتصادية وفنية ، ونتيجة لموقف الاتحاد السوفييتي من المؤامرات ضد سوريا ومحاولة غزوها من قبل تركيا كما سبق ورأينا كل هذا كان تصالح الاحزاب الأخرى وخاصة الحزب الشيوعي السوري ، بالطبع على حساب حزب البعث .

صحيح ان الحزب كان يتمتع في ذلك الوقت بتأييد بعض العسكريين ، الا انه لا يخفى مدى الانقسام الخطير الذي كان بين صفوف الجيش السوري آنذاك .... وعندما وجد الحزب نفسه وحيدا في الساحة السورية ، الا من تأييد الجيش والجماهير المعزولة التي تعاطفت معه ، بدا " ان حزب البعث وجد في الوحدة مع مصر، الحل الذي يريحه ويرضى عنه ، اذ أمل عن طريقها تحقيق أهدافه ، والاحتفاظ بالسلطة التي توصل اليها أخيرا "(٢) .

على ان ما يجب تأكيده بهذا الخصوص ان الحزب كان صادقا في دعوته للوحدة كمطلب جماهيري رفعه الشعب السوري على مر السنين ، ان البعث ، وان اراد الوحدة كمكسب خاص له ، الا انه يجب ان لا يثور اى شك في وحدويته آنذاك . ويكفي ان نتذكر الضغوط والمعارك التي خاضها الحزب ضد اليمين والبرجوازية والشيوعية داخل سوريا لتأكيد الحقيقة السابقة . كذلك مما اتضح من خلال

---

(١) ليونارد بايندر : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧

المناورات التى قامت بها الاقطاعية والعشائرية والرأسمالية والبورجوازية السورية ، وموقفها العدائى الصريح من الوحدة والتقدمية الاجتماعية والتحرر السياسى . كما ان تلك الطبقات سعت بدأب ونشاط الى القضاء على حرية التعبير السياسى ، محاولة ان " تشل فعالية الفئة الطليعية الوحيدة فى البلاد التى تتألف من الطلاب والمدرسين وبعض المثقفين فى قيادة الشارع وممارسة الضغط المستمر على المجلس النيابى وعلى الحكومة معا ." (١)

واستطاع الحزب ان يؤلف لجنة وزارية من اجل المباشرة فى المفاوضات لتحقيق الاتحاد بين مصر وسوريا . وقام البعث بهذه البادرة مدعما بقوة الجماهير التى مارسها الوعى الشعبى فى مواجهة الحكومة الائتلافية ، التى يتمثل فى مقاعدها الوزارية حزب البعث ، كما دعمتها الاحداث الثورية الاخرى فى " مناهضة الاحلاف وكسر مصادر الاسلحة ، والانتصار فى معركة تأميم القنال وحرب بورسعيد " . وكانت النتيجة ان استطاعت وزارة الخارجية التى كان يقودها " احد القائدين الاساسيين لحركة البعث العربى الاصلية " ، ان تدفع بنتائج هذه الانتصارات المتتابعة الى اقصى درجة متوقعة لها ، فتباشر فعلا مع الجهود التى بذلها الضباط التقدميون فى الجيش ، الى العمل مباشرة فى التمهيد للوحدة مع مصر .

ومن الضرورى هنا ان نقدم ما يقصده البعث بالوحدة .

لقد أسبغ البعث على الوحدة انها عبارة عن خلاص لسوريا ودفاع عن النفس . وهذا معنى عملى من ناحية وسلبى من ناحية أخرى .

هذا المعنى هو الذى عجّل بالوحدة ، وهو ذاته الذى عجّل بالانفصال كما سنرى .

فالسلبية تتحدد هنا بأنها لمواجهة الاستعمار ومؤامراته . يقول اكرم الحورانى : " وان على سوريا ان تعمل فى مقابل هذه السياسة التى تهدد الأمة العربية فى صميم وجودها ومصلحتها ، على تحقيق الوحدة مع مصر . ليست القضية قضية تقدم نحو الاهداف القومية فحسب ، بل هى قضية دفاع عن النفس من الدمار ، وكل تأخير انما يعد تهيئة لانفاذ الخطة البريطانية وخدمة لها عن قصد أو غير قصد " . ويظهر من كتابات ميشيل عفلق ان وحدة مصر وسوريا كعمل تحررى يزيد من قوة العرب ، ويضع البداية السليمة لوحدة عربية شاملة ، وهى ضرورة ملحة فى وقت زادت فيه مؤامرات الاستعمار من اجل القضاء على اليقظة العربية .

---

(١) مطاع صفدى : مرجع سابق ، ص ٣٧٠ .

وان الوحدة تنقذ سوريا من المؤامرات الاستعمارية التي تهدف الى نسف الحكم الوطني فيها . ثم يقول بان الوحدة بين مصر وسوريا " تدعيم للاتجاه الانقلابي الذي نشأ في سوريا بطريق نضالية شعبية وتجاوب معه رجال الثورة في مصر تجاوبا يتأكد صدقه وعمقه يوما بعد يوم ويهيئ لهذا الاتجاه ، لما لمصر من موقع متوسط ممتاز بين أجزاء الوطن العربي وبما لها من رقي وغنى في الامكانيات " . ويضيف بأن " هذه الوحدة ستحقق المعجزات وتغير وجه التاريخ " .(١)

انطلاقا من المعنى السابق للوحدة على اساس انها خلاص لسوريا ودفاع عن النفس ، ونتيجة لصموده مع بقية القوى الثورية العربية والحزب الشيوعي السوري في وجه المؤامرات والضغوط الخارجية ، أصبح حزب البعث في عام ١٩٥٧ القوة الاكثر ديناميكية على مسرح الحياة السياسية السورية المضطربة . فكان الحزب وقيادة الثورة المصرية في القاهرة هما القوتان العاملتان في الشرق الاوسط . هاتان القوتان هما الوحيدتان اللتان عرفتا ما ارادتاه ، وعملتا على اساس هذه المعرفة . ولم تظهر الفروقات بينهما في ذلك الحين لان الامور قد اختلطت ، خاصة وان المعركة الاجتماعية لم تتبلور بأبعادها الاشتراكية كما ظهرت في عام ١٩٦١ . لقد كرس الحزب نفسه لتحقيق الوحدة العربية . . " وكانت وجهة نظره هذه اكثر من مجرد هدف عقائدي ، (ايديولوجي) ، على ان الوحدة قد ارتبطت ، في ذهن البعث ، بأغراض أخرى لتطوير النظام الاجتماعي والتحرر من التأثيرات الخارجية على اي جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير ".(٢)

اما عن تحقيق برنامج الحزب فيمكن معرفة وسائله عن طريق معرفتنا للقواعد التي تنتمي اليه . ان حزب البعث هو حزب المثقفين ، وان كان يلقى تأييدا كبيرا في بعض المناطق الفلاحية مثل حماه ، الا انه لم يصل في تنظيمه وعقيدته الى " مستوى قيادة ثورة شعبية اشتراكية ".(٣) هذه الحقيقة سرعان ما اتضحت للحزب ، حتى في قاعدته الاساسية ، ولم يعد يأمل في كسب السلطة عن طريق جداول الانتخابات ، " ولم يكن أكثر من نخبة لجماعة ضاغطة والتي يمكنها ، في اي مجتمع حر ، ان تفرق عن طريق القوى الاكثر محافظة . ولم يكن مفاجئا اذا انه لم يكن لديه ارتباطا خاصا بالنظام السياسي القائم ، ولذلك رأى الحزب في عبد الناصر أداة اكثر وعودا لتحقيق آماله ".(٤)

---

(١) ميشيل عفلق : " معركة المصير الواحد " (دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٨) ص ٧٦ .

(٢) Seale: Op. Cit. P. 310.

(٣) ناجي علوش : مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٤) Seale: Op. Cit. P. 310.

يضاف الى هذا ان البعث عندما اشرك الشيوعيين ، كتقدميين ثوريين ، فى حكم سوريا ، بطريق غير مباشر ، فانه ما لبث ان نظر الى قوتهم بعين ملئها الاهتمام والحذر . ولقد صدق البعث فى النهاية ان العظم وبكداش يمكنهما ان يزايدا ، بنجاح ، على السلطة . لقد خاف البعث ان يحاولا مع القوى المحافظة فتكون ضربة شديدة للحزب . " وفهم البعث ان قيام انقلاب بقيادة شيوعية ، حتى ولو كان عقيما ، بامكانه ان يوقظ الجناح اليمينى والتدخلات الغربية . وكانت هذه هى المعضلة التى واجهها البعث " مع نهاية عام ١٩٥٧ .(١)

لقد اتضح وضع البعث المكشوف عندما اقترح اجراء انتخابات فرعية فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٧ . كان العظم وحلفاؤه يتوقعون نصرا كاسحا على البعث .. ولا يمكن للبعث ان يطلب العون من حزب الشعب المحافظ ، لانه يكون قد طلب المساعدة من بغداد والغرب . وأصبحت " تهديدات اليمينية واليسارية قوية على جماعة أقلية تقف لوحدها " ولكن قوة الجماهير معها .. فقررت اخيرا ان تخوض الانتخابات الفرعية لوحدها كطريق مثلى " لا يقاف كل من اليمين واليسار " على حد سواء .

وهنا يجب تسجيل هذه الوقفة الرائعة للحزب ونضاله على مختلف الجبهات الداخلية فى سوريا ، هذا مع عدم نسيان دور الشعب والجيش(٢) السورى اللذين وقفا دائما الى جانب البعث .

على ان هذا النجاح والصمود لم يخفيا ضعف البعث امام التيارات السياسية التى كانت تتنازع سوريا فى ذلك التاريخ . وهذا السبب هو الذى جعل البعث يضغط بقوة ويقدم طلبا رسميا ، ناشدا رابطة رسمية مع مصر فى خريف عام ١٩٥٧ . ولقد ظهر ان " الاتحاد مع مصر يعنى نصره على خصومه المحليين ، وفى نفس الوقت يتمكن من نشر مبادئه الى كل أنحاء العالم العربى ".(٣)

انجلت غوامض الامور مع نهاية عام ١٩٥٧ ، واتضح انه ليس بامكان حزب او مجموعة سياسية منفردة ، او فرد فى البلاد ان يؤمن الاستقرار السياسى لها ، وعندها قدم طلبا رسميا للوحدة مع مصر . هذا ما جرى فى الوقت الذى " قام ضمن المعسكر اليسارى نزاع بين الشيوعيين ، الذين فضلوا روابط أمتن مع الاتحاد السوفييتى ، وبين البعث الذى ألح على اندماج كامل مع مصر ".(٤)

---

(١) Ibid. P. 316.

(٢) ان لم يكن الجيش السورى كله فمراكز السلطة الحساسة فيه على الأقل .

(٣) Ibid. P.317.

(٤) Paretz: Op. Cit. P. 362.

واخيرا انتصرت وجهة نظر البعث ، وانتصرت مبادئه بعد ان خاف في بداية عام ١٩٥٨ من قيام " انقلاب لمصلحة الشيوعية في سوريا ، وهذا ما ينمي قوته ، اما الاتحاد مع جبر فيقويه . لقد اختلف البعث مع الشيوعيين لكنه آمن بأن عبد الناصر قد قبل أفكاره "(١)

والنتيجة التي نخلص اليها من كل ما تقدم انه كان للحزب دورا اساسيا في قيام الوحدة . لقد ظهرت خطورة الحزب بهذا الخصوص امام ما واجهه من ضغط داخلي تألبت عليه فيه كل القوى المحافظة واليمينية والبورجوازية والقوى اليسارية الاخرى . وبهذا المعنى صدر بيان سياسي عن الحزب بتاريخ ١٠ / ١٠ / ١٩٥٩ (القيادة القومية) يقول بعد المؤتمر القومي الثالث : " وقد برزت خطورة نضال الحزب في حياة العرب بشكل خاص في دوره التاريخي لتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا ؛ عندما جند الحزب قياداته وجميع قواه السياسية والشعبية ونفوذه في مؤسسات الدولة لتحقيق اول نواة للوحدة العربية الشاملة ، وناضل بكل امكانياته لحماية الجمهورية العربية المتحدة ، كركيزة للنضال العربي ، وفضح حملات التضليل والتآمر على سلامتها في بقية الاقطار العربية وفي الخارج " .

ــــــــــــــــــ

(١) Ibid. P. 362.

٣ــ وزارة الائتلاف القومي (١)

عندما قام الانقلاب الذى اطاح بأديب الشيشكلي في ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ واعاد الاحزاب القديمة الى سلطانها السابق عن طريق التصريح لها بمزاولة نشاطهـا ، فأعادت هذه بدورها انتخاب السيد شكرى القوتلي رئيسا للجمهورية • وما لبثت ان تألفت حكومة من حزب الشعب وتجمعات المستقلين في سبتمبر عام ١٩٥٥ ، بينما وقف حزب البعث والحزب الوطني وبعض المستقلين موقف المعارضة • ولم يمض طويل وقت على هذه الحكومة حتى أقصى حزب الشعب عن الحكم نتيجة للمؤامرات التى حيكت ضد سوريـا من حلف بغداد والغرب والعراق وتركيا ، خاصة وان حزب الشعب كان من أنصـار الاتحاد مع العراق •

وفي خلال ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ انتقلت السلطة تدريجيا الى ايدى الائتـلاف الجديد الذى كان يضم البعث والكتلة الديمقراطية المستقلة برئاسة العظم وكتلة كبيرة من الحزب الوطني برئاسة صبرى العسلي وفاخر الكيلاني • وظلت القيادة السورية المؤلفة من عناصر ذات ميول بعثيـة (٢) وقومية عربية يسارية تتمتع بنفوذ كبير بجانب ذلـك الائتلاف ، وبعدها ما لبثت ان زالت نهائيا من المسرح السياسى القوى المحافظـة والموالية للغرب بعد تورطها في اعمال ادت الى محاكمة رجالها البارزين كما سبـق ورأينا • اما برنامج هذا الائتلاف فقد وضعته جميع الاحزاب الرئيسية في مارس ١٩٥٦ بوثيقة سميت " الميثاق الوطني " اتفقت فيه على برنامج للاصلاحات الديمقراطية وعلى انتهاج الحكومة سياسة الحياد •

كما قد ذكرنا ان الانتخابات التى اسفرت عن ارجاع الاحزاب التقليدية الـى البرلمان السورى بعد الاطاحة بنظام الشيشكلي لم تنته الى اغلبية او شبه اغلبية لحـزب من الاحزاب • ولم يكن اى حزب لهذا السبب بقادر على ان يؤلف الحكومة • وما زاد المشكلة تعقيدا ان الاصوات كانت موزعة على عدد كبير من الاحزاب والهيئـات والافراد المستقلين ، وان اكبر الاحزاب هما الحزبان الوطني والشعب ، يمثلان الطبقة البورجوازية والطبقة الرأسمالية المحافظة • وبما ان حزب البعث يمثل اكبر القوى التقدمية فقد كان مجموع تلك القوى التقدمية هزيلا في المجلس • ومما يلاحظ على المجلـس المنتخب في عام ١٩٥٤ انه خلا من العناصر الوسط او العناصر التقدمية الغير حزبية • وفي هذا الجو الغير منسجم كان من الصعب جدا تأليف وزارة الا في حالة واحدة فقط ، هى ان تتفق كل الفئات اليمينية والطبقية والاقطاعية في المجلس ــ حزب الشعـب

---

(١) د • جلال يحى ، مرجع سابق ، ص ٦٧٣ حيث يتحدث هنا عن اجتماع ممثلي الاحزاب والكتل السورية •• ووضع الميثاق القومى •

(٢) [illegible] ١٩٥٦ الى الوزارة الائتلافية واصبح صلاح الديـن

والحزب الوطني والمستقلين ونواب العشائر . ولكن هذا الاتفاق لم يحصل لأسباب ثلاثة :

الاول : التنافس بين هذه الفئات ، فتزاحمت فيما بينها كهيئات وافرادا على كراسي الحكم واستغلال الدولة والشعب .

الثاني : لعدم وجود انسجام كامل بين أعضاء الاحزاب والهيئات لاختلاف في مستويات التفكير والوعي ، وفي محاولة الحفاظ على المصالح ، وفي تقدير خطر الشعب على هذه المصالح .

الثالث : ان المد الشعبي كان قويا ، وان اية فئة من الفئات او اي حزب من الاحزاب ، لم يكن جريئا على التحدي ورفع قناع الخيانة سافرا .

لهذا كله ، وبعد فترات من التعثر بدأت فكرة التجمع القومي او الحكم القومي . ولم يكن ممكنا ان يقوم حكم قومي ائتلافي دون ميثاق ترتضيه الاحزاب والفئات جميعا . وتشكلت لهذا الغرض لجنة اراد لها المحافظون ان تكون ممثلة لكل الاحزاب والفئات والتجمعات ، فجاءت اللجنة من ثلاثين عضوا ، الا ان مندوب البعث (١) اعترض على تشكيل اللجنة " وبيّن أنه لا يمكن التوصل الى الميثاق ولا الى اي اتفاق بمثل هذا العدد ، وارتأى الا يكون العدد اكثر من أربعة يمثلون الاحزاب الثلاثة (الشعب ، الوطني ، البعث) والمستقلين بشكل عام " . وعلى الرغم من هذا الاقتراح فقد اتفق على ان تكون اللجنة من عشرة أعضاء+ (٢) " وكان يقصد من زيادة العدد اغراق صوت البعثيين " . وقدم ممثل حزب البعث مشروع ميثاق واسع فوونق على ان يكون أساس البحث . واهم ما جاء فيه :

١- ربط الاستعمار بالصهيونية .

٢- ربط التحرر بالوحدة

٣- ربط القضية العربية بحركة الحرية التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا . (٣)

وبالموافقة على هذا البرنامج تكون القوى الثورية العربية في سوريا قد انخدعت

---

(١) الاستاذ أكرم الحوراني .

(٢) ناظم القدسي رئيس مجلس النواب ، اكرم الحوراني ممثل البعث ، وفيضي الاتاسي ثم احمد قنبر عن حزب الشعب ، وميخائيل ليان عن الحزب الوطني ، ومحمد العايش واسعد هارون عن المستقلين ، وبدوي عبود عن الكتلة الوطنية الديمقراطية ، وفيصل العسلي عن الحزب التعاوني الاشتراكي ، ومصطفى الزرقا عن الكتلة الدستورية ، ومأمون الكزبري عن حركة التحرير .

(٣) راجع نص الميثاق القومي في كتاب : محمد عبد العزيز احمد ووفيق عبد العزيز نعص : تجربة الوحدة بين مصر وسوريا . (مجموعة كتب قومية رقم ٢١٩) ص ١٦٤ .

تحت شعارات تتستر وراءها الطبقة المحافظة والطبقة البورجوازية لكى تستطيع ان تستثير العناصر المعادية للشعب بعد ان تضرب ضربتها . فقامت تلك الطبقات بعدة محاولات اولها مؤامرة العقيد صفا ، وثانيها مؤامرة القوميين السوريين التى اودت بحياة العقيد عدنان المالكى ، وثالثها المؤامرة التى راح ضحية لها الزعيم شوكت شقير قائد الجيش . ولم تكتف بذلك ، بل استمرت فى التعاون مع الحركة الثورية العربية ، فى الوقت الذى كانت تتآمر عليها ، وتسعى للقضاء على مكاسب الشعب التى حققها بانهاء نظام الشيشكلى . وما مؤامرة الدكتور منير العجلانى وهايل سرور وفضل الله الجربوع الا استمرار لتلك المؤامرات .

ويؤكد اكرم الحورانى بان الذين حاولوا الانحراف بالثورة على الشيشكلى والذين دبروا مؤامرة العقيد صفا ، والذين دبروا المؤامرة التى اودت بحياة المالكى والذين دبروا المؤامرة على الزعيم شقير بعد ان تستر عليهم - يؤكد الحورانى - ان الوجوه التى كانت وراء هذه المؤامرات كلها واحدة (١).

كان التجمع القومى مؤامرة على الحركة الثورية العربية فى سوريا ، قصد منه تضليل الشعب واشعاره بان " الاحزاب " المحافظة ليست معادية له ولآماله كى لا يؤدى عداؤها للشعب الى استيلاء الثوريين على الحكم بالقوة ، ولكن اندفاع الشعب ويقظته وجيشه كانت قد كشفت كل المحاولات التى ذكرناها .

كان قبول الثورية العربية فى سوريا لمبدأ ومنطق التجمع القومى أثره السئ على كل التطورات التى حدثت فيما بعد . ولقد كان ذلك من أفدح الاخطار التى سجلت على الحركة الثورية . وكانت خطوة تراجعية لحزب البعث حينما قبل ان تجره الفئة الحورانية من ضمن صفوفه الى منطق المناورات السياسية التقليدية ، بهذه السياسة التى اتاحت للسياسيين القدامى ، من المحافظين والبورجوازيين ، ان ينتعشوا مجددا بعد أن هدأوا أثناء فترات الانقلابات نسبيا ، وبعد ان هددتهم نتائج الانتخابات التى جرت عام ١٩٥٤ . لقد استطاع هؤلاء ، بعد التجمع القومى ، ان يلتفوا حول الحركة الثورية وكادوا أن يضربوها ويستولوا على الحكم . لقد كان المجلس النيابى مجلسا تقليديا الا من دخول العناصر الثورية واليسارية فيه . وكان بالامكان ان تكون تلك الثورية واليسارية قوة معارضة عاتية فى المجلس خاصة وان وراءها الجماهير السورية فى كل مكان . لقد استطاعت الثورية السورية ، ولأول مرة ، ان تهزم الاقطاعية عزيمة نكراء فى عقر دارها فى مدينة حماه . فكيف تسمح لنفسها ان تتجمع على صعيد العمل الداخلى والخارجى مع أعدائها ؟

---

(١) ناجى علوش ، مرجع سابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

لقد لفت تناقضات تلك المرحلة العجيبة من تاريخ سوريا ، الحياة السياسية كلها . " فالاعداء قد تستروا على اعدائهم " ، والثوار قبلوا بمهادنة من قالوا عنهم خونة . " ومن تناقضات تلك المرحلة أيضا ، ان النظام الديمقراطي المزيف ، هو الذى كان يلتهم بنهم متخف ، وشراهة ملتوية ، ديمقراطية الشعب الحقيقية . لقد كانت ديمقراطية البرلمان وسيلة لاداء الثورية واجهاضها نتائجها الحتمية . وكان من تناقضاتها ايضا ، انه فى اللحظة التى اكتسبت فيها الثورية العربية اعظم قاعدة شعبية غاضبة ، كان القادة الانتهازيون يحملون على وأد الاهداف الشعبية الحاسمة بالمساومات "(١)

نقول ما قلناه عن التجمع القومى لانه رتب اخطر النتائج والآثار ايام الوحدة التى قامت عام ١٩٥٨ . لقد كان النهج الثورى ضرورة حيث يمعن اليمين فى الابقاء على سيطرته وطغيانه بوسائل واساليب ملتوية عن طريق المناورات السياسية (٢) . صحيح ان حزب البعث استطاع ان يدفع التجمع القومى نحو الوحدة ، ولكن الأصح ان ذلك التجمع حمل من التناقضات الخفية ما فجر دولة الوحدة داخليا وسبب الانفصال فى النهاية .

ةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةةة

---

(١) مطاع صفدى : مرجع سابق ، ص ٤٢٢ .

(٢) كلوفيس مقصود : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

المبحث الثاني

دور الجيش في السياسة الداخلية لسوريا (١)

قدر لمنطقة الشرق الاوسط ، وللمنطقة العربية بوجه خاص ، ان يلعب فيها الجيش دورا اساسيا في تحريك أحداثها . ولهذه الظاهرة أسبابها العديدة . فالجيش اولا واخيرا جزء من الشعب ، وكان في فترة من الفترات الحديثة الاداة الوحيدة المنتظمة في المجتمع ، وذلك قبل ان تظهر الاحزاب والجماعات السياسية كقوى ضاغطة منظمة . ولكن دور الجيش يختلف من دولة لاخرى نتيجة للظروف الموضوعية القائمة في كل منها ، بالرغم من ان الفئة العسكرية قد مثلت الدور السياسي القيادي في معظم تلك الدول .

كانت الحركة الشعبية في سوريا متقدمة ، وقوة الجيش امام جيش السياسيين المحترفين قوة نسبية ، وهذا ما أثر سلبيا على الجيش السوري ، وهذا بالتالي كان دافعا للجيش على القيام بالمبادرة . والتجربة السورية بهذا الخصوص قدمت لنا نموذجا فريدا من نوعه . ففي الوقت الذي كانت فيه قوة صغيرة من الجيش قادرة على احتلال العاصمة والاستيلاء على الحكم ، كانت نفس هذه القوة قادرة على اية انتفاضة شعبية . ومن هنا اصبح الجيش الامل المرغوب . فهو قادر على تحقيق انتصارات ، كما انه قادر على الحاق الهزائم بالحركات الشعبية . ومن ناحية أخرى ، فان عدم النضج في وعي العسكريين جعل اية حركة عسكرية تنتهي الى دكتاتورية تخدم مصالح الاستعمار والطبقات المحافظة والبورجوازية صاحبة المصلحة . ونتج عن التجربة السورية هذه شيئان :

الاول : ان الحركة الشعبية أخذت تخاف العسكريين .

الثاني : ان الحركة الشعبية أخذت تنظر الى كل الحركات العسكرية بمنظار تجربة سوريا الخاصة . وبشكل أخص كانت هذه هي نظرتها الى الثورة المصرية . وهذا ما جعل معظم الفئات الشعبية تقف مع جماعة الاخوان المسلمين ضد الثورة (٢) .

وبالرغم من ذلك ظل ميزان القوة بين الجيش ، وبقيت الحركة الشعبية بحاجة

---

(١) سنقدم في هذا المبحث بالاضافة الى دور العسكريين السوريين بعضا من دور العسكرية المصرية في السياسة الداخلية على سبيل المقارنة فقط . ذلك ان لكل من الدورين نتائج جد مختلفة عن بعضهما .

(٢) انظر كتاب (نضال البعث) ج ٤ ص ١٥ ففيه يهاجم الحزب الثورة المصرية ويصفها بالدكتاتورية ويجب محاربتها وتصفيتها .

ماسة اليه . فهو الوحيد القادر على مساندة الحركة الشعبية في صراعها الداخلي ، وهو الوحيد الذي يستطيع ان يصمد في وجه المؤامرات الخارجية . وعن هذه الطرق اخذ الجيش يقرب قليلا قليلا من الحركة الشعبية حتى اصبح جزءا منها ، يعمل حسب مخططها ، وينسجم مع دعوتها ، وكانت بادرة الانقلاب على الشيشكلي هي الاولى من نوعها في هذا المضمار . فبعد ان قام الجيش بانقلابه عاد الى ثكناته ، تاركا امر البلاد للساسة ، ولكنه من ثكناته كان يقف مستعدا لمواجهة اية مؤامرة داخلية كانت أم خارجية .

كانت واجهة الحكم ديمقراطية برلمانية تقوم على اساس من الاحزاب والهيئات والفئات المستقلة ، استطاعت ان تشكل وزارة ائتلافية في تجمع قومي كما سبق ورأينا . ولكن وراء هذه الفئات والاحزاب والتجمعات كان يقف الجيش السوري مستعدا لكل طارئ متدخلا في كل كبيرة وصغيرة من الشئون الداخلية . ان ما ميز تلك الحقبة من تاريخ سوريا هو تدخل الجيش في الحياة السياسية . ولقد أصبح الجيش السوري جيشا يعكس الاتجاهات السياسية الداخلية بكل تناقضاتها ، ولم يعد جيشا محترفا وظيفته الدفاع عن الدولة ضد الاخطار الخارجية فقط ، بل تعدى هذه الوظيفة ليصبح القيم على الحياة السورية بكل مؤسساتها السياسية والادارية والاقتصادية .

ان الواجهة الحكومية التي تسوس سوريا اسميا سلطة مدنية ، اما الواجهة الخلفية التي تحكمها فعلا فهي الجيش . لقد ضمت الواجهة المدنية " خالد العظم من ناحية وحلفائه الشيوعيين وعلى رأسهم خالد بكداش ، ومن ناحية أخرى زعماء البعث وعلى رأسهم اكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار والمستقلين وبعض الحزبيين التقليديين وعلى رأسهم صبري العسلي .. (١) شارك هؤلاء الخمسة في الحكم وكان يقف وراءهم في السلطة الخفية التي تحكم سوريا حلفاؤهم العسكريين : عبد الحميد السراج الذي ألقى ثقله الى جانب مصر وحزب البعث ، وعفيف البزري الذي تعاون مع خالد بكداش ، وامين النفوري مع خالد العظم ، بينما كان للحوراني العديد من الضباط حيث كان أقواهم اثنان : مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت .

تلك هي حقيقة القوى السياسية والعسكرية في سوريا في فترة ما قبل الوحدة ، فكيف وصل ميزان القوى الى ذلك التوازن الدقيق بين الاحزاب والفئات المتصارعة ؟ وكيف وصل الامر بسوريا ان يحكمها العسكر من وراء الستار ؟

لهذا أسبابه العديدة .. وما يمكن ان يقال في هذا المجال ان المؤسسات السياسية التقليدية قد عاشت حياة قصيرة في سوريا . وتقلصت الحياة البرلمانية

I) Seale : Op. Cit. P. 316

فى بحر ثلاث سنوات من الاستقلال عندما قام حسنى الزعيم باول انقلاب عسكرى فيها عام ١٩٤٩ . " اما الجيش فلقد تمزق من خلال عناصر الصراع ، عاكسا الى حد بعيد الفروقات والاختلافات الدينية والسلالية والاجتماعية والاقتصادية " فى سوريا (١) .

لقد مر على سوريا العديد من الانقلابات العسكرية منذ عام ١٩٤٩ وحتى الوحدة فى عام ١٩٥٨ (٢) ، فما سبب تحرك القطاع العسكرى فيها للانقلاب ؟

كان السبب الرئيسى لتحرك القطاع العسكرى - خاصة عند فئة الضباط - على الصعيد الانقلابى ، ان هذا القطاع كان اكثر القطاعات العربية معرفة بأسباب هزيمته وكانت ثورته على القيادات الفاسدة التى لم تسمح له بخوض المعركة جديا ولا بمجابهة العدو بتصميم واندفاع (٣) . لقد أدرك القطاع العسكرى ، من الناحية القومية ، ان القيادات السياسية غير جادة بدحر العدوان الصهيونى ، وبهذا تنفذ خطة استعمارية بطريق غير مباشر . كذلك ادرك ان الرغبة فى السلطة عند الساسة التقليديين قائمة على رغبة فى بقاء التجزئة وعواملها حية فى الأمة العربية . وهى بهذا تضمن استمرار نفسها والاستمرار فى السيطرة على مقدرات السياسة والاقتصاد العربيين . و" كانت هذه المعرفة لحقيقة وضع الحكم العربى كافية لأن تدفع القطاعات العسكرية فى التيار الانقلابى (٤) " .

وهناك سبب آخر لتلك الانقلابات العسكرية التى شهدتها سوريا ، وهو التململ الشعبى . وهذا العنصر بمثابة التعبير السلبى " ... دون ان يكون للانقلابات العسكرية اى مضمون ايجابى واضح او اى التزام سياسى معروف " . وهذا ما جعل ، بالتالى ، كل الانقلابات السورية عبارة عن مخاطرات . " فالانقلاب بدون اتجاه وبدون محتوى هو مجازفة . الانقلاب ذو الاتجاه التقدمى ثورة (٥) " .

---

(١) Paretz : Op. Cit. P. 353.

(٢) Malroc : Op. Cit. P. 94.

(٣) كلوفيس مقصود : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٥) نفس المرجع : وهنا مجال للمقارنة كبير ما بين مصر وسوريا ، اذ وجدا نفسيهما فى وضعين مختلفين . كان حزب الوفد وحزب الاخوان المسلمين فى مصر يمثلان الساسة التقليديين واليمين ، وكان على الثورة ان تكون الحركة الشعبية التقدمية ، وبدأت هذه الحركة العسكرية سيرتها بتصفية الاحزاب كلها ليتاح لها المجال لتطبيق شعاراتها . اما فى سوريا فقد نمت الحركة الشعبية لتضع حدا لطغيان الجيش وانقلاباته . وفى مصر نمت حركة الجيش لتضع حدا لمحترفى السياسة . ولم يكن الوعى فى صفوف الجيش بشكل عام اعلى منه فى صفوف الشعب ، كما ان الحركات الانقلابية لم تكن نتيجة تنظيم حزبى دقيق ، بل كانت نتيجة اندفاع افراد ، واستجابة

وعلى هذا فسوريا لم تعرف الثورة ، بل عرفت الانقلابات المتتالية . وعلى الرغم من ان التأييد الشعبي للانقلابات العسكرية كان مصدره الموقف المعادى للطبقة المحافظة واليمين التي قام الانقلاب ضدها ، فان جهل ما يمثل الانقلاب العسكرى ، وجهل الانقلابيين انفسهم لما يريدونه ، جعل كل تأييد شعبي مشروطا وجزئيا . وحتى اذا اكتملت الشروط زاد التأييد وقوى التزام الحركة الشعبية لها . لكن الانقلابات العسكرية لم تكن بحد ذاتها حلا لمشاكل الوطن ، بل كانت من ناحية حلا جزئيا بكونها اطاحت بالعائق السياسي ، ولكنها ادخلت بالنسبة لاهداف الشعب الكلية مشاكل جديدة لم يكن حلها بالسهولة المنتظرة . فمن جهة حلت القطاعات العسكرية في الجبهة القومية عقدة مادية ونفسية في ذات الوقت ـ عقدة السلطات المحافظة واليمينية الفاسدة القائمة ـ ولكنها ساهمت في تأخير تعميق الوعي الذى لو استمر بخطواته الثورية لضمن للحركة القومية تضامنا عقائديا وسياسيا اكثر انطباقا من قواعد الثورة التقدمية الصحيحة .(١)

ولقد فشلت تلك الانقلابات بالنسبة للاهداف القومية والاهداف الشعبية الداخلية . وانتهت كلها الى قيام تكتلات داخل الجيش وعملت على تصحيح الوضع الانحرافي الذى أدخلته العقلية العسكرية في الحكم . فكان كل انقلاب يفشل في هذا المطلب أيضا ، فيزيد ترسب التكتلات داخل الجيش . فهل يرجع هذا الى عدم تماثل سوريا سياسيا ؟ نعتقد بان عدم تماثل سوريا سياسيا بقدر ما هو سبب فانه بالمقابل نتيجة لعنصر هام ايضا : عجز الجيش في ان يحكم او ان يبعد نفسه عن الاشتغال بالسياسة . لقد وجد الجيش السورى نفسه غير قادر على ترك السلطة المدنية ان تسيطر لتنشئ لنفسها اداة حكومية عادية وثابتة ، فالجيش الذى بقيت

افراد : وهذا هو السبب الاول لعدم استقرار الجيش السورى . نخلص من كل ما سبق الى نتيجة مفادها ان مصر ما بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨ كانت تعيش ثورة قادها الجيش الذى عرف دوره الطليعي ، اما سوريا في تلك الفترة فكانت تعيش انقلابا حققته حركات ثورية عن طريق الجيش . وهذا له اثارة بالتالي خاصة فيما يتعلق بالفرق بين الثورة في مصر وبين الحركات الثورية في سوريا . فالثورة في مصر أتت من نخبة وفرضت هذه النخبة اتجاهات ، ولم يرافق هذه الثورة حركات شعبية تقاربها في المستوى .. ومجمل القول انه قام ما بين مصر وسوريا في فترة ما قبل الوحدة وأثناءها التقاء بين حركتين ، حركة من القمة وحركة من القاعدة . هذا التلاقي هو الذى ولد ، فيما بعد ، شيئا من الاضطراب وسوء التفاهم ما بين النخبة العسكرية المصرية والقيادة السورية التي حققت الوحدة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥

سلطة سائدة ، كان منقسما بشكل دائم ضد بعضه البعض وبعيدا عن السيطـــرة المدنيــــة "[١]. فسوريا منذ عام ١٩٤٩ وحتى قيام الوحدة قد شهدت ، على الأقل ، خمسة اتجاهات كانت تتصارع على السلطة السياسية عن طريق الجيش . وكل مـــن هذه الاتجاهات أعلن عن نفسه من خلال ، او في الاشتراك من ، البنيات العسكرى ، الذى زج بنفسه في الصراع في تلك الفترة . بينما في بقية بلاد الشرق الاوسط فـــان الصراع الداخلى الذى تبع كل انقلاب انتهى الى ظهور زعامة قوية تسيطر بشكل تـــام على الجيش وعلى القوى السياسية في الدولة ، اما في سوريا فلم يكن اى زعيم عسكـرى بقادر ان يكسب لمدة طويلة حلفاء من عناصر في الجيش ولم يقدر في نفس الوقـت ان يكسر قوة الجماعات السياسية في البلاد . وعلى سبيل المثال نورد مصر كنمـــوذج للانقلاب الناجح ضد العهد البائد والذى تمخض عن ايجابية مطلقة . فقد طلـــب مجلس الثورة في البداية من الحركات السياسية في البلاد ان تهيئ نفسها لتحمل أعباء الحكم ، " واثبتت الاحزاب انها لم تكن على استعداد لتأخذ بهذا التوجيه الصحيح ، ولكن بمجرد طلب مجلس الثورة العسكرى في مصر لهذه الفئات ان تهيئ نفسهـــا بواسطة التطهير ، لتسلم السلطات ركزت موقفا نظريا سليما وهو اولية الهيئات المدنية على القطاع العسكرى في مجالات الحكم والتشريع ، واثبتت حقيقة اخرى بان الانقلاب العسكرى انما هو مرحلة مؤقتة لتسهيل العمل الثورى على الصعيد الشعبى"[٢]. اما في سوريا فالعكس قد حصل نسبيا مع الانقلاب الذى قام ضد نظام الشيشكلى .

من خلال تجربة الانقلابات العسكرية في سوريا يمكن ان نضع ايدينا علـــى الناحية السلبية لكل انقلاب عسكرى قام فيها . ان الجيش بحكم نظامه العسكرى الصارم ، كان يخضع لتسلسل في الاوامر يمكن ان ترجع في النهاية الى بضعة رجال او رجل واحـد هو القائد الاعلى . ولقد كانت سيطرة الجيش على الحكم تعنى الى حد بعيـــد " الحكم العسكرى او ان شئنا الحكم الدكتاتورى " . فبقدر ما سهل تدخل الجيـش في الصراع الشعبى ضد القوى اليمينية والبورجوازية الحاكمة ، بقدر ما أفسح المجال لتحكم قادة الجيش في شئون الدولة بحيث أصبح الجيش " هو الحاكم السياســى الى جانب وظيفته الدفاعيـــة "[٣].

ولقد ارتبط بهذه المشكلة كما ظهرت في سوريا مشكلة اخرى نتيجة لتدخــل الجيش في الحياة السياسية . فالجيش عندما يكون اداة للتنفيذ فانه لن يقنــع

I) Sharabi, H. B. "Government and Politics In The Middle-East In Twentieth Century", (NewYOrk, I963), P. I27.

(٢) كلوفيس مقصود : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٣) مطاع صفدى : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

بهذا الدور فقط ، خاصة عندما يصل الى مرحلة تحقيق الغايات التى عمل على تنفيذها .
وعند ذلك فانه ينقلب من أداة تنفيذية الى أداة مشرعة ومخططة . وعندئذ يصبح
موضوع تخليه عن الحكم مشكلة من أعقد المشاكل لا تحل الا بانقلاب آخر وهكذا ..
وعند هذه النقطة يمكن القول انه فى سوريا لعبت العوامل الشخصية دورها الفعال
فأكدت تسلط القيادات العسكرية على الحكم الذى إكتسبته بقوة الجيش . هذه العوامل
الشخصية كانت من أخطر نقاط الضعف فى جميع الانقلابات العسكرية السورية — لقد
برهنت الدكتاتوريات العسكرية التى مرت على سوريا ، انها وان برئت من كل شائبة او
انها كانت صادقة النية ، وبعيدة عن رغبات الحكم والتسلط والتحالف مع الاستعمار
والامبريالية ، الا انها ظلت بعيدة فى اعدادها الفكرى وفى عقليتها التنفيذية عن تحقيق
المشاريع الثورية البعيدة الأمد . وهناك نتيجة أخطر ظهرت بعد الاطاحة
بالشيشكلى هى المعاناة الحادة من تناقضات القطاعين العسكرى والمدنى وتوزيع
السلطات بينهما . وما كان الا ان وجدت السلطة المدنية نفسها عاجزة عن التوفيق
بين ضغط الجيش الذى يريد حفظ النظام عن طريق القوة ، وبين ضغط القوى
الجماهيرية التى تسعى الى رؤية تغييرات جذرية فى المجتمع . وهنا قامت فى
سوريا سلطات فعلية ثلاث هى : السلطة المدنية التى يتزعمها الساسة التقليديون
تريد الحفاظ على الاستقرار والاقرار بالامر الواقع والمحافظة على الاوضاع القائمة[1] ،
والسلطة الجماهيرية التى تتحرك من الشارع طالبا للتغييرات الجذرية ، والسلطة
العسكرية التى تحمل على الامساك بزمام الامور ولو عن طريق القوة والقهر .

يظهر مما سبق ان الانقلابات العسكرية قد أدخلت عنصرا جديدا فى التناقض
الداخلى لسوريا ، فتحت تلك الانقلابات جبهة داخلية لو كان الجيش فيها
متوحدا منسجما لدعم مطالب الجماهير فى الثورة والتغيير . لكن تناقضات الجيش
الداخلية وتكتلاته عكست نفسها بشكل سافر على الحياة الحزبية والسياسية — فضاعت
بينهما المطالب الشعبية .

ان الجيش بقيامه بالانقلاب لا ينفذ وظيفة خارجية عن النضال الجماهيرى ،
وان الشعب فى حالة وجوده أعزلا من القوى المادية القادرة على التغيير يلجأ
الى الطليعة العسكرية لازالة الامراض المزمنة من المجتمع ، وان الجيش هو اليد
الفعالة لقوى النضال الشعبى ، ولكن العسكرية السورية لو غطت ساحة النضال اليومية
للجماهير بدون ان تعزل نفسها ضمن تكتلات لكان الوضع قد اختلف تماما ان فى
فترة ما قبل الوحدة أو اثنائها او بعدها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ و Paretz: Op. Cit. P. 355.

لقد نجم عن اشتغال الجيش السوري بالسياسة امرين بالغي الخطـــورة ، ان سلبـــا وان ايجابـــا :

الاول : هو ان الجيش السوري اصبح مدرسة سياسية اكثر منه مؤسسة عسكرية .(١)

الثاني : هو انه اصبح لكل القوى العاملة والمؤثرة في المجتمع انصارا داخـل الجيش، واي اختلاف سياسي ما بين تلك القوى يعكس نفسه بسرعـة تلقائية داخل الجيش، فتستعد القطاعات العسكرية لملاقاة بعضهـا على فوهة المدفع وتحت ازيز الرصاص!

ولهذا أسبابه الواضحة . نبعت السمات " الثورية " للنخبة العسكرية في الدول العربية، وخاصة في مصر وسوريا والعراق ، من الحكم الاجنبي .. ان الضبـــاط الوطنيين ، وهم من أصل ريفي وفلاحي ، لا يشعرون باي ولاء ولو عادي لتلك الطبقـات المحافظة مثل كبار الملاك واصحاب المصالح التجارية . الفئة الاولى ، بارتباطاتهـا العثمانية ، والفئة الاخرى تضم المسيحيين غربيين كانوا أم عربـا .(٢)

اننا وان قسونا في احكامنا على العسكرية السورية فهذا لا يعني اننا ضـد الجيش وما يجب ان يقوم به من دور فعال في المجتمع السوري ، وجميع المجتمعـات المتخلفـة . بل ان تحديد وتنظيم هذا الدور هو الذي يجعل الجيش الاداة الاكثـر قدرة على التغيير . ان دور الجيش في العالم الثالث دور اساسي وهام في تحقيـق مطالب الجماهير . فالنخبة العسكرية وان استعملت وسائل العنف في تحقيق العمـل السياسي ، الا ان مشاعر الضباط تبقى اكثر قربا من الشعب من مشاعر الطبقة السياسيـة التقليدية . وهذا ما برهنت عنه التجربة السورية على امتداد عناصرها . كانت هـذه التجربة ذات فوائد اهمها ان مصالح الشعب ، عندما يحميها الجيش ، لا تحدهـا مصالح المحافظين ، وتصبح سلطة الجيش قادرة على تخطي الضعف والارتبـاك .(٣) وهذا نابع من رغبتها في التغيير الاجتماعي العاجل . وهذه الرغبة هي التي تجـبر القوى الفعالة في الجيش على الحركة . ولكن ، كما قلنا ، تلعب العوامل الشخصيـة في كل مرة دورها ، فتتحول رغبة الجيش في التغيير الجذري عن طريق الحركة الانقلابية الى دكتاتورية عسكرية سافرة ، الى ان تمكن الجيش السوري من الانقلاب على نظـام الشيشكلي في عام ١٩٥٤ . وعندما أبعد الشيشكلي عن حكم سوريا ، عاد الجيـش

---

(١) الفريق عبد الكريم زهر الدين : " مذكراتي عن فترة الانفصال في سوريا ما بـين ٢٨ ايلول سنة ١٩٦١ و ٨ آزار سنة ١٩٦٣ " (دار الاتحـاد ، بيروت ، ١٩٦٨) ص ١٦ .

(٢) Berger, M: "The Arab World Today", Double Day and Company, New York, 1964), P. 369.

(٣) Ibid: P. 369.

الى ثكناته لاول مرة منذ عام ١٩٤٩ ، لا ليأخذ دوره التقليدى كجيش محترف ، وليحكم بطريق مباشر وبشكل سافر وعلنى ، ولكن ليوجه ويقود من وراء الكواليس ، عند ذلك دخلت سوريا فى مرحلة متميزة عن مرحلة الانقلابات السابقة ، وعادت الديمقراطية التقليدية التى يحدد ويوجه معطياتها الجيش السورى بطرق غير مباشرة . وبمعنى آخر ، الغى ذلك الانقلاب الدور الاساسى للمؤسسات الديمقراطية فى الدولة وان ابقى عليها كواجهات يتستر وراءها . " وسواء أثر فى السلطة بشكل سافر وعلنى ، او عمل من وراء الكواليس ، فلقد كان الجيش السورى ، من حيث تأثيره ، القوة الوحيدة الاكثر تأثيرا فى السياسة السورية حيث لا توجد حكومة او لون سياسى يمكن له ان يكبح جماحه . وعندما يكون الجيش السورى متحدا تحت قيادة واحدة ، فان مداخلته تشق طريقها ، على الاقل ، لتحطى السياسة الخارجية السورية طابعا محددا : ان ثبات الجيش السورى هو الذى وقف فى وجه الضغوط والتدخلات العراقية على مر السنين ، وهو نفسه الذى اتجه نحو مصر فى اواسط الخمسينيات . ولكن فى السنة الاخيرة او فى السنتين السابقتين على الوحدة مع مصر ، لم يقدر اى ضابط على فرض سيطرته على سلك الضباط كله ، بل ان سلك الجيش قد انقسم نتيجة للانقسامات السياسية الداخلية . وهذه الحالة كانت واضحة بشكل سافر فى خريف عام ١٩٥٧ (١) " .

وهنا ننتهى الى المقارنة بشئ من الايجاز عما بين مصر وسوريا من فروقات او مشابهات ، وما يمكن قوله فى البداية انه فى سوريا ومصر وضعين ثوريين جاءا عن طريق انقلابين تحول احدهما ، وهو المصرى ، الى ثورة عن طريق ثورية الحكم ، وثورية الحكم عن الطليعة التى قادت الجيش ، ومن ورائه الشعب ، الى تحقيق ثورة حقيقية على صعيد السياستين الداخلية والخارجية . اما فى سوريا ، فان الامر يختلف الى حد كبير . اذ يمكن اعتبار الانتصارات التى حققتها الثورية العربية فى سوريا ضد الاستعمار والرجعية الداخلية من خلال الانقلابات العسكرية وانحرافاتها وتصحيحاتها عن طريق انقلابات وثورات مضادة ، يمكن اعتبار هذه الانتصارات أشبه ما تكون بالمغامرات الناجحة . واستتب الامر بعد عام ١٩٥٤ ، سنة الانقلاب على الشيشكلى ، لتعود الاحزاب الثورية والمحافظة والاقليمية والطبقية الى مراكزها ، وتبدأ فترة من الصراع العنيف لم تشهده سوريا من قبل . ولكن الغلبة كانت حليفة

---

(١) Ibid: P. 396. هذا وسيظهر دور الجيش السورى فى قيام الوحدة ما بين سوريا ومصر فى كلامنا عن مفاوضات الوحدة . اما عن اختلافات النخب العسكرية فيما بين بلد عربى وآخر . انظر المرجع السابق ، ص ٣٦٣ وما بعدها .

الأحزاب الثورية والتقدمية . فقامت حكومة ائتلافية وطنية ، من ورائها مجموعة من الضباط الحزبيين والوطنيين الثوريين يسيرون سوريا ، داخليا وخارجيا ، كما تقتضى المصلحة العربية دون تحديد لنهج او برنامج نظرى يحدد خطوات السير . فنحن اذا امام وضعين فى كل من مصر وسورية : ثورية الحكم فى مصر وثورية الجيش والقاعدة الشعبية فى سوريا ، وامامهما كواجهة ديمقراطية الائتلاف الوزارى . ولقد حققت هذه المجموعات السورية انتصارات انحصر معظمها فى الصمود أمام المؤامرات الخارجية وأهمها حلف بغداد ومشروع ايزنهاور وعدم التبعية للغرب . اما على صعيد السياسة الداخلية فلم يكن هم الائتلاف وبقية الاحزاب والفئات الاخرى سوى امداد يد العون والاستفادة من هذه الدولة او تلك . وبهذا لم يستطع الائتلاف أو الاحزاب الثورية فى سوريا ، وعلى صعيد السياسة الداخلية فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية ، لم يستطع اكتشاف مجالاته النضالية وبالتالى لم يقدر على تحقيق الانجازات الثورية فى الداخل .

أما فى مصر فقد اختلف الوضع تماما فى المجال الداخلى ، " فان تأميم القنال وما تبعه من حرب حقيقيقيه شنتها دول كبرى ، قد أكد حتمية الانبعاث العربى بكامل وعوده الكبرى . كما رفع مستوى المعارك الجزئية ضد الاستعمار الى مستوى الحرب الحقيقية البعيدة عن صدفة المغامرة أو التجربة الصغيرة المحدودة . ومنذ ذلك الوقت ، وكل محاولة للثورة المباشرة فى أى قطر عربى تندلع وهى تعتبر قاعدتها وحصنها الاول فى الدولة العربية الثائرة الأم . بمعنى ان قيادة الثورة العربية قد أصبح لها شكلان ، احدهما يتمثل فى القيادة الحزبية ، ومركزها دمشق ، وثانيهما يتمثل فى قيادة الدولة ومركزها القاهرة . ليس هذا فحسب ، بل ان الثورية العربية نفسها فى دمشق ، قد شعرت انها ملزمة الى حد كبير ، بأن تربط مصيرها بثورة الدولة فى مصر " (١) وهنا تمت اللقاءات الثورية التى تطورت طفرة واحدة الى الاندماج الكلى لتصبح الدولتين المستقلتين دولة واحدة ذات سيادة واحدة . ولكن قبل الوصول الى طرح الوحدة للتحقيق ، فان ثورية الحكم فى مصر هى التى بدأت السياسة الاجتماعية الداخلية التى تلتزم باهداف الشعب ، فى الفترة ذاتها التى فشلت فيها ثورية الاحزاب فى سوريا على تحقيق أى مكسب داخلى للشعب .

فالتأميم قد حصل فى مصر ، والتمصير قد حصل فيها ، والاصلاح الزراعى

---

(١) مطاع صفدى ، مرجع سابق ، ص ٣٩٩ — ٤٠٠ .

من قبلهما فقد أصبح حقيقة ملموسة فى حياة الفلاح المصرى اليومية • وهكـــذا حققت ثورية الحكم فى مصر ماكان يفترض فى ثورية الاحزاب السورية أن تحققـه بعد أن أصبحت تسيطر على الشارع وعلى الجيش ، اهم اداة من ادوات السيطـرة فى المجتمعات الحديثة ففى مصر " حصل التأميم •• وهو خطوة جبارة وهائلة ، ومـن قبل ذلك الاصلاح الزراعى هو ايضا خطوة جبارة " •• ان الثورة فى مصر طرحـت كل المشكلات فى المشرق العربى وفى الوطن العربى وفى افريقيا وربما فى آسيا طرحا جديدا تمام الجدة •

ففى الواقع ان الثورة فى مصر واجهت كل مشاكل المجتمع بطريقه جدا هائلة وهذا شيء لا يمكن انكاره بشكل من الاشكال ••"(١)

اما فى سوريا فان الثورية العربية فيها قد فشلت فى أى مجال مـن المجالات الاجتماعية الثورية ، بل حتى الاصلاحية •

* *
*

---

(١) السيد عبدالكريم زهور : محاضر جلسات مباحثات الوحدة • ص ٢٥ — ٢٦ وانظر Monroe: Op. Cit. P. 372. حيث يتحدث عن الثورة المصرية ومبادئها وكيف أن التغيير الاجتماعى قد حصل عن طريق النخبة العسكرية ص ٣٨٣ •

ختام الباب الأول

قبل ان ننهى الباب الاول من الرسالة نعرض بايجاز لمواقف الدول العربية المحيطة بسوريا قبيل قيام الوحدة بأسابيع وأيام معدودة •

بالنسبة للعلاقات السورية المصرية انتهينا الى أن :

أ — المواقف العملية قد وحدت خطوات الدولتين فى المحافل والمؤتمرات ، وجرت بينهما محاولات للتنسيق قبل وأثناء المؤتمرات مثل مؤتمر باندونج ، كما تشابهت مواقفهما تشابها كليا من الاحلاف والمشاريع والمخططات الاستعمارية فى الشرق العربى والشرق الأوسط •

ب — ومع صمود الدولتين ، بلغ النضال الوطنى والقومى فى الأقطار العربية المحيطة بسوريا مستويات جديدة من الاتساع والنمو • وشهد المشرق العربى نهوضا شعبيا ووطنيا لم يشهده من قبل •

جـ — وفى مواجهة هذا المد الوطنى ، اجبرت السلطات المالكة فى بعض البلاد العربية على القبول ببعض التراجعات فى بعض الأقطار ، وفى أقطار أخرى سارت السلطات فى طريق قمع الحركة الوطنية وضربها ضربات متلاحقة على نحو لم تشهده المنطقة على امتداد تاريخها •

١) ففى العراق : حيث التناقضات كثيفة ومعقدة ومتأزمة ، وحيث الحركة الشعبية تتمتع بالوعى والتنظيم ، لم يكن امام الاستعمار والسلطات الحاكمة فى بغداد سوى اللجوء الى مجازر دامية بين حين وآخر ، بغية قمع الحركة الوطنية • وبلغ الصراع فى العراق أعلى اشكاله وأكثرها حدة • ولم يكن حل التناقض الا بانفجار عنيف ومفاجىء ، تمثل فعلا فى ثورة ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ •

٢) وفى لبنان ، بلغ المد الاستعمارى مداه ، محاولا ربط هذا البلد الصغير باحلافه ومشروعاته معتمدا فى هذا على الجو العنصرى الذى يعيشه لبنان متمثلا فى طوائفه واختلاف اديان شعبه • وعندما أعلن الاستعمار عن نفسه سافرا فى مشروع ايزنهاور وارتباط لبنان به رسميا •• وعندما تأزمت الأمور الداخلية بين القوى المتصارعة انفجرت الثورة المسلحة فى ٩ مايو ١٩٥٨ •

٣) اما فى السعودية ، حيث الحركة الوطنية — كتنظيم — تكاد أن تكون منعدمة فى ذلك الحين ، لعب التناقض الهاشمى — السعودى دورا هاما فى عدم ارتباطها بحلف بغداد . كما جاء الضغط المصرى — السورى ليدفع بالسعودية الى موقف تكتيكى موقت تمثل فى نوع من التعاون القلق والحذر مع مصر وسورية ولكن عندما بلغت المعركة بين الاستعمار والقومية العربية مشارف مرحلة حاسمة ، وعندما وضعت امريكا كل ثقلها فى الصراع ، وعندما اعلن الرئيس ايزنهاور مبدأه لسد الفراغ فى الشرق الاوسط ، عند ذلك انحل التحالف التكتيكى بين السعودية من جهة ومصر وسورية من جهة أخرى .

وبعد شهر من اعلان مبدأ ايزنهاور ، اى خلال فبراير عام ١٩٥٧ ، سافر الملك سعود الى الولايات المتحدة الامريكية ، فى نفس الوقت الذى كانت تستقبل فيه واشنطن عبد الاله وكميل شمعون . وكان فى مارس قد تم اجتماع بين الملك سعود وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان . وفى مايو من نفس العام تم لقاء لمفاوضات بين سعود وعبد الاله ، وصدر عن اجتماعاتهما بيان مشترك يعلن تخلى السعودية عن تحالفها مع مصر وسورية ، وانحيازها لمبدأ ايزنهاور وبالتالى لحلف بغداد . وفى تصريح صحفى للملك سعود بعد مقابلة له مع الرئيس ايزنهاور ، نشرته الصحف السورية صباح ٧ فبراير ، قال : " ان العالم العربى سيقبل مشروع ايزنهاور باستخدام القوات المسلحة الامريكية " وعند عودة الملك سعود من واشنطن فى فبراير ١٩٥٧ مر بالقاهرة ، وجرى اجتماع رباعى حضره الرئيس عبد الناصر والملك حسين والملك سعود والرئيس السورى شكرى القوتلى . وفى هذا الاجتماع تجلت النتائج العملية المباشرة لمبدأ ايزنهاور . ففى هذا الاجتماع انفرط عقد التحالف الرباعى المرحلى (مصر وسورية والاردن والسعودية) الى جهتين : سورية ومصر من جهة ، والسعودية والاردن من جهة ثانية .

٤) كانت السلطات الحاكمة فى الاردن تعد العدة للانضمام لحلف بغداد فى أواخر عام ١٩٥٥ . يشير ايدن فى مذكراته الى أن السفير البريطانى قد نقل اليه "حديثا وديا دار بين الملك حسين ، الذى ابلغه استعداد الحكومة الاردنية للانضمام الى حلف بغداد ، شريطة ان تتلقى الدعم اللازم منا ، وافضى وزير البلاط الاردنى بمثل هذا القول ، كما نقل الفريق كلوب معلومات مماثلة الى وزارة الحربية البريطانية وهكذا اجمعت المصادر كلها على أن الفرصة مواتية لانضمام الحكومة الاردنية الى حلف بغداد "

وكمقدمة وتمهيد لهذا الانضمام ، اقترح كما يرى ايدن ، ارسال شحنة مبكرة من الطائرات المقاتلة للملك حسين كهدية بلا ثمن نقدى — ومع تصاعد النضال الوطنى فى المشرق العربى . وحسب تعبير ايدن عندما " ساء الوضع جدا فى التاسع من يناير عام ١٩٥٦ ، وعلى ضوء تدهور الموقف الذى خلقته مصر ، وتهديد قيام حكم " الرعاع !! " ابرق ممثلنا فى عمان يقترح قيامنا فورا بدرس ايفاد قوة كافية من الجنود البريطانيين ، لا تقل عن كتيبتين . وطلب الملك استدعاء القوات العراقية لتطير الى الاردن فورا . وردت بغداد بحزم وتصميم على نداء الملك حسين ، اذا كان من الواجب ارسال مساعدة عراقية ، فيجب أن تكون هذه المساعدة باعداد كافية لتجعل النجاح مضمونا . ورأى نورى السعيد ، فى الوقت نفسه ، الحقائق السياسية بوضوح فأكد أن أى عمل فى الأردن لا يصل حقا جذور الاضطراب ، وهى مصر ، لا يجدى ".[1]

وعلى النحو السابق استمرت التراجعات الاردنية منسحبة بخطوات وئيدة وحذرة من التحالف مع مصر وسورية حتى اعلان مبدأ ايزنهاور ، الذى كان بداية هجوم معاكس جديد شنه الاستعمار بالاشتراك مع السلطات الحاكمة فى الاقطار العربية المحيطة بسوريا . وقام " ريتشاردز " (مبعوث ايزنهاور) بزيارة عمان ، وخلال هذه الزيارة تم الاتفاق بالاطاحة بحكومة النابلسى وفى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٧ تمت اقالة الحكومة ، وتلاها تصفية العناصر الوطنية من الجيش الاردنى ، وضربت الحركة الوطنية بعنف وبلا رحمة .

وقامت القوات السعودية بنفس الدور والمهمة التى كانت تقوم بها قوات كلوب ، ولعبت دورا حاسما فى نجاح الانقلاب الذى هيأه الملك وبريطانيا وامريكا . وكان هذا الدور بمثابة تصفية تامة للخدمات التقليدية بين العائلتين الهاشمية والسعودية ، حيث كرس تحالفهما فى مواجهة تيار القومية العربية التحررى المعادى للاستعمار . وصدر بلاغ سعودى عراقى مشترك فى ١٦ مايو عام ١٩٥٧ يؤكد دعم التطورات التى قامت فى الاردن .

* * *

---

(١) ياسين الحافظ مرجع سابق ، ص ١٨٨ — ١٩٠



الباب الثاني

دولة الوحدة

١٩٥٨-١٩٦١

الباب الثانـــي

تقديـــــم

قامت الوحدة عمليا في اليوم الثاني والعشريـن من فبرايـر عام ١٩٥٨ علـى اثـر الاستفتاء الذى اجرى في كل من مصـر وسوريـة في الواحد والعشريـن من نفس الشهر ، وبذلك استكملت الدولـة الجديدة كل مقوماتها .

اختلفت الاهداف التى دفعت الاحزاب والفئات والشخصيات السورية الـى الوحدة . كان للطبقـة المحافظـة والبورجوازيـة السوريـة عدة أهداف من تأييدهـا لقيام الوحدة . اولها الخلاص من القوى اليساريـة المتعاظمة في سوريا وفي مقدمتهـا حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوري (١) . وثانيها كسب اسـواق جديدة ، ومفتوحة بدون قيود ، للصناعة السوريـة .

وكانت القوى التقدميـة الثوريـة تهدف من تبنيها للوحدة عدة اغراض في آن واحد ان على الصعيد الخارجي أو في الداخل .

كانت الوحدة ، أول ماكانت ، خلاصـا لسوريـا من المؤامرات الداخليـة والضغوط الخارجية من القوى الاستعماريـة والاميرياليـة واحلافها ومشاريعهـا ، حتى ان الأمر قد وصل بهذه القوى الى محاولـة القيام بعدوان على سوريـا من قبل تركيـا والعراق في عام ١٩٥٧ عندما اشتد ماعرف " بالازمـة السوريـة " .

وبما أن أى حركة داخليـة تجد صداها وانعكاساتها في الخارج ، فان القـوى الثوريـة العربيـة هدفت من الوحدة عدة اهداف في آن واحد ، كان ابرزها :

١) ان الوحدة قضاء على البورجوازيـة الحاكمة التى من مصلحتها التجزئة . ان هـذا الهدف وان لم يعلن عنه بشكل مباشـر ، الا أن سير الحـوادث

---

(١) Alloun, A: " The Labour movement in Syria", Middle East Journal (V. 13, 1959) P. 46

وانظر كذلك مجلة " The World Today , (V.13No. 1) P.17

حيث يذكر تعاظم القوى اليساريـة في سورية قبل الوحدة مباشرة .

فى دولة الوحدة قد دل عليه بوضوح .

٢) ان الوحدة ستكون عاملا حاسما فى الازدهار الاقتصادى ، لانها ستزيل حواجز جمركية ، وستوفر ثروة كان يستغلها الاستعمار ، كما ستفتح سوقا للصناعة الناشئة والتكامل الاقتصادى .

٣) ان الوحدة ستكتل شعبا مفرقا للقضاء على الاستعمار ونفوذه ، وهى بالتالى ضربة للرأسمالية العالمية ، والرأسمالية المحلية جزء منها .

٤) فضلا عن أنها ستمكن امة من أن تعيش طبيعتها موحدة (١)

وبغض النظر عن ان وحدة ١٩٥٨ استطاعت أن تحقق كل هذه الاهداف أو جزءا منها ، فاننا نلاحظ ان الجمهورية العربية المتحدة قد حاولت جهدها ، فى الداخل وفى الخارج ، وان كان نصرها خارجيا ابرز واسرع من الانتصارات التى حققتها على صعيد الداخل كما سنرى فى هذا القسم من الرسالة .

على أن من المهم أن نعرف أن الوحدة موضع الدراسة لم تكن الأولى من نوعها فى المنطقة من ناحية (٢) ، ومالاحظ ان أى تقارب ، ومن أى نوع كان ، وبغض النظر عن الوحدة ، مابين القاهرة ودمشق يجعل زمام المبادرة لتحريك الاحداث فى منطقة الشرق الأوسط بيد القوى الثورية العربية . وهذا ما أكدته تجربة الوحدة موضع الدراسة بشكل خاص كما سنرى عما قريب .

ان الوحدة التى قامت فى عام ١٩٥٨ وان لم تكن مفاجأة لم يتوقعها المراقبون للاحداث فى تلك الفترة ، الا أن سرعة قيامها وشكلها الدستورى قد جعلا المراقبين يضعون الكثير من علامات الاستفهام والتعجب .

على أن الاحداث ، كما مر معنا ، كانت لابد وان تنتهى الى نوع من الارتباط الاقوى مع مصر . خاصة بعد تشابه المعارك ، والخارجية منها على الأخص ، التى خاضها الشعبان : المصرى والسورى . فهما قد رفضا الاحلاف والتبعية للمعسكر الغربى ، وهما قد اتجها نحو المعسكر الشرقى من أجل كسر احتكار السلاح ، وهما قد نهجا الحياد وعدم الانحياز فى سياستهما الخارجية ، ووقفا وقفة واحدة من

---

(١) مسعود الشابى (حول استراتيجية الثورة العربية) . (دار الطليعة بيروت ١٩٦٥ / ص ٢٣ .

(٢) حدد الرئيس عبد الناصر مراحل (السعى للوحدة) فى خطابه الذى القاه فى ٥ فبراير عام ١٩٥٨ امام مجلس الامة المصرى . كان السعى للوحدة على مر العصور . وكان " اسلوب السعى للوحدة يتشكل بالعصر الذى تعيش =

الحكومات العربية التى ربطت نفسها بالغرب الى غير ذلك من المواقف المشتركة التى ادت فى النهاية الى ميثاق دفاع مشترك بينهما ، ثم توحيد الجيشين تحت قيادة واحدة ؛

ابتداء من عام ١٩٥٥ اتحدت كثير من مظاهر السياسة الخارجية للدولتين . هذا التوحد فى السياسة الخارجية لهما لم يعكس توحدا على الصعيد الداخلى . ذلك ان مصر بثورتها قد عرفت الانسجام والعمل السياسى كفريق متكامل ، اما على صعيد سوريا فقد كان العديد من السياسيين الذين يقودونها رسميا من المدرسة القديمة التى جمعت من التناقضات الشىء الكثير ، وكان فى مقدمة هؤلاء الرسميين الرئيس شكرى القوتلى ورئيس الوزراء صبرى العسلى ونائب رئيس الوزراء خالد العظم . وبينما كان هؤلاء من الاوليجاركيين وكبار الرأسماليين السوريين ، كان قادة الثورة فى مصر من الطبقة المتوسطة او دون ذلك . هذا ولا ننسى أن معظم القادة الثوريين فى سوريا ، فى مقدمتهم قادة حزب البعث ، هم من طبقة المثقفين ثقافة غربية ، ثم انهم خبروا الحياة البرلمانية العادية ، وتدخلوا وتداخلوا باللعبة الديمقراطية التقليدية التى اثبتت فشلها فى دول العالم الثالث جميعها .

ما نود قوله بهذا الخصوص ، ان ظروف القيادة فى الدولتين ومنشأها تختلف فى واحدة عما هى فى الاخر ، ويمكن تعميم هذا الحكم على الشعبين نسبيا [1] :

كل ذلك قد تضاءل ، او لم يظهر ، امام احتمالات الخطر الماثل الذى كان يهدد الشعب السورى ، ولقد عكست التطورات الداخلية فى سوريا بعد كشف المؤامرات بالداخل ، وبعد الصمود امام محاولة الغزو الخارجى ، ونقل وحدات عاملة

= فيه كل محاولة لتحقيقها " . على أن الهدف ظل واحدا لا يتغير بتغير الازمنة (وبقيت الغاية فى كل وقت) هى الوحدة .

" لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح ... واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة .. واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة فى أمة عربية واحدة " .. واتحدت المنطقة باللغة ، كما انها اتحدت (تحت دافع السلامة المشتركة) ايام الصليبيين ، واتحدت (بالمشاركة فى النواب) عندما حلت بها غارات الغزو التركى ، وكذلك اتحدت المنطقة عندما سيطر الاستعمار الغربى عليها (ومع الوحدة فى الثورة كانت الوحدة فى التضحيات) .. (وهكذا ترون أن الوحدة حقيقة تسعى اليها ، او حقيقة قائمة بالفعل) ، ولقد كانت قمة هذه الوحدة فى العصر الحديث والمعاصر تلك المأساة التى تجمعت فيها كل التضحيات العربية عبر العصور والازمنة المظلمة التى مرت على الامة العربية ، وكانت قمتها فلسطين . هذه المأساة قمة المآسى ، التى توحد فيها النضال العربى وكرس نفسه بامتزاج الدم العربى على ارض الرسالات السماوية ، هذه المأساة قد جعلت الوحدة الدستورية بين الدول العربية قاب قوسين او ادنى ، بل هى الوحدة الفعلية لانها قامت على الدم العربى ".

من الجيش المصرى الى سوريا ، كشفت تلك التطورات عن فجوة هائلة اصبح يعانيها الشعب السورى . هذه الفجوة التى تمثلت فى الخلافات الداخلية الحادة حتى ما بين القوى الثورية واليسارية ذاتها ، فلم يكن من بد امام القوة التى تقود الجماهير فى سوريا ، وهى الجيش والبعث ، الا أن تتجه الى القاهرة كمقذة لسوريا من التمزق الداخلى وتهديدات الخطر الخارجى ومحاولة الغزو التى قادتها تركيا بتخطيط من الولايات المتحدة الامريكية .

لم تكن سوريا ، فى تلك الفترة ، تواجه وحدها تلك الضغوط العنيفة . بل ان مصر ، ولم تنته آثار العدوان الثلاثى عليها بعد ، كانت تشن عليها امريكا ، بموجب مشروع ايزنهاور ، وبالتعاون مع دولتى العدوان ، بريطانيا وفرنسا ، حربا اقتصادية مريرة ، اصابت الاقتصاد المصرى بأفدح الأضرار ، وكادت ان تودى بكل المكاسب الشعبية التى حققتها الثورة حتى ذلك التاريخ . وكمثال على ضراوة تلك الضغوط فانه لم يكن فى مصر من القمح مايكفى لاسبوعين ، ومن البترول مايكفى لأربعة أيام ، كما استنفذت مصر ما لديها من البنسلين والادوية الهامة الاخرى ، وطلبت الحكومة المصرية معونة عاجلة من واشنطن ولكن طلبها رفض ، وطلبت مصر الافراج عن ارصدتها المجمدة فى الولايات المتحدة لكى يتسنى لها استيراد احتياجاتها الملحة والعاجلة ، وقوبل هذا الطلب بالرفض ايضا ، الا أن مصر استطاعت اجتياز تلك الازمة بعد أن حصلت على كل احتياجاتها من المعسكر الشرقى ، وهنا ظهر أن مصر " اشد تصميما على مقاومة محاولات التسلل الاستعمارية الجديدة .. لقد اراد الاستعمار الامريكى استغلال الصعوبات الطارئة والاستثنائية التى تعانيها مصر ، لكى يجبر القاهرة على الركوع امام الغزو الاستعمارى الجديد ، او اسقاط الحكم الثورى فيها "(١) لعل دمشق تسقط بعدها فتصبح المنطقة طوع بنان الامبريالية الامريكية . اذ أن امريكا قد نجحت فى نفس الوقت جبهة فى سوريا ، ولقد بذلت السفارة الامريكية فى دمشق كما قلنا ، جهودا كبيرة لتكتيل القوى المحافظة وتخريب الجبهة الداخلية الائتلافية المعادية للاستعمار ، ثم هولت باخطار الشيوعية فى سوريا ، وذهب رجال السفارة الامريكية بعيدا فى عملهم بغية احداث انقلاب عسكرى .. وفى ٢١ اغسطس عام ١٩٥٧ بدأ الاسطول الامريكى السادس يفرض حصارا على سوريا ، وقام بمناورات عسكرية على شواطئها ، ثم بدأت بوادر العدوان التركى ـ العراقى .

هذه معركة نموذجية قد خاضها الشعبان ، المصرى والسورى ، ضد عدو

---

(١) ياسين الحافظ مرجع سابق ص ١٨٦ .

مشترك هو الولايات المتحدة الامريكية • هذه المعركة كانت على رأس الأسباب التي ادت الى الوحدة • وكانت قمة الكفاح المشترك للشعبان • اذ في الرابع عشر من سبتمبر عام ١٩٥٧ ، التقت سورية ومصر على صعيد رسمي لمواجهة العدو الامريكي المشترك ، استنادا للميثاق العسكري المشترك المعقود عام ١٩٥٥ وارسلت مصر بتاريخ الثالث عشر من نوفمبر عام ١٩٥٧ جيشها لمواجهة احتمالات الغزو الاستعماري •

وهكذا •• وفي " معمعان قمة النضال السوري ـ المصري المشترك ضد الاحلاف الغربية ومشروع ايزنهاور ومحاولات الغزو والحصار الاقتصادي ، وسط هذا كله طرحت الجماهير العربية مسألة الوحدة بين مصر وسوريا " كتتويج لنضالهما المشترك ضد الاستعمار وكتثبيت وتعميق لهذا النضال ، وكتعبير عن حقيقتهما العربية • وهكذا كان الكفاح المشترك ضد الاستعمار جسرا للوحدة العربية (١) وبهذا تكون الجمهورية العربية المتحدة قد قامت " اثر حالة حرب ، بل وسط حالة حرب سياسية من أكبر حالات الحرب الباردة التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية " •

قبل الانتقال الى صلب القسم الثاني من الرسالة نورد بايجاز الأسباب التي قامت على نتائجها الجمهورية العربية المتحدة ، خاصة ، تلك الأسباب الداخلية •

اتضح لنا فيما سبق من القسم الاول انه مع نهاية عام ١٩٥٧ ظهر صراع عنيف داخل الائتلاف الحكومي السوري ، تمخض عن اتجاهات ثلاثة هي :

أ ـ الاتجاه الشيوعي واليساري المتطرف الذي اراد بموجبه كل من خالد العظم وخالد بكداش وعفيف البزري ان يشدوا سوريا نحو الكتلة السوفيانية •

ب ـ الاتجاه المحافظ والبورجوازي الكبير والرأسمالي الذي اراد أن يشد سوريا نحو العراق والاردن ويربطها بالتالي بالمعسكر الغربي •

ج ـ والاتجاه الثالث يضم البعث وضباط الجيش القوميين الذين يمموا شطر مصر ، يدعمهم التيار الشعبي الجارف والهائج الذي يطالب بالوحدة الفورية •

وهنا ظهرت عدة عوامل على مسرح الحياة السورية المضطربة في عام ١٩٥٧ وبداية عام ١٩٥٨ :

١ • اتضحت الرؤيا امام سوريا كلها أن البلاد على أبواب حرب اهلية ، فالحت على الوحدة مع مصر ، وفي النهاية كسبت الجولة " امام احجام عبد الناصر بمناقشته على أساس انه ان لم يقبل بانقاذ سوريا فان هناك خطرا من العناصر

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٨ •

الشيوعية فى الائتلاف سوف يحول الدولة نحو السوفييت (١) ٠

٢٠ العامل السابق سبب سياسى عملى للوحدة ٠ واذا ماحاولنا قلب الوجه الآخر لهذا السبب نراه يتحول الى سبب طبقى ٠ ذلك ان الطبقات الوسطى والمحافظة لم تقدر على الاتفاق فيما بينها على كيفية حكم سوريا ، وعلى أى من الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية يجب أن يسود المجتمع السورى ٠ فالطبقة الوسطى الصاعدة التى تتكون من ضباط الجيش ومعظم قادة حزب البعث وبعض القوميين المستقلين ، والطبقة الرأسمالية والمحافظين والبورجوازية الكبيرة ، وهؤلاء يمثلون المدرسة القديمة ، فشلوا جميعا فى أن يستمر ائتلافهم فى حكم سوريا ، يضاف الى هذا ان المطالب المتنامية لليساريين فى أن يشتركوا فى تقرير السياسات الوطنية كل هذا ساعد فى " تقويض ثبات السياسة الوطنية ٠ وبما انهم جميعا فشلوا فى السياسة المحلية الداخلية ، فقد ادارت هذه التجمعات تفكيرها نحو الشئون الخارجية ٠ ان معظم السوريين بمافيهم المحافظين ، اتجهوا نحو مصر من أجل الخلاص (٢) ٠

٣٠ ومن الأسباب الهامة الاخرى لبدء المفاوضات من أجل الوحدة هى العسكرية السورية ٠ لقد تكلمنا الشىء الكثير عن الجيش السورى ٠ ومايجب قوله هنا أن الجيش السورى كان منقسما الى شيع واحزاب ٠ وعن طريقه ، وطريق الاحزاب ، ضاعت الوحدة الوطنية فى سوريا (٣) ٠

٤٠ وسبب رابع للوحدة ، الاخطار من حول سوريا ٠ ان الذين جاؤوا الى القاهرة ليعرضوا وليناقشوا الوحدة مع قادة مصر قد بسطوا ، على مايبدو ، هذه الناحية وأوسعوها تفصيلا ٠ وفى هذا يقول الرئيس عبدالناصر : " قالوا لى : لكن سوريا تتعرض للاخطار ، سوريا تتعرض للضياع ، ورفضك الوحدة انما تتنكر لكل ماقلت بالنسبة للقومية العربية والوحدة العربية ٠ ان الوحدة هى الحل الوحيد لانقاذ سوريا (٤) ٠

انطلاقا من هذه العوامل ، او الأسباب قامت الجمهورية العربية كحل وحيد لانقاذ سوريا ، فكيف جرت مفاوضات الوحدة وكيف قامت الجمهورية العربية المتحدة ، ثم كيف تطورت الأمور فى دولة الوحدة ؟

---

(١) Cremeans, : OP.Cit, P.116

(٢) Paretz: OP. cib .P. 361

(٣) راجع بهذا الخصوص (مجموعة خطب وبيانات وتصريحات الرئيس عبدالناصر) مجموعة سنة ٦٠ ــ ١٩٦٢ ص ٥٢٣ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٥٣٦ ٠

الفصل الاول

قيام الجمهورية العربية المتحدة

نتطرق فى هذا الفصل الى مبحثين :

الاول : مفاوضات الوحدة •

الثانى : ردود الفعل التى اثارها قيام الجمهورية العربية المتحدة •

وينقسم المبحث الاول بدوره الى عدة فروع هى :

١) الوحدة ام الاتحاد ؟

٢) قيام الدولة قانونا •

٣) الاسس التى قامت عليها ج•ع•م ودستورها الموقت •

٤) التكييف القانونى لنظام الدولة الاتحادى •

وينقسم المبحث الثانى الى التالى :

١• الاعتراف بالدولة الجديدة •

٢• رأى الدول الغربية فى الوحدة •

٣• رأى الشيوعية الدولية والمحلية فى الوحدة •

٤• الوحدة وقلب ميزان القوى فى المنطقة •

المبحث الأول

مفاوضات الوحدة

استطاع حزب البعث وضغط الجماهير والجيش السوري ان يدفعوا التجمع القومي الى تبني الدعوة للوحدة رسميا . واستطاعوا فيما بعد أن يدفعوا الوزارة الائتلافية الى اتخاذ قرار بتاريخ ٦ تموز - يوليو - عام ١٩٥٦ بتفويض لجنة وزارية للشروع بالمفاوضات مع مصر لتحقيق اتحاد فيدرالي بين مصر وسوريا ، وكان ان وافق المجلس النيابي بالاجماع على هذا القرار (١) ظهر عند هذه الخطوة وجه الطبقة المحافظة واليمين السوريين سافرا بالرغم من انهما ايدتا مشروع الاتحاد مع مصر ، اذ وقف عدنان الأتاسي ، في الجلسة التي بحث فيها قرار الوزارة ، ليدعو الى الاتحاد مع العراق . فأصدر حزب البعث بيانا جاء في نهايته : " ايها السادة : اذا كنا جادين في تقدير عظم الاخطار المحيقة بنا ، فهذا الاتحاد خير سبيل للوقاية والدفاع ، واذا كنا واثقين بامكانيات شعبنا ، مؤمنين بنزوعه الصادق الى الحرية والعدالة والوحدة ، فهذا الاتحاد سيكون المحرك الفعال لتلك الامكانيات يضاعف الثقة وينسق النضال ، ويختصر الزمن لخير العرب وخير الانسانية " .

وبرز ضغط الجيش السوري الفعال على التكتلات السياسية التقليدية عندما بدأت تعمل ضد الاتجاه الوحدوي بشكل علني ، ثم مالبث ان وضعها الجيش تحت الأمر الواقع . وفي الأيام الأخيرة من شهر يناير عام ١٩٥٨ ، وحتى يمكن قطع الطريق على فشل الوحدة ، اجتمع كبار ضباط الجيش السوري مع السفير المصري والملحق العسكري للسفارة . وخرج عفيف البزري ومعه الضباط مصممين على الوحدة . " ولم يكن للحكومة من خيار ، بل لها أن تحني رأسها لهذا القرار . فقد أمر البزري طائره لتكون على هبة الاستعداد ، وجمع مجلس الوزراء ، وركب الى القاهرة . وحتى بالنسبة لاكثر الاعضاء معارضة ، فانه قد انتشر انه قال : " هناك طريقان مفتوحان امامكم : احدهما يقود الى المزة (٢) والآخر الى القاهرة " (٣) .

ولم يكن امام هذا التهديد الا الاختيار الجاد ، فاتجهوا الى طريق القاهرة مرغمين ، ووجدوها فرصة سانحة بعد أن وضعوا تحت الأمر الواقع ، وكان في ذهنهم

---

(١) د . طعيمة الجرف : موجز القانون الدستوري (مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠ / ص ٤٤٥ .

(٢) المزة سجن شهير في ضواحي دمشق .

(٣) Seale: CP. Cit. P. 323 ويؤكد الفريق زهر الدين هذه الرواية في مذكراته حين يذكر تهديد اعضاء الحكومة السورية قبل الوحدة : الوحدة مع مصر او السجن ص ١٧

ان الوحدة اهون الشرين : شر القاهرة او شر المزة • وقبل الوحدة من السياسيين السوريين من قبلها فى ذلك الوقت وفى ذهن كل منهم :

اولا — ان يفلت من الضغط الشعبى الذى يحاصره •

ثانيا — ان يجد لنفسه فى الاوضاع الجديدة — بعد الوحدة — مكانا يستطيع منه ان يباشر العمل لنفسه ولاهدافه التى لم يجد لها مخرجا (١) •

وكان هذان الهدفان من ضمن الاهداف التى ارادتها الطبقة المحافظة بعد ان ماطلت وسوفت فى قضية الاتحاد مع مصر على أمل أن تكسب الوقت وتتجه صوب بغداد بدل القاهرة • اذ انها كانت قد اقترحت ، وعلى لسان ممثل حزب الشعب قائلة : " ان أتحادنا مع مصر يخضعنا للتبعية ، وان صفة التبعية لا تزول الا بانضمام دولة عربية اخرى للوحدة " • وكان من الحجج الأخرى التى تذرعت بها هى ان الاتحاد لا يتم الا بموافقة الطرفين ، وانها تخشى أن ترفض مصر اذا اعلنت سوريا الاتحاد • فكان رد القوى الوحدوية • على لسان البعث ، يتلخص بالتالى : اولا ، ان جمال عبدالناصر قد صرح للوفد البرلمانى السورى أثناء زيارته لمصر ، ان مصر تذهب فى قضية الوحدة الى الحد الذى تذهب اليه سوريا ، وثانيا ، ولو افترض نكوص حكومة مصر عن هذا الوعد ، فمن واجب سورية أن تعمل كل ما بوسعها لاقناع مصر •

ولقد صرح السيد محمود رياض (لباتريك سيل) فى القاهرة فى شهر يناير عام ١٩٦١ بمايلى : " اننا لم نطلب الوحدة ابدا مع سوريا • لقد ناقشنا السوريين دائما فى انها لم تنضج • وأخبرنا كل جماعة ضغط تعمل للوحدة اننا نرفض أى وحدة تقوم عن طريق القوة • لقد آمنا انها لن تدوم اطلاقا اذا قامت عن طريق الجيش •

" وقد اعلن جميع قادة الاحزاب السورية انهم سيرعون الوحدة ، لكن البعث هو الوحيد الذى خطط لها فعليا فى نشدانه وطلبه خطوات عملية لتحقيقها •

" كانت سياستنا فى أن نتجنب الوحدة • وعرفنا انها ستثير كل القوى ضدنا ، وسوف نتهم بأننا ضممنا سوريا •• (٢).

فى هذا الكلام شئ كثير من الصحة : فلم تكن الوحدة ثمرة منطقية للسياسة المصرية فى المجال العربى آنذاك • فقيام الوحدة فى ذلك التاريخ قد دمر الواقع الاقليمى • وكان الرأى العام المصرى غير مستعد لارتباط عضوى مع دولة عربية أخرى ، والرئيس عبدالناصر نفسه لم يكن قد انتهى من مشاكل حرب السويس

(١) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ص ٣٩ •

(٢) Ibid.P. 314 والجدير بالذكر ان السيد محمود رياض كان آنذاك سفيرا لمصر فى دمشق •

وآثارها . " لكن هذه الاعتراضات يجب أن يقابلها في الحال انه وان كان محمود رياض لم ينشد الوحدة ، الا أن معظم نشاطه كان طريقا الى الوحدة . وكان من واجبه أن يربط سوريا بالسياسة المصرية : ان يكسب الحكومة السورية والجيش والجماهير الى جانب مصر . وفي هذا نجح أكبر النجاح .. " (١)

مهما يكن من موقف مصر فان الجيش السوري قد اخذ المبادرة وفرض وجوده على مسرح الحياة السياسية لسوريا ووضع كل القوى فيها امام الأمر الواقع . " وكان ذلك هو الأمر الطبيعي ، فان ضباط الجيش بكتلته المتصارعه كانوا في ذلك الوقت هم القوة الحقيقية وراء الواجهة المدنية ، الهزيلة الضعيفة ، في سوريا في تلك الأيام .. " (٢)

اجتمع قادة الكتل المتصارعة في الجيش في ذلك الوقت ، في شبه هدنة موقتة فيما بينهم ، ثم تناقشوا في أوضاع سورية واستقر قرارهم " على أن لا حل ولا أمل في سوريا ، الا بوحدة مع مصر " تستجيب أولا لنداء الجماهير ، ثم تنهي ثانيا لعبة الحبل المشدود على حافتي الهاوية الذي كانت تسير عليه سوريا بحكم الحالة التي تردت اليها أمورها .

وكانوا في ذلك الوقت اثنين وعشرين ضابطا يمثلون اثنتين وعشرين كتلة في الجيش السوري ووافقوا جميعا على ذلك الحل برغم ماكان في خواطر كل منهم . وكان اهم هؤلاء الضباط : عفيف البزري قائد الجيش ، وعبد الحميد السراج رئيس المخابرات ، ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت من قادة القطعات العسكرية . وكان هؤلاء على رأس الفئة التي فاوضت للوحدة ، او انهم كانوا أقوى قوى ضاغطة في الجيش السوري باتجاه الوحدة اما مجتمعين او منفردين (٣) .

---

(١) Ibid. P.314

(٢) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ . هذا وان أكثر ما سنكتبه بخصوص مفاوضات الوحدة هنا سنعتمد على ماجاء في كتاب الاستاذ هيكل .

(٣) " كان فيه عندنا طبقة من الشباب خاصة في صفوف الجيش .. هي اللي جت وفاوضت سيادتك من أجل الوحدة " ، هذا ما قاله المقدم فهد الشاعر (محاضر جلسات مباحثات الوحدة) التي جرت في مارس وابريل عام ١٩٦٣ في القاهرة . ص ٩٦ .

اتفقت كلمة الضباط ذوى الكتل المتصارعة بالجيش على أن الوحدة هى الحل وهى المخرج .

وركبوا جميعا طائرة جاءوا بها الى القاهرة ، الا واحدمنهم - هو عبدالحميد السراج - تركوه وراءهم فى دمشق ليمسك بزمام الأمور فى غيبتهم ويحفظ الميزان الدقيق المشدود على سلك بين حافتى هاوية - ريثما يعودون اليه .

وصلوا الى القاهرة يوم ١٤ يناير ١٩٥٨ على وجه التحديد . وطلبوا أن يقابلوا الرئيس جمال عبدالناصر ، ولكنه يومها لم يكن فى القاهرة ، بل كان فى الأقصر مع ضيفه فى ذلك الوقت الدكتور احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا . فقابلهم فى نفس اليوم المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، والقائد العام للقيادة المشتركة التى كانت تضم الجيش المصرى والجيش السورى فى ذلك الوقت . وباتوا ليلتهم فى قصر الطاهرة . وفى الساعة الثامنه مساء خرجت بهم قافلة سيارات حملتهم من قصر الطاهرة الى بيت الرئيس جمال عبدالناصر فى منشية البكرى (١) .

ثم كان اجتماع ، سيظل مهما كان ومهما سوف يكون - من أهم صفحات التاريخ العربى المعاصر وتحدثوا جميعا فيما جاءوا من أجله ، وساقوا المبررات . وصفوا حالة الفرقه بينهم ، وصفوا حالة " الاستنفار " الطوارئ - الدائمة فى الثكنات لأن كلا منهم يتوجس من الآخر . وصفوا حالة سوريا الضائعة بين احزابها . وبين ضغط حلف بغداد عليها فى الداخل والخارج وبين تسلل الشيوعيين الى الاعصاب الحساسة للوطن السورى . تحدثوا عن اسلحة حلف بغداد التى يجرى تهريبها عبر الحدود وعن مخططاته للسيطرة على سوريا . تحدثوا عن نشاط خالد بكداش وعن حى الاكراد الذى حوله فى دمشق الى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب . تحدثوا عن الشخصيات السورية السياسية المتهالكة ، بعضهم يمد يده للرياضى استجداء لما لها الذى لا ضابط له ولا حساب ، وبعضهم يترك جيوبه لبغداد تحشوها له بما تقدر عليه بغداد من فيض الخير والرزق (٢) .

وقال الرئيس عبدالناصر : " هذا كله لا يبرر قيام وحدة ، تلك كلها أسباب سلبية ، سوف تكون عبئا على الوحدة اكثر مما تكون قوة دافعة لها " .

وكان ردهم : " لكن الشعب فى سوريا كله يطلب الوحدة .. ان الوحدة

---

(١) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

مطلبه الدائم .. والوحدة مع مصر بالذات هى التيار الكاسح فى سوريا كلها الآن . والناس فى سوريا يحسون انهم " يقبلون " وان مصر " تصدهم " . ومجلس النواب السورى اتخذ قرارا بالوحدة مع مصر ، ولكن مجلس الأمة المصرى لم يستجب . وظل اسابيع طويلة بين التردد والاحجام ، ولا يجيب الى الاشارة الموجهة اليه من المجلس النيابى السورى . وان هذا وضع يحرج الشعور الشعبى فى سوريا ".(١)

وقال الرئيس عبد الناصر : " ان الوحدة ليست بالعمل السهل . لقد بدأنا الآن بالكاد ـ بعد معارك عنيفه مع الاستعمار نوجه كل طاقتنا لبناء مصر ، واملى فى بناء مصر هو أن تكون قاعدة قوية ، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لنضال باقى الشعوب العربية . انى اريد أن نجعل مصر البلد " النواة " للتطوير العربى ، وسوف يكون لذلك كله اثره فى تدعيم الدعوة الوحدة عمليا وواقعيا وايجابيا ".(٢)

وقالوا له : " تريد أن تعمل ذلك لمصر .. وتترك سوريا التى علقت آمالها على مصر وعليك .. انت بذلك تتخلى عن دعوة القومية العربية كلها من أجل مصر وحدها (٣) وأضاف الضباط قائلين بأنها ليست عملية مناقشة ، وليست هى عملية مراحل .. انما العملية ضرورة قومية .. وكان الضباط " اللى بيمثلوا حزب البعث موجودين وقالوا احنا بنبات فى المعسكرات واننا مهددين .. وان احنا عايزين نخلص من هذه المشاكل (٤).

أصر الرئيس عبد الناصر على أن تكون الوحدة على مراحل وعلى سنوات خمس امام ادراكه ان الوحدة فى فترة البناء الوطنى " عملية شاقة ، ومرهقة ، وكان من رأيى أن التمهيد لها تدريجيا ، على سنوات نتمكن خلالها من أن نضع الاسس الحقيقية لها قبل أن نقيم اطارها الدستورى ، ولكنى نزلت على الارادة الشعبية السورية ، وكنت اشعر فى اعماقى ، اننى بهذا احمى الوطنية السورية ، واشارك فى انقاذ الوطن السورى مما كان يتهدده من اخطار (٥).

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣ (٢) المرجع السابق ص ٣٣

(٣) محمد حسنين هيكل مرجع سابق ، ص ٣٢ ـ ٣٤ .

(٤) الرئيس عبد الناصر (محاضر جلسات مباحثات الوحدة) ص ١٣٦ .

(٥) من خطاب ٥ اكتوبر عام ١٩٦١ الذى القاه الرئيس عبد الناصر بعد الانفصال .

ويؤكد الفريق زهر الدين هذا الكلام حيث يقول : " فلقد كان عبد الناصر يقول فى الأيام التى سبقت الوحدة امامنا نحن رجال الجيش الذين طلبنا اليه أن يقبل الوحدة معنا ، كان يقول : ان الوحدة تحتاج الى [illegible]

وبالرغم من محاولة اقناع الجانب المصرى للضباط السوريين بضرورة اتخاذ خطوات وحدوية لتتم الوحدة على مراحل ، الا أن الجانب المصرى رضخ فى النهاية امام اصرار السوريين لماعرضوه من اخطار داخلية وخارجية تحيط بسوريا .

وكانت الوحدة التى لم تناقش صيغتها الدستورية ، ومضمونها السياسى والاجتماعى والاقتصادى . وكان لهذا أكبر الاثر على نهاية حياة الوحدة القصيرة .

ان مفاوضات الوحدة لم تتخللها الصراحة كما قال الرئيس عبد الناصر . ثم ان الجانب المصرى ، وكمايشبه السحر ، وجد نفسه امام الأمر الواقع :

" ضباط الكتل فى الجيش هم يوم ١٥ يناير وانت (١) جيت يوم ١٦ يناير واتعشينا يوميها بدعوة من بغدادى فى مجلس الأمة .

يوم واحد فبراير وقعنا الاعلان . وبعدين الاستفتاء .

هل فيه وحده بالدنيا اتعملت بهذا الشكل وسط كل هذه الظروف ؟ (٢)

نخلص مما تقدم أنه كان هناك اتجاهان فى المفاوضات ..

١) الاتجاه الاول تمثله مصر فى طلبها الوحدة على مراحل .. وحدة عسكرية .. وحدة اقتصادية وحدة ثقافية ... الخ . ثم يتبع كل هذه الوحدات الوحدة الدستورية التى تأتى بعد خمس سنوات كتتويج للوحدات الجانبية . ولهذا الرأى اسبابه العديدة اولها واخطرها : العسكرية السورية ، وظروف مصر على أثر العدوان ونوازع الاقليمية فى الدولتين .

٢) الاتجاه الثانى الذى تمثله سوريا طالبة الوحدة الفورية الكاملة . وهذه الفورية لا يمكن أن يقال عنها بأنها مرتجلة .. لانها كان لابد أن تقوم على ما قامت عليه .. فهى فى ناحية من نواحيها معجزة .. ولأنها معجزة فلم يكن احد يصدق بأن تقوم وحدة بين بلدين مستقلين لكل واحد سيادته وعلمه ورئيسه (٣)

---

(١) يقصد به صلاح الدين البيطار وزير خارجية سوريا آنذاك .

(٢) الرئيس عبد الناصر (محاضر جلسات ..) ص ١٣٢ ، ويضيف الرئيس قائلا : انا بعد ماوقعت الوحدة شكرى القوتلى قال لى ايه ؟ مش كنت موجود ياصلاح ؟ كنتو موجودين .. وقال لى : " مبروك عليك .. مبروك عليك " ضبط على ظهرى وقال : " انت وقعت فى مصيبة " دى بلد كل واحد فيها معتبر نفسه اله .. النبى محمد وصل لغاية هناك ورجع " سمعت هذا الكلام والا لا ؟ وقال لى : " عندك عبدة النار .. وعبدة الصارى (النقود) .. مبروك عليك .. مبروك عليك .. "

(٣) راجع وجهتى النظر هاتين فى (محاضر جلسات مباحثات الوحدة) حيث مثل الرأى المصرى الرئيس عبد الناصر والرأى السورى السيد صلاح الدين البيطار . ص ٢٥٠ ومابعدها .

١) الوحدة أم الاتحـــاد ؟

كان الرأى فى الاساس ، وقبل تحقيق الوحدة بسنتين ، يقوم على اتجـــاه تحقيق الاتحاد . واختلط الأمر على الكثيريـــن فيما بعد حتى انهم لم يعودوا يفرقـــون مابين الوحدة والاتحاد . ان العرب . ككل ، غالبـا ما ناقشوا شكل الوحدة لأنـــه ليس بذى اهميـــة بالنسـبة لهم ، " وانهم ينادون (فليكن هناك اتحاد فقـط ، والشكل سوف يهتم بنفسـه " (١)

ان بعض الاحزاب السياسـية السوريـة وان ميزت مابين الوحدة والاتحـــاد على مستوى القيادة فيها ، الا أن مواقف الاحزاب ، عمليـا ، قد تغيرت مابين هـــذه التسمية او تلك . بينما كنا نرى احدهما يطالب بالاتحاد فاذا بـه يوافق علـــى الوحدة دون أية مناقشـة ، والعكس بالنسـبة لحزب آخر مثلا .

فحزب البعث قد طالب منذ البدايـة بالوحدة الاندماجية ، ويقـول علـــى لسان جريدة (البعث) الصادرة بتاريخ ٢٧/٤/١٩٥٦ " تمكنت قيادة حـــزب البعث العربى الاشتراكى من دراسـة قضية وحدة مصر وسورية ، وعلى اعداد مشـــروع يرسـم الخطوات العملية ويحدد المراحل الأساسـية لتوجيه القطرين ، وسيتقـــدم الحزب قريبـا بهذا المشروع الى المسئولين فى مصـر وسورية ، وسيطرح شـــعار الوحدة على الشعب ليدعمها بارادته ونضاله ، بعد أن اعلن الشعب ارادتـه فـــى أن تتحقق هذه الوحدة حالا " . وكذلـك طالب الحزب فى بيانه بمناسـبة الجـــلاء عن سوريا فى ٢٠/٤/١٩٥٦ " بالمبادرة لاعلان الوحدة بين مصـر وسوريا " . وحـاول الحزب قبل الوحدة بقليل أن يقدم مشروعا اتحاديا ، ثـم مالبث أن غير رأيـــــه امام الحاح الجميع على الوحدة الاندماجية .

أما الحزب الشيوعى ، منذ حرب السويس وبعدها ، اى عندما أصبحت فكـــرة الوحدة السوريـة المصريـة " سياسـة عمليـة " ، فانه قد عبر عن تأييده لاتحـــاد فيدرالى ، معتقدا ان رابطة فيدراليـة واهية سوف تمنع الاتحاد من أن يكـــون ذا فعاليـة ، وبذلـك يتابعون نشاطهم الحزبى فى سوريا ، لكن فى نهاية عام ١٩٥٧ فان خلافهم مع البعث ادى بهم لاعادة النظر بتكتيكاتهم . وفى عملية لســـلب المبادأة من خصومهم ، تقدموا خطوة أبعد اكثر من الاتحاد الفيدرالى ، وطالبوا بالاندماج الكلى مع مصر " (٢)

---

(١) Seale, Op. Cit. p. 326

لقد توقع الحزب ان عبد الناصر – الذى يصر على مشروع الاتحاد الفيدرالى سوف يرفض مشروع الوحدة الاندماجية . ومن ثم ، فقد أمل الشيوعيون أن تحبط مشروعات الوحدة كلها ، وبذلك يتدمر مركز عبد الناصر . " فيكسبون لأنفسهم السمعة الطيبة على انهم الأكثر قومية من الجميع ، لانهم مستعدون للتضحية فى كل شئ فى سبيل الوحدة "(١) عند ذاك ماكان امام البعث ، وقد رأى " زعامة حركة الوحدة تفر منه " او تكاد الا أن يترك مشروع الاتحاد الذى سيعرضه ويطلب اندماجا كليا مع مصر .

وهكذا كان شكل نظام الدولة الاتحادى ، او الدستورى ، مزادا تزايد عليه الاحزاب السورية لتكون السباقة امام الرأى العام العربى .

ففى الأساس دار الاتجاه الوحدوى حول مشروع اقامة اتحاد فيدرالى ، ثم مالبث ان تغير الموقف فجأة فقامت الوحدة الشاملة بين الدولتين .

بـرر حزب البعث هذا التغير امام الحاح الجميع على انهم طالبوا بالوحدة الشاملة ، ثم رأى الحزب أن يكون زمام المبادرة بيده . اما الحزب الشيوعى وانصاره فقد كان من رأيهم الاتحاد الفيدرالى . وهذا الشكل الواضح الذى كان ينادى به الشيوعيون قد ظهر بأوضح مايكون عندما كان خالد العظم فى موسكو فى منتصف شهر ديسمبر عام ١٩٥٧ اذ تحدث بشكل نهائى عن اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا(٢) وهذا ما تبناه الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان رسميا ، بمعنى انه اراد أن يبقى على كيان الدولتين . ولقد اتخذ الحزب الشيوعى قرارا بعد اجتماعات اللجنة المركزية للحزب فى سورية ولبنان دامت ثلاثة أيام ، مابين ١١ و ١٣ يناير عام ١٩٥٨ ، ولكن الاندفاع الشعبى فرض الوحدة فى النهاية فأيد الشيوعيون الوحدة وانتخاب الرئيس عبد الناصر " تأييدا لا يقل فى حدته وحرارته عن تأييد العناصر القومية(٣)

ويفهم من مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة فى عام ١٩٦٣ أن سوريا كانت صاحبة فكرة الاندماج الكلى وانها ، على لسان المتفاوضين ، لم تقبل فكرة الاتحاد .

وحزب البعث على يد ممثله فى مفاوضات وحدة ١٩٥٨ : صلاح الدين

---

(١) Ibid.P.318

(٢) الياس مرقص مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٣) ناجى علوش (مرجع سابق) ص ١١٧ .

البيطار ، كان قد اعد مشروعا اتحاديا .. ولكن امام اصرار الضباط انتهى الأمر ووافق على الوحدة ، هذا مع انه لم يتقدم بمشروع الاتحاد رسميا .(١)

ان جميع السوريين ، بما فيهم عفيف البزرى ، قد صمموا على الوحدة ، ولم يطالب بالاتحاد سوى خالد العظم .

وفى تفسير الوحدة ام الاتحاد ، كما طلبها السوريون ، اختلط الأمر عليهم ما بين ان الدستور المؤقت لم يقل (مجلس تنفيذى) أو (حكم مركزى) أو (حكم محلى) أو (حكم اقليمى)(٢)

واذا ما ناقشنا هذه النقطة من الناحية الفقهية البحتة نجد أن هناك فرقا شاسعا بين لفظة (حكم محلى) و (حكم اتحادى) أو (حكم موحد) . وأهم صيغة نجدها فى الدستور المؤقت تلك التى تتحدث عن (مجلس امة واحد) أى مجلس تشريعى واحد يشرع للاقليمين ورئيس للسلطة التنفيذية واحد .. يسأل امامه الوزراء ، مركزيون كانوا أم تنفيذيون .

وهذا يدل على معنى الوحدة الاندماجية الكاملة . يفترض هذا من توحيد السلطتين التنفيذية والتشريعية كل فى مرجع واحد فقط .

ان مضمون الدستور وروحه ، كما سنرى ، نؤكد أن الوحدة الاندماجية ، الكاملة بين مصر وسوريا كانت لها الغلبة فى النهاية .(٣)

---

(١) راجع ماجرى من مناقشات تفصيلية عن هذه النقطة فى كتاب (محاضر جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية) فى القاهرة ١٩٦٣ ! ص ٢١١ ـ ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٣) سنرى ان الوحدة الاندماجية الكاملة كانت خطأ ترتب عليه آثار كبيرة ضد دولة الوحدة .

٢) قيام الدولة الجديدة قانونا

قبل تسجيل الخطوات القانونية التي ادت الى قيام الجمهورية العربية لا مانع من التذكير بما جاء في كل من الدستور السوري والدستور المصري بشأن الوحدة ، كبداية ونقطة انطلاق للمراحل القانونية التي قامت على أساسها الجمهورية العربية المتحدة .

فلقد نصت مقدمة الدستور الذي صدر بتاريخ ٥ سبتمبر عام ١٩٥٠ على مايلي :
" نحن ممثلي الشعب السوري العربي المجتمعين في جمعية تأسيسية بارادة الله ورغبة الشعب الحرة ، نعلن اننا وضعنا هذا الدستور لتحقيق الاهداف المقدسة التالية ، ونعلن ان شعبنا الذي هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله ، يتطلع الى اليوم الذي تجتمع فيه امتنا العربية في دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الامنية المقدسة في ظل الاستقلال والحرية " .

ونصت المادة الاولى من الدستور على أن :
" ١) سوريه جمهورية عربية ديمقراطية نيابية ذات سيادة .
" ٢) وهي وحدة سياسية لا تتجزأ ولا يجوز التخلي عن جزء من اراضيها .
" ٣) والشعب السوري جزء من الامة العربية ".(١)

وتطبيقا لهذه الناحية النظرية التي جاءت في المقدمة وفي الفقرة الثالثة من المادة الاولى ، اصدر البرلمان السوري قرارا بتاريخ الخامس من يوليو عام ١٩٥٦ ، انتقل بالوحدة العربية بين مصر وسورية من النطاق العاطفي والشعبي والميدان النظري الى النطاق الرسمي لأول مرة (٢).

ونص القرار على " ان مجلس النواب السوري تنفيذا للفقرة الثالثة من المادة الأولى من الدستور التي تنص أن الشعب السوري جزء من الامة العربية يؤيد قرار الحكومة

---

(١) د . طعيمه ، مرجع سابق ، ص ٤٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ وكذلك Palmer , Mont: "The United Arab RepublicAn Assessment Of Its Failure " ,(Middle East Journal , V. 2° , 966) P . 5° .

الذى اعلنه دولة رئيس مجلس الوزراء فى هذه الجلسة والذى نصه :

" اننى اعلن للمجلس الموقر ان الحكومة اتخذت قرارا باجماع ارائها بتفويض لجنة وزارية لمباشرة المفاوضات مع الشقيقة مصر ، توصلا لتحقيق أتحاد فيدرالى بين قطرينا على أن يكون هذا الاتحاد مفتوحا للدول العربية المتحررة الأخرى. واننى لأرجو الله أن يحقق لنا هذه الخطوة المباركة حتى اذا تم الاتفاق على هذا الاتحاد تقدمنا بمشروعه الى مجلسكم الموقر لاقراره (١) "

اما الدستور المصرى الصادر بتاريخ ١٦ يناير عام ١٩٥٦ فقد نصت مقدمته على مايلى :

" نحن الشعب المصرى الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الامة العربية ومجدها (٢) "

وقرر الرئيس عبد الناصر فى الخطاب الذى تقدم به مشروع الدستور : " ان الكيان العربى يمتد من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ، كلنا شعب واحد .. نكافح جميعا متحدين متكاتفين .. من أجل حقنا فى الحرية ومن أجل حقنا فى الحياة ، نكافح جميعا ضد الاستعمار وضد أعوان الاستعمار.

" نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا (٣) "

ونصت المادة الأولى من الدستور المذكور على أن " مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديمقراطية " الشعب المصرى جزء من الأمة العربية ".

وقد تبع قرار مجلس النواب السورى ، قرار تاريخى اصدره مؤتمر نواب سورية واعضاء مجلس الامة المصرى المجتمعين معا بجلسة تاريخية مشتركة فى دمشق بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ مايلى : " ان نواب المجلسين المجتمعين اذ يعلنون رغبة الشعب العربى فى مصر وسورية باقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين ، يباركون الخطوات

---

(١) نرى مما سبق ان فكرة الاتحاد الفيدرالى هى أساس المفاوضات بين الدولتين كما جاء فى القرار السابق ، راجع فقرات من كلمة رئيس وزراء سوريا فى كتاب محمد عبد العزيز احمد ، مرجع سابق ٦٤–٦٥ اذ يحدد هذا القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء واحالة الى مجلس النواب الذى اقره فى يوليو سنة ١٩٥٦ .

(٢) د . طعيمة الجرف . مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

(٣) د . سليمان احمد الطماوى : مبادئ القانون الدستورى والاتحادى (دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، الطبعة الأولى) ص ٢١٢ .

العملية التى اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية فى سبيل تحقيق هذا الاتحاد ويدعون حكومتى مصر وسوريا للدخول فورا فى مباحثات مشتركة بغية استكمال تنفيذ هذا الاتحاد (١)

وفى نفس اليوم اصدر مجلس الامة المصرى بيانا تاريخيا جاء فيه :

" ومجلس الامة اذ يضم صوته الى شقيقه المجلس النيابى السورى ، يؤيد بالاجماع الرغبة الملحة فى الوحدة التى تنبعث بها هتافات القلوب فى كل من مصر وسوريا والتى تنبعث من صميم احتياجاتنا خلال الصراع المقدس فى سبيل الحرية والسلام . وهو يستحث فى هذا السبيل كلا من الحكومتين السورية والمصرية فى السير قدما نحو الوحدة الكاملة المنشودة التى هى أساس الوحدة العربية الشاملة اعظم اركان السلام فى هذا الركن الهام من اركان العالم " (٢)

وكتتويج للمفاوضات التى جرت فيما بين ١٥ يناير وأول فبراير عام ١٩٥٨ ، وتحقيقا للرغبة المشتركة لنواب شعبى مصر وسورية ، التقت الحكومتان المصرية والسورية عند البيان المشترك للمجلسين والمؤرخ فى ١٨ نوفمبر عام ١٩٥٧ ، التقتا فى بيان تاريخى فى أول فبراير عام ١٩٥٨ . اما غاية الاجتماع فهى التداول فى الاجراءات

= وبالنسبة لشرح المادة الأولى من دستور يناير ١٩٥٦ المصرى : انظر د . ثروت بدوى : النظم الدستورية (دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٧٩

(١) اصدر هذا القرار بناء لتوصية أعضاء مجلس الامة المصرى واعضاء لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب السورى معا بجلسة مشتركة . وجاء فى القرار السابق ايضا :

" ولما كانت وحدة الاقطار العربية امنية الامة الغالية ، وكان العمل لتحقيق هذا الهدف السامى المقدس واجبا قوميا على كل عربى وأمانة فى عنق نواب الشعب المصرى ، وكانت مصر وسورية ، الشقيقتان قد كافحتا الاستعمار .. وانتهجتا فى سياستهما الخارجية نهجا حياديا يستوحى من مصالحهما القومية وامانيهما المشتركة ... وكان تحقيق ما تم بين البلدين يعتبر بمثابة حجر الاساس فى اقامة اتحاد عربى بينهما " راجع د . طعيمة الجرف مرجع سابق ص ٤٤٥ ، ٤٤٥ ويراجع كتاب الدكتور سليمان محمد الطماوى مرجع سابق ص ٣٢٧ وكذلك د . الشافعى محمد بشير نظرية الاتحاد بين الدول (منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٣ ،) ص ٣١٥ وكتاب د . جلال يحى مرجع سابق ص ٦٧٥ .

(٢) دكتور جلال يحى مرجع سابق ص ٤٤٥ .

النهائية لتحقيق ارادة الشعب العربى ولتنفيذ ما نص عليه دستور الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية .. " . وانتهت المفاوضات الى أن الوحدة هى ثمرة القومية العربية وهى فى نفس الوقت طريق العرب الى الحرية والسعادة " وسبيل من سبل الانسانية للتعاون والسلام " والواجب الذى دعاهم الى المفاوضات هو اخراج الوحدة من حيز الامانى الى نطاق التنفيذ العملى . لذلك فلقد " خلص المجتمعون من هذا كله الى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت " وهم من ثم يعلنون " اتفاقهم التام وايمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سورية ومصر فى دولة واحدة ، اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) (١) .

ومما جاء فى بيان أول فبراير التاريخى ايضا : " وسيتقدم كل من فخامة الرئيس شكرى القوتلى وجمال عبد الناصر ببيان الى الشعب يلقى امام مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى فى يوم الأربعاء ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ يبسطان فيه ما انتهى اليه هذا الاجتماع من قرارات ويشرحان أسس الوحدة التى تقوم عليها دولة العرب الفتية " .

ونزولا عند هذه الضرورة القانونية رجعت كل من الحكومتين المتعاقدتين الى السلطة المحلية المختصة بقصد اجراء الخطوات الدستورية اللازمة لتحقيق اندماج البلدين المستقلين فى دولة موحدة جديدة .

لذلك رجع رئيس الجمهورية السورية الى نواب الشعب السورى كما رجع رئيس الجمهورية المصرية الى نواب الشعب المصرى . وفى تاريخ واحد هو الخامس من فبراير عام ١٩٥٨ انعقد المجلسان التشريعيان فى دمشق وفى القاهرة واحيطا علما باتفاق الوحدة وبانشاء الجمهورية العربية المتحدة ، ثم أقر كل منهما بالاجماع الخطوات التى تمت والتى اتفق فيها الجانبان السورى والمصرى فى بيانهما التاريخى المشترك (٢) .

---

(١) بيان أول فبراير سنة ١٩٥٨ التاريخى .

(٢) القى الرئيس عبد الناصر امام مجلس الامة فى ٥ فبراير عام ١٩٥٨ بيانا جاء فيه : " ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة : على اننى ارى ان من واجبى فى هذه اللحظات ان اصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم ، ان الطريق الذى نقبل عليه طويل وشاق ان رحلتنا عليه ليست نزهة تروح بها عن النفس .

وانما رحلتنا هى مشاق ومتاعب وكفاح وجهاد .

ولكن هذه كلها هى الثمن العادل للأمل الكبير الذى نسعى اليه .

وبعد القاء رئيس الجمهورية المصرية لبيانه فى التاريخ المذكور اصدر مجلس الامة قرارا بتأييد الوحدة جاء فيه :

" ان مجلس الامة ليرى فى اقامة الدولة العربية المتحدة ايذانا بفجر جديد تتضافر فيه كل الجهود والقوى فى سوريا ومصر فى سبيل واحد ونحو هدف واحد وايمان مشترك لتحقيق مجد العروبة " .

وفى نفس الوقت اصدر مجلس النواب السورى ، بعد القاء الرئيس شكرى القوتلى بيانه ، قرارا بتأييد الوحدة جاء فيه :

" ان اعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تم انما يعبرون عن ارادة الشعب العربى فى الاقليم السورى ويؤدون الامانة ويوفون بالعهد حين اقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية " .

وباجماع نواب الشعبين المصرى والسورى ، بدأت الجمهورية العربية المتحدة كبرى خطواتها فى طريق اكتمال وجودها القانونى (١).

نجد أنه كان لابد بعد ذلك من أن يتحقق رسميا التقاء الشعبين الشقيقين حول الجمهورية العربية المتحدة ، ويؤكدان ارادتيهما الصريحة فى قبول الدولة الموحدة من هنا كان تأكيد بيان أول فبراير (٢) ، كما كان تأكيد المبادئ العامة المعلنة فى المجلسين التشريعيين بتاريخ الخامس من فبراير ، لدعوة الشعب فى مصر وسوريا الى الاستفتاء على قيام الدولة واسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية . وباعلان نتيجة هذا الاستفتاء العام الذى أجرى فى البلدين بتاريخ ٢١ فبراير ، قامت قانونا الجمهورية العربية المتحدة ، وسقط دستور سبتمبر ١٩٥٠ السورى ، كما سقط دستور يناير ١٩٥٦ المصرى (٣).

والجدول التالى يبين نتيجة الاستفتاء على الوحدة والرياسة فى كل من مصر وسوريا .

= ولسوف يضاعف من متاعب ما سوف نلقاه امامنا على الطريق ان الذين لا تروقهم وحدة سوريا مصر ، ولا توافق اغراضهم ، لن يقبلوها بالرضى والسكوت ، وانما ستكون المساعى ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات . لهذا اقول لكم من الآن : اننا فى سعينا على طريق املنا ، يجب أن نظل مفتوحى الأعين متنبهين الحس والوجدان .

(١) د . طعيمة الجرف ، مرجع سابق ٤٤٧ .

(٢) جاء فى بيان أول فبراير مايلى : " كما سيدعى الشعب فى مصر وسورية الى استفتاء خلال ثلاثين يوما على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية " .

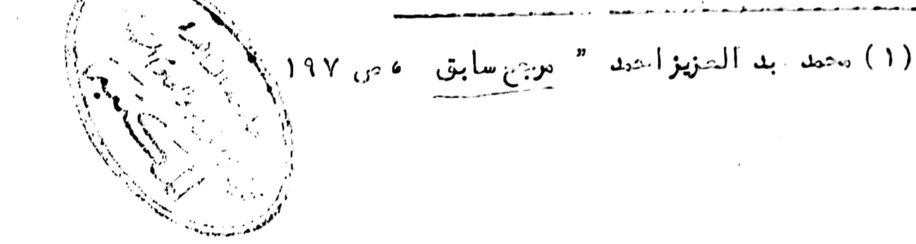
(٣) د . جلال يحى ، مرجع سابق ، ٦٧٦ .

نتيجة الاستفتاء على الوحدة والرياسة

بين مصر وسوريا

١ فبراير ١٩٥٨

		عدد الناخبين	المشتركين فى الاستفتاء	الاصوات الصحية	الاصوات الباطلة	عدد الموافقين	غير الموافقين	النسبة المئوية للمشتركين	النسبة المئوية للموافقين
فى مصر	استفتاء الوحدة	٦ر٢٢٠ر٤٣	٦ر١٠٤ر٢٥٩	٦ر١٠٢ر٣٧٥	١٨٨٤	٦ر١٠٢ر١٢٨	٢٤٧	٩٨ر٨٣	٩٩ر٩٩
	استفتاء الرياسة	٦ر٢٢٠ر٣٤٧	٦ر١٠٤ر٤٦٢	٦ر١٠٢ر٣٨١	١٨٨١	٦ر١٠٢ر١١٦	٢٦٥	٩٨ر١٣	٩٩ر[illegible]٩
فى سوريا	استفتاء الوحدة	١ر٤٣١ر١٥٧	١ر٣١٢ر٠٠٧	١ر٣١٢ر٩٧٨	٧٢	١ر٣١٢ر٨٠٦	١٣٩	٩١ر٧٥	٩٩ر٩٨
	استفتاء الرياسة	١ر٤٣١ر١٥[illegible]	١ر٣١٢ر٠٦٩	١ر٣١٢ر٦٩٥	٧٤	١ر٣١٢ر٨٠٨	١٧٨	٩١ر٧٦	٩٩ر٩٨ (١)



---

(١) محمد عبد العزيز احمد " مرجع سابق " ص ١٩٧

٣) الاسس التى قامت عليها ج ٠ع ٠م ودستورها المؤقت

أ — الأسس التى قامت عليها ج ٠ع ٠م (١)

جاء فى البيان التاريخى المشترك الذى اعلن فى القاهرة فى أول فبراير عام ١٩٥٨ أن ممثلى الدولتين المتعاقدتين يعلنون : " اتفاقهم الاجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطيا رياسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة ويعاونه وزراء يعينهم ويعفيهم ويكونون مسئولين امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ويكون لهذه الجمهورية علم واحد ، يظل شعبا واحدا ، وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها ابناؤها فى الحقوق والواجبات ويدعون جميعا لحمايتها بالانفس والمهج والأرواح " .

كانت الفقرة السابقة الأساس الذى قامت عليه الجمهورية العربية المتحدة . ومن مراجعة فقرات الاسس التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة يمكن ملاحظة المبادئ العامة لنظام الحكم فى فترة الانتقال .

ولقد قدم كل من الرئيس عبد الناصر والرئيس القوتلى هذه الاسس فى تاريخ واحد هو الخامس من فبراير بمجلس الامة المصرى والنواب السورى . ويمكن اعتبار مجموع هذه الاسس بمثابة اعلان دستورى للدولة الجديدة .

ويمكن تقسيم الاسس التى قامت عليها الدولة الجديدة الى عدة أقسام :

١) فى مجال الدولة ونظامها السياسى والاتحادى : هى دولة عربية متحدة . والاتحاد هنا اشارة الى انضمام دولتين فى دولة واحدة (المبدأ الأول) وهى جمهورية ديمقراطية مستقلة ولها سيادتها ، وشعبها جزء من الأمة العربية (المبدأ الأول) . وهى دولة ذات نظام رئاسى حيث يتولى السلطة التنفيذية رئيس الجمهورية (المبدأ الخامس) . ويشكل فى كل اقليم مجلس تنفيذى يرأسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية ، بناء على اقتراح من رئيس المجلس التنفيذى (المبدأ الحادى عشر) .

---

(١) د . محمد سليمان الطماوى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩ . وكذلك د . جلال يحيى ، مرجع سابق ، ص ٦٧٦ — ٦٧٨ .

٢) فى المجلس التشريعى : يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة يحدد اعضاؤه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصف اعضاء مجلس الامة على الأقل من بين اعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى (المبدأ الرابع) والسمة الواضحة التى تميز المجلس التشريعى هنا هى أنه معين لا منتخب من قبل الشعب . وكان الأولى بأن لا يسمى " سلطة تشريعية " بل " مجلسا تأسيسيا " تناط به مهمة وضع دستور للدولة الجديدة ولم توضح الاسس والمبادئ التى نذكرها كيفية اختيار مجلس الأمة وماهى المعايير التى سيسترشد بها رئيس الجمهورية فى تعيين اعضاء مجلس الأمة .

٣) فى مجال المواطنية والحرية : الحريات مكفولة فى حدود القانون (المبدأ الثانى) والانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين فى القانون ، ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم (المبدأ الثالث) والملكية الخاصة مصونة وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ، ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون (المبدأ السادس) ، وانشاء الضرائب العامة وتعديلها أو الغائها لا يكون الا بقانون ، ولا يعفى أحد من ادائها الا فى الأحوال المبينة فى القانون (المبدأ السابع) .

٤) فى مجال الاحكام العامة : القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون (المبدأ الثامن) . ويبقى العمل بكل ماقررته التشريعات المعمول بها فى سوريا وفى مصر سارى المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها ، ويجوز الغاء هذه التشريعات وتعديلها (المبدأ التاسع) . ولم ينص هذا المبدأ بمن يناط أمر التعديل أو الالغاء ، مجلس الأمة أم رئيس الجمهورية وتبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من مصر وسوريا وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند ابرامها ، ووفقا لقواعد القانون الدولى (المبدأ الثالث عشر) . أما المصالح العامة والنظم الادارية المعمول بها فى كل من مصر وسورية فتبقى الى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرار من رئيس الجمهورية (المبدأ الرابع عشر) . وتتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة (المبدأ السادس عشر) ولم توضح هذه المبادئ الاجراءات المذكورة ولم تحدد فترة زمنية محددة لاتخاذها . ويجرى الاستفتاء

على الوحدة ، وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى يوم الجمعة الموافق ٢١ فبراير (المبدأ السابع عشر) .

٥) فى مجال التنظيم السياسى : نص المبدأ الخامس عشر على أن يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتعيين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية (١).

ب — الدستور المؤقت للجمهورية ع.م

باعلان نتيجة الاستفتاء على الوحدة وعلى شخص رئيس الجمهورية الذى جرى فى آن واحد بتاريخ ٢١ فبراير عام ١٩٥٨ ، اصبح رئيس الجمهورية العربية المتحدة هو السلطة الشرعية الوحيدة فى الدولة الجديدة . وتنفيذا للسلطات الدستورية المخولة له بموجب المبادئ العامة فى المجلسين التشريعيين لكل من مصر وسورية بتاريخ ٥ فبراير عام ١٩٥٨ ، اصدر رئيس الجمهورية الدستور المؤقت لتنظيم ادارة الحكم فى فترة الانتقال ولحين وضع الدستور الدائم واعلان موافقة الشعب عليه . وهذا ما نصت عليه المادة (٧٣) حين قررت " يعمل بهذا الدستور المؤقت الى حين اعلان موافقة الشعب على الدستور النهائى للجمهورية العربية المتحدة " .

أما أهم الاحكام الواردة فى نصوص الدستور المؤقت فلا تخرج عن كونها تطابق يكاد أن يتشابه مع المبادئ العامة المعلنة فى الخامس من فبراير عام ١٩٥٨ .

ويمكن حصر خصائص الدستور المؤقت بالعناصر التالية :

اولا — الدولة العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية (م ١) ويتمتع بجنسيتها من يحمل الجنسية السورية أو المصرية أو من يستحق أية منهما بموجب القوانين .

ثانيا — يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة (١٣٣) .

---

(١) تفصيل هذه الاسس وتبيانها فى كتاب د. طعيمة الجرف ، مرجع سابق ، ص ٤٤٨ ، وكتاب د. سليمان الطماوى ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

ثالثا ـ تبقى التشريعات المعمول بها فى كل من الاقليمين نافذة المفعول ، وكذلك الاتفاقات والمعاهدات الدولية فى نطاقها الاقليمى المحدد (مواد ٦٨ ، ٦٩) .

رابعا ـ يستمر العمل بالنظم الادارية المعمول بها فى كل من الاقليمين الى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية (م ٧١) .

خامسا ـ يكون المواطنون اتحادا قوميا لتحقيق الاهداف القومية ولبناء الامة بناء سليما فى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية (م ٧٢) .

سادسا ـ الملكية الخاصة مصونة ، والقانون ينظم اداء وظيفتها الاجتماعية (م ٥) .

سابعا ـ نظام الحكم جمهوريا رئاسيا . وهذا تطبيقا للبيان المشترك لمجلس الوزراء السورى والمصرى الصادر فى أول فبراير عام ١٩٥٨ حيث اعلن المجتمعون " .. اتفاقهم الاجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطيا رئاسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين أمامه .. " .

ولا تخرج المادة (٤٤) عن هذا المعنى حين تضع الصياغة القانونية لهذه الفكرة فتقرر :

" يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية " .

كما تقرر انه لرئيس الجمهورية سلطة تعيين الوزراء التنفيذيين بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى الاقليمى . ورئيس المجلس التنفيذى يجرى تعيينه بقرار من رئيس الجمهورية .

ولقد رددت المواد ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٨ من الدستور المؤقت أحكام هذه المبادئ العامة وما تقرره فى شأن النظام الجمهورى الرياسى .

ثامنا ـ الديمقراطية فى الدستور المؤقت سياسية واجتماعية معا . فالمادة الثالثة تقرر أن " التضامن الاجتماعى أساس المجتمع " . وهذا ما جاء على تفصيله الباب الثانى من الدستور المؤقت والخاص " بالمقومات الأساسية للمجتمع " .

تاسعا ـ وينظم الاقتصاد القومى وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادئ العدالة

الاجتماعية ، وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة (م ٤) وان " الملكية الخاصة مصونة " و " ينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية " (م ٥) ، وان " العدالة الاجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة " (م ٦) (١) .

السلطات كما جاءت فى الدستور الموقت :

١) <u>السلطة التشريعية</u> :

تقرر المادة (١٣) من الدستور الموقت بأن " يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة " . وبهذا يأخذ الدستور الموقت بفكرة السلطة التشريعية الموحدة حيث لا يوجد لكل اقليم مجلس تشريعي خاص به . اما عدد اعضاء مجلس الامة فيحدد " ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية " ، ويشترط أن يكون نصفهم على الاقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى السابقين .

بخصوص اجتماع المجلس التشريعي تنص المادة (١٨) على أنه " لا يجوز ان يجتمع مجلس الأمة دون دعوة فى غير دور الانعقاد ، والا كان اجتماعه باطلا ، وبطلت بحكم القانون القرارات التى تصدر منه " .

وفى حال غياب المجلس " لرئيس الجمهورية أن يصدر أى تشريع أو قرار ، مما يدخل اصلا فى اختصاص مجلس الامة اذا دعت الضرورة الى اتخاذه فى غياب المجلس على أن يعرض عليه فور انعقاده ، فاذا اعترض المجلس على ما اصدره رئيس الجمهورية بأغلبية ثلثى اعضائه سقط ماله من أثر من تاريخ الاعتراض " . م (م ٥٣) (٢) .

٢) <u>السلطة التنفيذية</u> : (٣)

نصت المادة (٤٤) من الدستور الموقت على أن " يتولى رئيس الجمهورية السلطة

---

(١) راجع بهذا الخصوص نصوص الدستور الموقت فى الملحق رقم / ٢ .

(٢) سنناقش السلطة التشريعية بتفصيل أكثر حيث نتكلم عن نظام الحكم السياسى فى الفصل القادم . ويراجع بهذا الخصوص د . طعيمة الجرف ، <u>مرجع سابق</u> ص ٤٦٧ اما عن اختصاصات مجلس الامة فيراجع د . الطماوى ص ٣٨٩ . كذلك يراجع كتاب د . الشافعى محمد بشير ، <u>مرجع سابق</u> ، ٣٠٢١ .

(٣) <u>المرجع السابق</u> ص ٤٦٩ . ولمزيد من التفاصيل عن اختصاصات رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء والمجلسان الاقليميان التنفيذيان ، يراجع كتاب د . سليمان الطماوى ، <u>مرجع سابق</u> ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ . ود . الشافعى محمد بشير ،
[illegible] ، ٣١٩ .

التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور ".

ولم يعلن الدستور المؤقت عن الشروط اللازم توافرها فيمن يشغل منصب الرئاسة . وقررت المادة (٤٥) انه "لا يجوز لرئيس الجمهورية فى اثناء مدة رياسته ان يزاول مهنة حرة أو عملا تجاريا او ماليا او صناعيا ، او أن يشترى او يستأجر شيئا من اموال الدولة ، او أن يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله أو أن يقايضها عليه ".

ورئيس الجمهورية هو الذى يعين نواب الرئيس ويعفيهم من مناصبهم (م ٤٦) . كما أنه يعين الوزراء ويعفيهم من مناصبهم (م ٤٧) ، ويحيل بالاشتراك مع مجلس الأمة الوزراء الى المحاكمة عما يقع منهم من جرائم فى تأدية اعمال وظيفتهم (م ٤٩) ، ويقترح القوانين ويعترض عليها ويصدرها (المواد ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢) ، ويرتب المصالح العامة (م ٥٤) . وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة (م ٥٥) ، ويبرم المعاهدات ويبلغها مجلس الأمة ، أما معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى اراضى الدولة او تتعلق بحقوق السيادة او التى تحمل خزانة الدولة شيئا من النفقات غير الواردة فى الميزانية ، لا تكون الا اذا وافق عليها مجلس الامة (م ٥٦) ، وهو يعلن حالة الطوارئ (م ٥٧) .

يستخلص مما سبق ان رئيس الجمهورية تجمع فى شخصه رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة . وليست المجالس التنفيذية بناء لذلك الا هيئات استشارية وتحضيرية " تختص بدراسة الموضوعات التى تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم "[1] .

٣) السلطة القضائية[2] :

قررت المادة (٥٩) ان " القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون " . كذلك اعلن الدستور المؤقت عن الفصل المطلق بين السلطتين التنفيذية والتشريعية من جهة والسلطة القضائية من جهة ثانية ، مقررا فى

---

(١) دكتور طعيمة الجرف . مرجع سابق ، ص ٤٧١ .

(٢) دكتور سليمان الطماوى ، مرجع سابق ، ص ٥١٤ .

نفس المادة (٥٩) انه " لا يجوز لأية سلطة التدخل فى القضايا أو فى شئون العدالة ".

كما أنه لا يمكن عزل القضاة (م ٦٠) ، والقانون يرتب جهات القضاء ويعين اختصاصاتها (م ٦١) ، وجلسات المحاكم علنية ، الا اذا تقرر غير ذلك بناء لمراعاة النظام العام أو الآداب (م ٦٢) ، وتصدر الاحكام وتنفيذ باسم الأمة (م ٦٣).

* * *

تلك كانت أهم النصوص التى جاءت فى الدستور المؤقت دالة على السلطات الثلاث فى الجمهورية العربية المتحدة . واذا ماحللنا تلك النصوص ، وغيرها ، فان عدة اسئلة ترد على الاذهان لابد من طرحها فى هذا المجال مبينة أهم المظاهر التى جاء عليها الدستور لتحديد طبيعة نظام الدولة السياسى .

اولا ـ لماذا كان الدستور مؤقتا ؟

لقد قدم العديد من التبريرات للسؤال السابق ، منها :

١) ان طابع السرعة الذى تامت به الجمهورية العربية المتحدة ، نواة الوحدة ، يستوجب دستورا مؤقتا ينظم سير اداة الحكم ريثما يظهر الدستور الدائم للدولة الجديدة .

٢) قامت الجمهورية العربية المتحدة من انصهار دولتين فى دولة واحدة ، وكانت كل منهما متميزة بنظامها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وهذا يعكس نفسه على العلاقات الخارجية الى حد ما نظرا لماكان لكل منهما من سيادة داخلية واستقلال ذاتى وسيادة خارجية .. ووجود دستور مؤقت مع هذا الوضع يضع الأمور فى نصابها انما هو عمل يسهل علاقة الدولة الجديدة بغيرها على الأسس التى تضمنها الدستور المؤقت.

٣) اذا كان من الطبيعى ان تختلف القوانين والتشريعات والنظم السائدة فى الدولتين قبل الوحدة فمن الضرورى القيام بعمل يقرب تلك القوانين بصيغ مشتركة فيما بينها أو بصيغ جديدة كل الجدة عليها . من هنا كان الدستور المؤقت .

٤) كان من اللازم والضرورى ، بعد الوحدة ، توحيد النظام السياسى والاقتصادى

والاجتماعى والقانونى والتشريعى • وبما أن هذا التوحيد لا يمكن القيام به دفعة واحدة ، كان من الضرورى اصدار الدستور المؤقت كرابطة مشتركة على طريق توحيد تلك النظم •

من كل ماسبق ، كان لابد من فترة كافية ، قصرت ام طالت ، ليتم فيها التنسيق والربط والترحيد بين جميع مظاهر النظم التى كانت سائدة فى كل من مصر وسوريا • ولهذا السبب جاء الدستور يحمل طابع التوقيت وليس الدوام • وهذا مايسمى بالفترة الانتقالية التى تزول بزوال التباين والاختلاف بين الاقليمين (١)

ثانيا ـ النظام رئاسى فى الدستور المؤقت : (٢)

نص دستور يناير ١٩٥٦ على أن مصر جمهورية ديمقراطية وأقر النظام الرئاسى • ونص دستور ١٩٥٠ على أن سوريا جمهورية برلمانية • فقامت الجمهورية العربية المتحدة على النظام الجمهورى وليس غيره •

ومثل دستور يناير ١٩٥٦ فى مصر ، أخذ الدستور المؤقت بالنظام الجمهورى الرئاسى ، حيث يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية بصفة فعلية ، وهو يتولى رئاسة الحكومة لذلك فلا يوجد نظام مجلس الوزراء بالمعنى التقليدى للمصطلح • واعتبر الدستور المؤقت أن الوزراء مجرد معاونين لرئيس الدولة فى مجال السلطة التنفيذية •

ونص اعلان أول فبراير ١٩٥٨ على الاتفاق " ان يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رئاسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم " يكونون مسئولين امامه " •

كذلك نص الاعلان الذى القى امام مجلس الامة المصرى ومجلس النواب السورى ، كل على حدة فى ٥ فبراير عام ١٩٥٨ على أن " يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية " •

وتطبيقا لماسبق ، فقد نصت المادة (٤٤) من الدستور المؤقت على أن " يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور " •

---

(١) دكتور محسن خليل : (النظام الدستوري فى مصر والجمهورية العربية المتحدة) (منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ٥٩/ ٦٠ ص ٤٥٠ •

(٢) د • طعيمة الجرف : مرجع سابق ، ص ٤٥٣ ، كذلك د • سليمان الطماوى مرجع سابق ، ص ٣٩٨ •

واتفاقاً مع مبادئ النظام الرئاسي فقد نص الدستور المؤقت على ان رئيس الجمهورية هو الذي يضع السياسة العامة وهو الذي يعين نواب رئيس الجمهورية والوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويتولى كل وزير الاشراف على شئون وزارته ويقوم بتنفيذ السياسة العامة ، وهي التي يضعها رئيس الجمهورية (م ٤٦ ، ٤٧) .

واضافة للتأكيد على أن النظام رئاسي ، فقد نص الدستور المؤقت على أن رئيس الجمهورية هو القائد العام للقوات المسلحة ، وله حق اعلان حالة الطوارئ ، واصدار القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة والاشراف على ادارتها ، وله حق ابرام المعاهدات واصدار أي تشريع او قرار يدخل اصلا في اختصاص مجلس الأمة ، وذلك اذا دعت الضرورة الى ذلك في حالة غياب المجلس (المواد من ٥٣ الى ٥٧) .

ولكن الا يمثل المجلس التنفيذي في كل اقليم حكومة قائمة بذاتها ؟ (١)

نصت المادة (٥٨) من الدستور المؤقت ان ج ع م تتكون من اقليمين هما : مصر وسورية ، ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية يختص بدراسة وفحص الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم .

ويتضح من النص السابق ان اختصاص المجلس التنفيذي لكل اقليم من الاقليمين قاصر على دراسة وفحص الموضوعات التي تتعلق بمجرد تنفيذ السياسة العامة للاقليم دون ادنى اشتراك في وضعها لاستقلال رئيس الدولة ، رئيس الجمهورية ، في هذا الأمر ، وذلك تطبيقاً لما نصت عليه المادة (٤٧) من الدستور ، حيث قضت باختصاص رئيس الدولة وحده في وضع السياسة العامة " مما يمنع اعتبار المجلس التنفيذي لكل اقليم من اقليمي الجمهورية بأنه مجلس للوزراء واختفاء هيئة مجلس الوزراء بالمعنى القانوني للمفهوم ".(٢)

أما الوزراء فاختصاصهم مجرد تنفيذ السياسة العامة في حدود وزاراتهم ، هذه السياسة التي يستقل بوضعها رئيس الجمهورية وحده .

---

(١) د . سليمان الطماوي : مرجع سابق ، ص ٤١٠ ـ ٤١١ .

(٢) د . محمد خليل ، مرجع سابق ، ص ٤٥٩ . ويراجع كتاب صبحي محمصاني : (الاوضاع التشريعية في البلاد العربية) (دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٢) ص ٢١٢ ومابعدها .

ثالثاً — مظاهر النظام البرلماني في الدستور المؤقت :

ان مجرد قيام علاقة متبادلة مابين السلطتين التشريعية والتنفيذيــة انما هي من مظاهر النظام البرلماني(١). لذلك ، فان الدستور المؤقت قد أخذ ببعض مظاهر النظام البرلماني حيث أقام علاقة متبادلة بين كل من السلطتين التشريعية والتنفيذية .

ظهرت هذه العلاقة في عدة مجالات :

١) رئيس السلطة التنفيذية (رئيس الجمهورية) هو الذي يقوم باختيار أعضاء مجلس الأمة (م ١٣) .

٢) وهو الذي يدعو مجلس الامة للانعقاد ويفض دورته (م ١٧) .

٣) وله حق أقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها (م ٥٠) .

٤) وله حق حل مجلس الأمة (م ٣٨) .

ماسبق هو علاقة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية ، اما العلاقة العكسية ، أي علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية فلها عدة مجالات :

١) يتولى مجلس الامة مراقبة اعمال السلطة التنفيذية (م ١٤) .

٢) يجوز لكل عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يوجه الى الوزراء اسئلة واستجوابات (م ٤٣) .

٣) لمجلس الأمة ابداء رغبات أو اقتراحات للحكومة في المسائل العامة (م ٢٦) .

٤) يجوز طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأي فيه (م ٢٥) .

٥) اذا ماقرر مجلس الامة عدم الثقة بأحد الوزراء عليه اعتزال منصبه الوزاري (م ٣٩) .

ومعنى هذا ان الدستور المؤقت قد قرر المسئولية السياسية الفردية لكل وزير على حدة امام مجلس الأمة دون امكان اثارة المسئولية التضامنية لمجلس الوزراء ككل . وذلك نتيجة طبيعية لعدم اخذ الدستور بنظام مجلس الوزراء(٢) .

---

(١) د . طعيمه الجرف : مرجع سابق ، ص ٤٧٣ (الفقرتين أ و ب) . كذلك كتاب د . سليمان الطماوي بخصوص رئيس الجمهورية والوظيفة التشريعية ، مرجع سابق ص ٣٩٨ وص ٥٢١ .

(٢) د . طعيمة الجرف مرجع سابق ، ص ٤٧٤ (فقرة جـ) .

رابعا - نواب رئيس الجمهورية :

نصت المادة (٤٦) من الدستور المؤقت على أن " لرئيس الجمهورية أن يعين نائبا لرئيس الجمهورية أو اكثر ، ويعفيهم من مناصبهم " .

ويثور بهذا الخصوص عدة ملاحظات :

١) لم يضع الدستور قواعد تحكم منصب نائب رئيس الجمهورية ، ولم يستلزم أى شرط يجب توافره فيمن يعين بهذا المنصب .

٢) لم يحدد الدستور اختصاصات نواب رئيس الجمهورية .

٣) وبالنتيجة لذلك فان نواب رئيس الجمهورية يعتبرون فى حكم المساعدين للرئيس صاحب الاختصاص الفعلى فى ميدان السلطة التنفيذية (١)

خامسا - الوزراء (٢) :

يلاحظ على مهام الوزراء مايلى :

١) ان الوزراء مجرد مساعدين لرئيس الجمهورية .

٢) بما أن للرئيس حق تعيينهم واعفائهم من مناصبهم فان مسئوليتهم السياسية أمامه مباشرة (م ٤٧) .

٣) لم يشترط أى شرط فيمن يعين بمنصب الوزارة .

٤) اختصاصات الوزراء تنحصر فى مجرد الاشراف على شئون وزاراتهم وتنفيذ السياسة العامة التى يضعها رئيس الجمهورية كل فى مجال اختصاصه (٣) .

ومن الناحية التطبيقية ، صدر فى ٦ مارس سنة ١٩٥٨ قرار من رئيس الجمهورية بتعيين نواب لرئيس الجمهورية ووزراء تنفيذيين للاقليمين المصرى والسورى وكذلك وزراء مركزيين .

وبمقتضى القرار السابق أصبح للجمهورية العربية المتحدة نوعين من الوزارات

---

(١) د . سليمان الطماوى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١١ .

(٣) انظر الملحق رقم ٣/ بخصوص محاكمة الوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة

١) وزارات موحدة : يشمل اختصاصها اقليمي الجمهورية معا ، وتمارس اختصاصها على صعيد الجمهورية باقليميها . مثل وزارات الحربية والصناعة والخارجية والاوقاف والارشاد القومي والتربية والتعليم . ولكل وزارة وزير واحد تختص وزارته بشئون الاقليمين معا .

٢) وزارات مزدوجة : وهي التي لم يشمل اختصاصها اقليمي الجمهورية بل تختص كل وزارة بمصلحة خاصة في اقليم واحد فقط . ولكل مصلحة وزارتين متماثلتين اختص كل اقليم من اقليمي الجمهورية بواحدة منها ، فعنيت احداهما بشئون الاقليم المصري والأخرى بشئون الاقليم السوري . واستتبع ذلك وجود وزيرين لكل من هذه الوزارات . وهي : الداخلية ، الشئون الاجتماعية والعمل ، الصحة العمومية ، العدل ، الاشغال العمومية ، الاقتصاد والتجارة ، الخزانة ، الشئون البلدية والقروية ، المواصلات والزراعة (١)

سادسا — المجلسين التنفيذيين :

صدر في ٣١ مارس عام ١٩٥٨ قرار من رئيس الجمهورية بتشكيل مجلس تنفيذي في كل اقليم من اقليمي الجمهورية يتكون كل منهما من نواب رئيس الجمهورية والوزراء في كل اقليم .

وبالنسبة لاختصاص المجلسين التنفيذيين ، لم يخرج القرار السابق عن مضمون المادة (٥٨) من الدستور المؤقت التي تنص على دراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم دون أن يكون لهذين المجلسين حق وضع السياسة العامة (٢).

---

(١) راجع بهذا الخصوص المبحث الاول في الفصل الثاني من هذا الباب حيث سجلنا الوزارات المركزية والتنفيذيتين .

(٢) انظر الهامش السابق .

٤) التكييف القانوني لنظام الدولة الاتحادى

تنقسم الدول من حيث تكوينها الى قسمين : الدول البسيطة والدول المركبة •
والاولى هى التى تنفرد بادارة شئون الخارجية والداخلية هيئة أو سلطة واحدة • ويقرر
غالبية فقهاء واساتذة القانون الدولى ان معظم الدول هى من النمط البسيط [1]
اما الدول المركبة فهى التى تتكون من اجتماع أكثر من دولة أو ولاية قائمة بذاتها تحت
سلطة حكومة مشتركة أو تحت حكم رئيس أعلى واحد • ويسمى الاستاذ الدكتور محمد حافظ
غانم هذا النوع من الدول بأنه (اتحاد دولى) وهو الذى يتكون من اتحاد أكثر من
دولة ترتبط معا برابطة الخضوع لسلطة مشتركة والجمهورية العربية المتحدة تندرج
تحت هذا التعريف الواسع •

ويتميز الاتحاد الدولى بالتالى :

أ ـ وجود نظام قانونى داخلى لكل عضو فى الاتحاد مع وجود نظام قانونى مشترك يسرى فى حق جميع اعضاء الاتحاد • وهذه الميزة كانت موجودة فى الجمهورية العربية المتحدة حيث تأخر الى حد ما ، ظهور التشريعات التى تدمج نشاطات الدولة باقليميها كليا •

ب ـ وجود حكومات لكل عضو الى جانب الاجهزة او السلطات الاتحادية • ويمكن اعتبار المجلسين التنفيذيين بمثابة حكومة لكل عضو الى جانب الحكومة المركزية •

جـ ـ وجود تقسيم للاختصاص بين حكومات الدول الاعضاء وبين اجهزة أو سلطات الاتحاد • ولقد ظهر تقسيم للاختصاص بموجب قانون يحدد عمل واختصاص المجلسين التنفيذيين والحكومة المركزية •

والتقسيم السابق مفروض على الجميع ويجب اتباعه ولا يجوز تعديله الا بالاسلوب الذى يقرره اعضاء الاتحاد [2] •

---

(١) راجع د • على صادق أبو هيف : القانون الدولى العام (منشأة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٠) ص ١١٩ ، ود • محمد حافظ غانم • مبادئ القانون الدولى العام (مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٤) ص ٢٤٤ ، ود • بطرس بطرس غالى ود • محمود خيرى عيسى المدخل فى علم السياسة (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩ والطبعة الثالثة ١٩٦٦) ص ٤٩٧ ، ود • الشافعى محمد بشير : مرجع سابق ، ٩٦ ـ ١٠ •

(٢) د • محمد حافظ غانم ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥ •

يمكن تصنيف الجمهورية العربية المتحدة على أنها دولة مركبة ، وذلك اعتمادا على ماسبق وبيناه من عناصر تكوين الدول المركبة • ولكن الدول المركبة تنقسم بدورها الى اقسام ، فالى أى نوع من اقسامها تنتسب الجمهورية العربية المتحدة •

يقدم لنا فقه القانون الدولى الانواع التالية من الاتحادات الدولية :

١) دول الاتحاد الشخصى
٢) دول الاتحاد الفعلى أو الحقيقى
٣) دول الاتحاد التعاهدى ، وهذه بدورها تنقسم الى :

أ — الاتحادات أو الدول المتعاهدة
ب — الاتحاد او الدولة الاتحادية

ودول الاتحاد الشخصى هى التى تتكون من اجتماع دولتين تحت عرش واحد مع احتفاظ كل منهما باستقلالهما الداخلى والخارجى • اما دول الاتحاد الفعلى فهى التى تتكون من اتحاد دولتين او اكثر وتؤلف اتحادا دائما تحت حكم رئيس واحد وتخضع لهيئة واحدة فيما يتعلق بالشئون الخارجية مع احتفاظ كل منها بادارة شئونها الداخلية •

وتتكون دول الاتحاد التعاهدى من انضمام عدة دول بعضها الى بعض بمقتضى معاهدة او اتفاق فى شكل اتحاد أو تعاهد لرعاية المصالح المشتركة بينها ، فيلتزم الاعضاء على تحقيق اهداف معينة واحترام بعض المبادئ • كما تنشىء المعاهدة هيئات مشتركة تتكون من ممثلين عن الدول الاعضاء للاشراف على تنفيذها وتتمكن هذه الهيئات ايضا من الاشراف على سياسة حكومات الدول الاعضاء •

وبما أن دول الاتحاد التعاهدى تنقسم الى قسمين فان تعريف كل منهما يؤدى الى اختلاف فيما بين الدول المتعاهدة والدولة التعاهدية •

ففى الدول المتعاهدة يحتفظ كل من الدول الاعضاء فى الاتحاد بكامل سيادتها الداخلية والخارجية • وتتكون هيئة مشتركة تضم ممثلين لهذه الدول للتشاور فى السياسة العامة للاتحاد واتخاذ قرارات بشأنها تبلغ الحكومات الاعضاء لتنفيذها بمعرفتها (١) وهذا لم يكن موجودا فى الجمهورية العربية المتحدة •

---

(١) الدكتور الاستاذ أبو هيف ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ •

أما الدولة التعاهدية فتنزل فيها الدول الداخلة فى الاتحاد عن كل سيادتها الخارجية وعن بعض سيادتها الداخلية الى الهيئة المركزية التى ينشئها التعاقد . وتعتبر هذه الهيئة حكومة بالمعنى الصحيح ومستقلة عن حكومات الدول الاعضاء ومسيطرة عليها وعلى رعاياها بصفة مباشرة (١) ، أما الجمهورية العربية فقد نزلت الدولتان الداخلتان فيها عن كل سيادتهما الداخلية لا " بعض " هذه السيادة . وهذا ما يجعل الدولة الجديدة تختلف فى بعض عناصر تكوينها من الدولة التعاهدية كما سنرى فيما بعد .

يدلنا ماسبق على مدى التمايز والاختلاف فى تعريف الاتحادات وتحديدها بدقة علمية وحصرها ضمن اطار موحد فى الفقه الدولى . فالخبرة العملية هى التى أملت تلك التعريفات أولا وأخيرا وذلك لتطبيقها على أنواع الاتحادات التى قامت فى العالم حتى اليوم . واثبات ان هذا النوع او ذلك التعريف ينطبق على اتحاد أو آخر انما هو عمل من الاجتهاد الشخصى البحت وان حددت جوانبه معطيات تعارف عليها الفقه الدولى فى حصره هذا الاتحاد أو ذاك فى نوع أو آخر من الاتحادات .

على أن أهم مايقال فى هذا المجال هو ما ذهب اليه الدكتور محمد حافظ غانم من القول بقصور النظرية التقليدية عن مواجهة الصور الجديدة للاتحادات الدولية . ثم يضيف قائلا " وكيفما قلبنا النظر فى تجارب الانسانية فى باب الاتحادات الدولية وكلما امعنا التفكير فى تلك الظاهرة من حيث اصلها وتطبيقاتها ، نجد أن كل اتحاد دولى ، يقوم على التوفيق بين مجموعتين من العناصر : الأولى موحدة والأخرى انفصالية .

أ- ونعنى بالعناصر الموحدة : جميع العوامل والظروف التى ترمى الى تحقيق الانسجام والارتباط بين أفراد هيئة معينة ، فتقوم بتنظيم المجموع على نمط واحد يخضع لقواعد عامة متحدة .

---

(١) المرجع السابق : ١٢٤ ، والجدير بالذكر هنا أن الدكتور الشافعى محمد بشير يعارض التقسيم السابق لأنواع الدول والاتحادات على أساس انها أصبحت تقليدية وتاصنوة عن شمول أنواع جديدة من الاتحادات من ناحية ، وان اسماء الاتحادات فى النظرية التقليدية وخاصة فى لغتها العربية المتداولة فى الفقه الذى ، ليست سليمة ولا تنبع من المعنى الحقيقى للاتحاد . ولهذا فكثيرا ما نرى خلطا بين المسميات ص ١٢ ، ١٣ .

ب – ونشير بالعناصر الانفصالية الى جميع العوامل والظروف التى تبرز الحياة الخاصة لجزئيات تلك الهيئة وتعمل على اقرارها وتمييز كل منها عن الباقين .

وحسبما يتم التفاعل والارتباط بين هاتين المجموعتين من العوامل وفقا لظروف الزمان والمكان يتميز كل اتحاد عن غيره ، وتكون له طبيعته الخاصة وشكله المعين . فتنظيم الاتحاد الدولى يبدو فى نظرنا كأن السعى اليه ايجاد توازن بين العوامل السالفة الذكر ، والى التوفيق بين اختصاصات الجماعات الأصلية وبين تلك التى يجب أن تؤول الى الهيئات الاتحادية التى تلم شمل المجموع ....

ولعل من ابرز امثلة الصراع بين العوامل الموحدة والعوامل الانفصالية ما يدور الآن فى علاقات الدول العربية . فالقومية العربية ، والتضامن العربى فى مواجهة الاستعمار والخطر الصهيونى ، والاحتياجات الاقتصادية تدفع الدول العربية الى الاندماج فيما بينها . وعلى النقيض من ذلك تشكل الجنسيات المحلية ، والمطامع الاقتصادية المحلية ، والرجعية المحلية ، والنفوذ الاجنبى والرغبة فى المحافظة على انظمة الحكم الوطنية حركة انفصالية عملت على عرقلة وتأخير الوحدة العربية (١)

قلنا بأن الدولة الاتحادية تتكون من مجموعة من الدول انضم بعضها الى بعض بموجب دستور يشكل اتحادا دائما ، تسوده هيئة مركزية تتولى سلطتها بطريقة مباشرة على كل من حكوماتها الدول المكونة للاتحاد وعلى رعاياها .

ويترتب على قيام هذه الرابطة عدة نتائج أهمها :

اولا – الاتحاد يمس استقلال الدول الاعضاء التى انضمت اليه ، اذ تفقد شخصيتها الدولية لتكون كلها شخصا دوليا واحدا . والاتحاد الذى قام بين جمهورية مصر وجمهورية سوريا لم يمس استقلالهما فقط بل افنى هذا الاستقلال فى سيادة موحدة تحت اسم (الجمهورية العربية المتحدة) .

ثانيا – ترتكز الشخصية الدولية فى الهيئة المركزية للدولة الاتحادية .

---

(١) الدكتور محمد حافظ غانم ، مرجع سابق ص ٢٤١ – ٢٤٤ . وراجع كتاب د . بطرس غالى ود . خيرى عيسى ، مرجع سابق ، ص ٥٢٩ .

ولذلك عدة نتائج هامة :

أ — للدولة الاتحادية تمثيل دبلوماسى واحد .

ب — حق ابرام المعاهدات الدولية مقصور على الحكومة المركزية .

ج — حق اعلان الحرب مقصور على الحكومة المركزية .

د — تقع المسئولية الدولية على عاتق الحكومة المركزية دون الدويلات .

وكانت كل هذه العناصر متعلقة بالحكومة المركزية فى الجمهورية العربية المتحدة .

ثالثا — للولايات الاعضاء فى الدولة الاتحادية جنسية واحدة .

رابعا — دستور الدولة الاتحادية هو الذى ينظم العلاقات بين الولايات وبعضها وبينها وبين الهيئة المركزية او الحكومة المركزية .(١)

وهناك سلطات ثلاث يناط بها عادة ادارة شئون الدولة ، وهذه السلطات لا تشذ عن القاعدة العامة المعروفة فى الدول البسيطة وهى :

١) السلطة التشريعية الاتحادية . انها وان اختلفت مسمياتها الا أنها تختص بالتشريع .

٢) السلطة التنفيذية الاتحادية . وهذه تتكون من رئيس الدولة وحكومة الاتحاد . وهناك هيئات أخرى تناط اليها السلطة التنفيذية ، كما حصل فى الجمهورية العربية المتحدة حيث وجد مجلسان تنفيذيان ، احدهما فى اقليم مصر والآخر فى اقليم سوريا .

والحكومة الاتحادية تنفذ القرارات والقوانين الاتحادية . ولها طريقان فى ذلك :

أ — أسلوب الادارة المباشرة ، بأن تنشئ الحكومة الاتحادية ادارات خاصة لها فى مختلف الولايات ، وتكون تابعة لها مباشرة .

ب — اسلوب الادارة غير المباشرة : وهو أن تعتمد الحكومة المركزية على ادارة الحكومات المحلية فى تنفيذ القوانين الاتحادية ، وتكتفى بأن تتولى الرقابة .

---

(١) د . غالى ود . عيسى : مرجع سابق : ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .

٤) السلطة القضائية : وغالبا ما تتكون من محكمة عليا ينتخب اعضاؤها بمعرفة السلطة التشريعية . ومن أهم اختصاصاتها :

أ - فض المنازعات التي قد تقع بين الاقاليم التي يتكون منها الاتحاد .

ب - فض المنازعات التي قد تقع بين الأقاليم والحكومة الاتحادية .

جـ - مراقبة دستورية القوانين الاتحادية والقوانين التي تصدرها الهيئات التشريعية لمختلف الاقاليم (١) وهذه السلطة القضائية لم تكن موجودة في الجمهورية العربية المتحدة .

وتوزيع السلطة بين الهيئة المركزية والهيئات الاقليمية لها طرق ثلاث :

١) بأن ينص الدستور على حصر ما يدخل في اختصاص الهيئة المركزية ، وما يدخل في اختصاص الاقاليم او الولايات .

٢) بأن ينص الدستور الاتحادي على حصر ما يدخل في اختصاص الأقاليم او الولايات ، وما لم يتناوله الحصر والتحديد يكون من اختصاص الهيئة المركزية .

٣) بأن ينص الدستور على اختصاص الهيئة المركزية على سبيل الحصر والتحديد ، ويترك باقي الاختصاصات التي لم تدخل في حصره للأقاليم والولايات .

فكيف يمكن تصنيف النظام الاتحادي للجمهورية العربية المتحدة على أساس من التقسيمات والتعريفات السابقة لانواع الدول الاتحادية ، بمعنى الدولة المركبة ، خاصة اذا ما استعرضنا الدستور الموقت الذي صدر في الخامس من مارس عام ١٩٥٨ ، والقوانين الاتحادية التي صدرت تنظم العلاقة بين الاقليمين المصري والسوري بما فيها علاقة الافراد والهيئات والمجالس التنفيذية بالحكومة الاتحادية أي المركزية . وهل يمكن وضع الجمهورية العربية المتحدة ضمن نوع معين من الدول المركبة ام هي نوع فريد ؟

سيكون دليلنا في الاجابة على التساؤلات السابقة الدستور الموقت وأهم القوانين الاتحادية المنظمة لدولة الوحدة .

قلنا أن ما يترتب على قيام الدولة الاتحادية عناصر أربعة (٢) ، فهل جاء الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة على ذكر هذه العناصر ؟

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٩ - ٥٣٢ .

(٢) نفس المرجع . هذا وان اطلقنا على الجمهورية العربية المتحدة بأنها دولة اتحادية تجاوزا ، الا أننا لم نحدد من أي انواع الاتحادات هي ، وذلك لاننا سنناقش نوع الاتحاد خلال الصفحات القادمة .

لقد مس الدستور الموقت استقلال الدول الداخلة فى الاتحاد ، لا بل الغى هذا الاستقلال عندما أعلن مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى بتاريخ الخامس من فبراير عام ١٩٥٨ موافقتهما على " تحقيق قيام الدولة العربية المتحدة تنفيذا لارادة الشعب العربى فى سوريا ومصر " ، وكذلك عندما اعلن رئيس الجمهورية السورية أمام مجلس النواب عن عزمه الانسحاب من رياسة الجمهورية وقرر ان يرشح الرئيس جمال عبدالناصر لرياسة ج ع م • وقد جاءت قمة هذا الافناء لسيادة الدولتين عندما نص الدستور الموقت فى مادته (٥٨) على أن " تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : مصر وسورية .. " •

والعنصر الثانى فى الدولة الاتحادية هو تركيز الشخصية الدولية فى الهيئة المركزية للاتحاد لقد جاءت المادة (٤٤) من الدستور الموقت لتقرر هذا العنصر " يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ،ويمارسها على الوجه المبين فى هذا الدستور " اما بخصوص الوزراء فقد قررت المادة (٤٧) انه " يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم " • ورئيس الجمهورية هو الذى يبرم المعاهدات وهو الذى يعلن حالة الطوارئ • ثم هناك المجلسين التنفيذيين لكل من مصر وسوريا " يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويختص بدراسة وفحص الموضوعات التى تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للأقليم " •

نرى مما سبق ان رئيس الجمهورية هو رئيس السلطة التنفيذية المنوط بها تنفيذ السياسة الخارجية والداخلية للدولة • وبما أن السيادة الفعلية لكل من مصر وسوريا قد زالت بظهور نتيجة الاستفتاء على الوحدة وصدور الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة فمن الطبيعى ان يتوحد التمثيل الدبلوماسى وان يصبح من اختصاص السلطة التنفيذية التى هى السلطة المركزية ، حق ابرام المعاهدات واعلان الحرب • وان مايستتبع هذه السلطات بالضرورة هو وجوب وقوع المسئولية الدولية على الحكومة المركزية (١).

والعنصر الثالث متعلق بجنسية الدولة الاتحادية وضرورة جعلها جنسية واحدة • وهذه متوفرة فى الجمهورية العربية المتحدة اذ نصت المادة (٢) من الدستور الموقت على أن " الجنسية فى الدولة المتحدة يحددها القانون ،ويتمتع

---

(١) اما الدكتور الشافعى محمد بشير فيعارض هذا الرأى قائلا : " ومن هذا العرض للسلطة التنفيذية فى الجمهورية العربية المتحدة ، يبين ان نظام هذه الجمهورية لا يكفل الأساس الاول للدولة الاتحادية وهو ضمان الاستقلال الذاتى لاقليمى الجمهورية فى شئونهما المحلية " مرجع سابق ، ص (٣٢)

بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية او المصرية ، أو يستحق أى منهما بموجب القوانين والاحكام السارية فى سورية ومصر عند العمل بهذا الدستور " .

والعنصر الرابع هو الذى يقرر بأن دستور الدولة الاتحادية هو الذى ينظم العلاقات بين الولايات أو الأقاليم بعضها ، وبينها وبين الهيئة أو الحكومة المركزية .

هنا نسجل على الدستور المؤقت انه خلا من تنظيم هذه العلاقة وان ذكرها بطرق غير مباشرة مرات عديدة . ولهذا أسباب عديدة . اولها أن الدستور يحمل طابع التوقيت " يعمل بهذا الدستور المؤقت الى حين اعلان موافقة الشعب على الدستور النهائى للجمهورية العربية المتحدة " (م ٧٣) .

ومن ناحية أخرى فقد ذكر الدستور المؤقت فى بابه السادس (احكام انتقالية وختامية) ان كل ماقررته التشريعات المعمول بها فى الاقليمين عند العمل بالدستور المؤقت ، تبقى سارية فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها . ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها وفقا للنظام المقرر بهذا الدستور . وكذلك لا يترتب على العمل بالدستور المؤقت الاخلال بالمعاهدات والاتفاقات الدولية المعقودة بين كل من مصر وسورية وبين الدول الأجنبية (٦٩٢) .

ثم يأتى قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم (١٣٦٩) لسنة ١٩٥٨ فى شأن اختصاصاتها ونظام العمل فى الحكومة المركزية والمجلسين التنفيذيين . الم يكن من الأفضل ان ينص على نظام العمل المذكور فى الدستور المؤقت حتى تتحدد الاختصاصات بشكل دستورى ، ام أن السرعة التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة ودستورها المؤقت لم يتركا مجالا لهذا التفصيل والاسهاب ؟

كانت تلك أهم المواد التى جاءت فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، فهل تدل تلك القرائن على مركز الجمهورية العربية المتحدة من حيث كونها دولة بسيطة أو دولة مركبة ؟ واذا كانت مركبة فالى أى نوع من أنواع الدول المركبة تنتسب ؟

ان تقديم المزيد من القوانين الصادرة عن رئيس الجمهورية ربما تعطى صورة اكثر وضوحا وتحدد ابعاد الحكم وطبيعة النظام الاتحادى الذى قام بين مصر وسورية فى عام ١٩٥٨ .

١) القانون رقم (١) لسنة ١٩٥٨ والخاص بادخال بعض التعديلات على التشريعات القائمة فى اقليمى مصر وسورية . وأهم احكام هذا القانون هى أن يتولى رئيس الجمهورية جميع الاختصاصات التى تعهد بها التشريعات المعمول بها فى اقليمى مصر وسورية الى رئيسى الدولتين سابقا أو مجلسى الوزراء السابقين .

٢) القانون رقم (٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن حل الاحزاب والهيئات السياسية فى الاقليم السورى على أن تؤول اموالها الى الاتحاد القومى .

٣) القانون رقم (٤) لسنة ١٩٥٨ بشأن توحيد الامانتين العامتين لرياسة الجمهورية أو مجلس الوزراء فى الاقليم السورى .

٤) القانون رقم (١٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن العلم الوطنى .

٥) القانون رقم (٥٤) لسنة ١٩٥٨ بشأن توحيد التسميات العسكرية .

٦) القانون رقم (٧٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن الاعفاءات الجمركية التى تمنح للمواطنين عند تنقلهم بين اقليمى الجمهورية .

٧) قرار رئيس الجمهورية رقم (١٢٩٩) لسنة ١٩٥٨ بشأن تأليف الحكومة المركزية .

٨) قرار رئيس الجمهورية رقم (١٣٠١) لسنة ١٩٥٨ بشأن تأليف المجلس التنفيذى للأقليم المصرى .

٩) قرار رئيس الجمهورية رقم (١٣٠٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن تأليف المجلس التنفيذى للأقليم السورى .

الى هذا المدى هل نستطيع الحكم على مركز ج ع م من حيث كونها دولة بسيطة او مركبة ؟

هناك اتجاهان بهذا الخصوص :

الاول : يعتبر ان الجمهورية العربية المتحدة تعتبر دولة بسيطة ..

والثانى: يعتبرها دولة مركبة .

اما انصار الذين يعتبرونها دولة بسيطة فيقولون بهذا الرأى وسندهم الحجج التالية :

١) الانفصال الجغرافى بين اقليمى الجمهورية لا ينافى كونها دولة بسيطة • فمثلا هناك العديد من الدول يفصل اقاليمها عن بعضها آلاف الأميال ومع ذلك فهى دول بسيطة •

٢) للاقليمين هيئة حاكمة واحدة تتمثل فى رئيس واحد ، وبرلمان واحد (١) وكل ذلك من خصائص الدولة البسيطة •

٣) كافة القوانين الاتحادية ترمى الى اندماج الاقليمين اندماجا تاما (٢) •

اما من يقولون انها دولة مركبة فحججهم فى ذلك :

١ • فى تسمية الدولة الجديدة باسم " الجمهورية العربية المتحدة " دليل على أنها أخذت بالنظم الاتحادية التى هى من اركان الدولة المركبة ••

٢ • سجل الدستور المؤقت هذا التركيب قائلا : " تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : مصر وسورية " (م ٥٨) •

٣ • لكل من الاقليمين وزارة تنفيذية تتولى كل ما يختص باقليمها • وللدولة البسيطة وزارة واحدة • وفى نفس الوقت لا يمكن تعيين الوزراء التنفيذيين الا بموافقة رئيس الجمهورية • والقوانين والقرارات التى يتخذها المجلس التنفيذى هى تنفيذ للسياسة العامة التى ترسمها الوزارة المركزية • وهذا يؤيد الرأى القائل بأن الجمهورية العربية المتحدة هى دولة مركبة •

٤ • لكل من الاقليمين ميزانية خاصة بموجب المادة (٧٠) من الدستور المؤقت (٣) •

المناقشة السابقة من الناحية النظرية والشكلية البحتة • اما عمليا فلقد كانت الجمهورية العربية المتحدة دولة مركبة وان خلت منها بعض الشروط الواجب توافرها

---

(١) وهذا ما ذهب اليه د • الشافعى محمد بشير حيث قال : " واذ يوجد مجلس واحد فقط للسلطة التشريعية فى الدولة ، فانه قد انعدم الأساس الثانى للدولة الاتحادية وهو ازدواج السلطة التشريعية • " ص ٣٢٢ •

(٢) د • غالى ، د • عيسى ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ •

(٣) د • بطرس غالى ، المرجع السابق ص ٥٧٧ •

في الدولة التعاهدية • مثل المحكمة الاتحادية العليا والحكومات المحلية التي لا يعينها رئيس السلطة المركزية باعتباره رئيس الدولة •(٢)

على أن خير ما ننهي به هذا البحث هو الرأي الذي ذهب اليه استاذنا الدكتور بطرس غالي حين قال بأن الدستور المؤقت والقوانين التي صدرت أيام الوحدة لا تعطي صورة محددة لطبيعة ونوع الاتحاد الذي تم عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا ، وذلك على أساس من المقاييس التقليدية للاتحادات المعروفة في العالم • " لقد عقب البعض على قيام هذه الدولة بأنه يظهر من العسير ان لم يكن من سبق الحكم على الأمور تحديد نمط الاتحاد أو الجماعة التي تنتمي اليه الجمهورية العربية المتحدة أو محاولة وضعه موضعا معينا ، فالعصر الحاضر شهد امتدادا في افق جماعات الدول اتسع لاكثر من شكل من اشكالها لم يكن له نظير من قبل في الجماعة الدولية • ويبدو ان الجمهورية العربية المتحدة عندما يصدر دستورها النهائي ستنتمي الى نمط جديد(٢) •

وهذا ما ذهبنا اليه فعلا حين قررنا بأن الجمهورية العربية المتحدة وان كانت دولة اتحادية ، الا أنه لا يمكن تحديد من أي انواع الاتحادات هي ، وان خرجت عن الاتحاد الشخصي او الاتحاد الفعلي خروجا تاما • ففي الأسس التي قامت عليها الدولة ، وفي دستورها المؤقت ، وفي القوانين التي اصدرها رئيس الجمهورية بخصوص نظام العمل واختصاصات المجلسين التنفيذيين والحكومة المركزية ، في كل هذا بعض عناصر الدولة الاتحادية ، او معظمها ، ولكنها لا تدل دلالة حازمة وباته على أي نوع من الاتحادات هي ، وهذا ما يؤيد ما ذهبنا اليه (الفقرة " ١ " من هذا البحث) على ان الاتحاد

---

(١) سيظهر لنا تأييد هذا الرأي واضحا ، وذلك من خلال متابعتنا للاعمال التي قامت بها الجمهورية العربية المتحدة في سنوات الوحدة ، وكيف كانت تتصرف الحكومة التنفيذية في سوريا ، وماهي حدود علاقتها بالحكومة المركزية •

(٢) مقال الدكتور الاستاذ بطرس بطرس غالي في (المجلة المصرية للقانون الدولي ، ١٩٥٨) ص ١٣٤ •

الذى قام بين مصر وسوريا هو (وحدة اندماجية) . وهذا النوع لم نعرف له مثيلا فى تاريخ الاتحادات ولا فى الاتحادات التاريخية بل ان هذه الوحدة الاندماجية هى " نمط جديد " كل الجدة خاصة اذا ما تذكرنا ان كل النظام الاتحادى للجمهورية العربية المتحدة قد تغير تغيرا جذريا فى شهر اغسطس ١٩٦١ عندما الغى المجلسان التنفيذيان والحكومة المركزية ، واصبح للدولة حكومة واحدة ، هى الحكومة الموحدة . هنا أصبح الاندماج كليا والفناء تاما . فهل يمكن القول عند ذلك ان الجمهورية العربية المتحدة أصبحت دولة بسيطة ؟ الراجح اننا ننظر الى أصل تكوين الدولة . وهذا ما ينفى كونها بسيطة حيث تكونت من دولتين افنيتا ذاتيهما فى دولة واحدة ذات سيادة واحدة متمايزة ومختلفة جذريا عن السيادتين السابقتين لكل من مصر وسوريا . وهذا ما جعلنا نقرر ان الدولة الجديدة هى نمط جديد من الاتحاد يمكن أن نطلق عليه (الاتحاد الاندماجى الكلى) (١) .

---

(١) على أن ما يجدر ذكره فى هذا المجال هى المسميات الجديدة التى يطلقها د . الشافعى محمد بشير فى كتابه (نظرية الاتحاد بين الدول) ، حيث أنه يقرر لعديد من الأسباب والاعتبارات ، ان الاتحاد الفيدرالى يجب أن يقابله اسم (الاتحاد الدستورى) ، لأن الأساس الذى انشئ بموجبه الاتحاد كان دستورا نظم العلاقة بين دولتين أو اكثر ، وبدل الدولة الفيدرالية يقول (الدولة الاتحادية) ، ص ١٤ ـ ١٦ . ويقابل الاتحاد الكونفيدرالى (الاتحاد التعاهدى) ، ذلك ان هذا الاتحاد نشأ بموجب معاهدة بين دولتين او أكثر ، وبدل الدولة الكونفيدرالية يقول (الدول المتعاهدة) ، ص ١٦ ـ ١٧ .

ومع هذا فان المؤلف اهمل ذكر الاتحادات التى تتقرر بموجب معاهدة بين دولتين او أكثر ثم تنشأ وتمارس مهامها الداخلية والدولية بموجب دستور او مبادئ أو اسس دستورية تقوم عليها كما حدث فى الجمهورية العربية المتحدة حين قيامها . فالى أى نوع من الاتحادات تنتسب هى ؟

المبحث الثاني

ردود الفعل التي أثارها قيام الجمهورية العربية المتحدة

قامت الجمهورية العربية المتحدة فتباينت ردود الفعل التي اثارتها في مناطق العالم . ما بين مؤيد ومعارض للدولة الجديدة اختلفت التعليقات والاصداء .

وسنرى في هذا المبحث ذلك التباين وهذا الاختلاف حين نتحدث عما آثاره قيام الجمهورية العربية المتحدة في المعسكرين الشرقي والغربي وفي الدول المحيطة بسوريا على وجه الخصوص .

ان الاعتراف بالدولة الجديدة وان حدث فعلا خلال بضعة أيام من اعلانها وقيامها قانونا الا أن الآثار التي خلفها قيامها قد تركت طابعها على منطقة الشرق الأوسط وعلى آسيا وافريقيا ، خاصة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن قيام الدولة الجديدة قد اعتبر ثورة من ضمن الثورات المختمرة في المنطقة . فهي قد قلبت موازين القوى في المنطقة مع ما لهذه من أهمية عالمية كبيرة . وكان من الطبيعي لذلك أن تكون الاصداء وردود الفعل مختلفة جدا ، خاصة اذا ما تذكرنا العوامل التي سقناها في القسم الاول من الرسالة ، تلك العوامل التي ادت ، في رأينا الى التعجيل بقيام الوحدة . لقد وضعت تلك العوامل مجتمعة ، ان خارجية وان داخلية ، امام الأمر الواقع ، فصدمت للنتائج التي انتهت اليها حالة سوريا في علاقتها مع مصر حين قامت الجمهورية العربية المتحدة من وحدة الدولتين .

وسنناقش في هذا المبحث مايلي :

١) الاعتراف بالدولة الجديدة .

٢) رأي الدول الغربية والمحيطة بسوريا في قيام الوحدة .

٣) رأي الشيوعية الدولية والمحلية في قيام الوحدة .

٤) الوحدة وقلب ميزان القوى في المنطقة .

أ ـ الانفراج النسبي حول سوريا .

ب ـ الاتحاد مع اليمن .

---

١) الاعتراف بالدولة الجديدة

بعد أن أعلن قيام ج ٠ع ٠م في أول فبراير عام ١٩٥٨ ، وبعد أن أقر البرلمان السوري ومجلس الامة المصري قيام الجمهورية العربية المتحدة والاسس التي قامت عليها ، قام السيد صلاح الدين البيطار ، وزير خارجية سوريا ، باخطار البعثات الدبلوماسية الاجنبية بنقل مقر وزارة الخارجية السورية من دمشق الى القاهرة[١] ٠ وبهذه الخطرة اعلن عمليا عن توحيد وزارة الخارجية في البلدين في وزارة واحدة ، مركزها القاهرة ٠

وما أن جرى الاستفتاء في الحادي والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨ وأعلنت نتيجته في اليوم التالي حتى بدأت الخطوات الرسمية لاعلام الامم المتحدة وجامعة الدول العربية بالخطوات التي تمت بين الدولتين ، مصر وسورية ، وبأنهما أصبحتا دولة متوحدة — ذات سيادة واحدة ، وهذه الدولة اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) ذات شخصية دولية واحدة مستقلة عن الشخصيتين السابقتين لمصر وسورية ٠

ففي ٢٤ فبراير عام ١٩٥٨ أعلمت وزارة خارجية الجمهورية العربية سكرتير عام الامم المتحدة بما يلي :

" ان الخطوة المتخذة ما بين مصر وسوريا في ٢١ فبراير ١٩٥٨ ، قد أوضحت ارادة الشعبين المصري والسوري بتوحيد بلديهما في دولة واحدة ، وان وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة له الشرف أن يعلم السكرتير العام للأمم المتحدة بقيام الجمهورية العربية المتحدة[٢] "

وفي ملاحظة أخرى من وزير خارجية الدولة الجديدة الى السكرتير العام للأمم المتحدة رجاه فيها أن يعلم اعضاء الأمم المتحدة بتاريخ أول مارس سنة ١٩٥٨ ان الجمهورية العربية المتحدة طلبت ان تعتبر عضوا واحدا في المنظمة الدولية[٣]. ذلك من ضمن رسالة موجهة من وزير خارجية ج ٠ع ٠م ٠ الى السكرتير العام في

---

(١) جريدة (الاهرام) في ١٩ / ٢ / ٥٨ ٠ وكان ذلك قبل أن يجري الاستفتاء على الوحدة وشخص رئيسها ٠

(٢)

(٣) المرجع السابق ٠

التاريخ المذكور. وبخصوص الامتداد الاقليمي للمعاهدات والاعتراف بها والالتزام حرفيا بما جاءت به من حقوق وواجبات فان وزير الخارجية قد ذكر ما جاء في المادة (٦٩) من الدستور المؤقت قائلا بأن الدولة الجديدة ستلتزم بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية التي ابرمتها كل من مصر وسورية مع الدول الأخرى ، وستبقى هذه المعاهدات والاتفاقيات ذات قيمة ضمن حدود تنفيذها الاقليمي على أساس من مبادئ القانون الدولي.(١)

ومن الناحية العملية نرى ان الجمهورية العربية المتحدة تمثل لأول مرة لدى الجامعة العربية بتاريخ ٢٣ فبراير عام ١٩٥٨ ، وذلك عندما اجتمعت اللجنة القانونية الدائمة برياسة السيد عوني عبد الهادي ، وممثلي الدول الاعضاء في الجامعة وعلى أثر اجتماع اللجنة اعلن ممثل الجمهورية العربية المتحدة قيام هذه الدولة الجديدة ، وقال بأنه يمثلها في هذه الاجتماعات.(٢)

وما أن قامت الجمهورية العربية المتحدة حتى كانت عضوية مصر قد انتهت قبلها من مجلس ادارة هيئة العمل الدولية ، وشغلت سوريا مركز عضو مراقب لمدة ثلاث سنوات اخرى : ومعنى هذا بعد الوحدة ان الجمهورية العربية المتحدة ستظل محتفظة بمقعدها في المجلس الدولي المذكور من ناحية ، ويعنى من ناحية أخرى انها بدأت تأخذ الاعتراف بها من المنظمات الدولية ووكالاتها المتخصصة.

اما اعترافات الدول بالدولة الجديدة فقد بدأت تباعا ، ولم يمض على ظهور الدولة الجديدة بضعة أيام حتى اعترفت بها غالبية الدول ، وتتابعت الاعترافات بالتدريج حتى شملت كل اعضاء الأمم المتحدة (٣) والصين الشعبية ايضا.(٤)

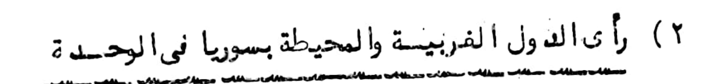
---

(١) نص المادة (٦٩) هو التالي : " لا يترتب على العمل بهذا الدستور الاخلال بأحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سورية ومصر وبين الدول الاجنبية. وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند ابرامها ، ووفقا لقواعد القانون الدولي ".

(٢) جريدة (الاهرام) في ١٩٥٨/٢/٢٤ .

(٣) تخرج اسرائيل من الاعتراف طبعا.

(٤) (الاهرام) المرجع السابق



٢) رأى الدول الغربية والمحيطة بسوريا فى الوحدة

اختلفت ردود الفعل التى ظهرت على اثر اعلان قيام دولة جديدة كبيرة فى الشرق الأوسط ، وانحصرت ردود الفعل تلك ما بين مؤيد ورافض للدولة الجديدة ، وان كان الاعتراف الدولى قد حصل من المؤيدين والمعترضين معا (١) .

ولم تقف ردود الفعل ، بالتأييد او الاعتراض ، عند حد الاعلان عن هذا الموقف او ذاك نظريا ، بل ان الأمر قد تعدى الى اتخاذ مواقف عملية تعمل الى جانب الدولة الجديدة او ضدها . ومنذ اللحظة الأولى لقيام الجمهورية العربية المتحدة بدأت حملات التشكيك ضدها ، ورافقت تلك الحملات الدعاية النفسية ضد الوحدة بغرض اضعافها من ناحية ، وبهدف قصر تلك الدولة عن ان تكون قوة ضاغطة على دول المشرق العربى ، فتتوسع الدولة الجديدة بانضمام دول اخرى اليها ، من هنا تركزت الدعايات على أن قيام الجمهورية العربية المتحدة هو عملية ابتلاع من دولة كبيرة لدولة صغيرة ، وان الدولة الجديدة استعمار وتسلط مصريين . ومنذ اليوم الاول لقيام الجمهورية العربية المتحدة واجهت الدولة الجديدة حملة عنيفة من الافتراءات يواكبها حملة اعنف من التشويش والتحريض ضدها (٢) .

كان أول ما لاحظه المعلقون الغربيون ان الوحدة بين مصر وسورية قد فتحت أعين الغرب على حقيقة الاوضاع فى الشرق العربى وعلى مدى النجاح الذى احرزه

---

(١) ان قضية اتخاذ مواقف سياسية معينة من قيام الجمهورية العربية المتحدة ، يختلف عن الاعتراف القانونى الدولى بوجود وقيام هذه الدولة . مثلا محاولة الملك سعود اقناع واغراء السيد عبد الحميد السراج بالاموال لضرب الوحدة فى اياما الاولى انما هى عملية رد فعل سياسى معين مختلفة جدا عن قضية الاعتراف بالدولة الجديدة . ان الاعتراف وان حصل علنا انما هى الآراء التى ظهرت تعبر عن الرأى العام العالمى بشكل عام من ناحية . وبعض المواقف العملية لقوى الاستعمار والامبريالية وانصارها فى المنطقة .

(٢) واجهنا حملة كبيرة من أول يوم من أيام الوحدة . من أول يوم قالوا بأن الوحدة تسلط مصرى . من أول يوم قالوا الوحدة استعمار مصرى ... " مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر لسنة ٦٠ - ٦٢ ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

الرئيس جمال عبدالناصر لدى شعوب منطقة الشرق الاوسط . فقد عقبت مجلة (الايكونوميست) على اعلان الجمهورية العربية المتحدة بقولها ان الرئيس عبدالناصر يريد من اتحاد مصر وسورية أن يؤكد للعرب أنه يمكن تحقيق الوحدة العربية التى يتطلعون اليها اذا وضعوها فوق مصالح الحكام الذاتية .

وقالت صحيفة (كومبا) الفرنسية ان الاتحاد بين مصر وسورية سيهدد الدول الغربية بالخطر لأن دولتى الاتحاد تسيطران على طريق ٩٠ ٪ من بترول الشرق الأوسط الذى تستخدمه بريطانيا (١).

على أن الآراء قد اختلفت فيما بين بعض المستشرقين الغربيين ، وخاصة الفرنسيين منهم والايطاليين . فبعد أن اعلن قيام الجمهورية العربية المتحدة فى ٢١ فبراير ١٩٥٨ ذهبت بعض المستشرقين الفرنسيين الى القول أن " الوحدة التى تمت بناء على طلب احد غلاة المدافعين عن استقلال سوريا (٢) بين بلدين ليست لهما حدود مشتركة تتبع كل منهما نظاما اقتصاديا منافسا للنظام الآخر اكثر منه مكملا له ، لاشك انها تثير الدهشة (٣) " ولكن كما لاحظ (باولومينياتى) احد المفكرين الايطاليين بأنه مهما بدت الوحدة بين مصر وسورية غير منطقية من الوجهة العملية فى نظر البعض ، فان فكرة هذه الوحدة مع ذلك تتضمن كل الفروض النظرية والعقائدية المسلم بها من قبل ، والواقع ان الدستور السورى الذى صدر فى ٥ سبتمبر ١٩٥٠ كان قد قرر " ان الشعب السورى الذى هو جزء من الامة العربية .. يتطلع الى اليوم الذى تجتمع فيه امتنا العربية فى دولة واحدة (٤) ".

---

(١) عن جريدة (الاهرام) فى ١ فبراير عام ١٩٥٨ .

(٢) يقصد به السيد شكرى القوتلى .

(٣) محمود كامل المحامى : القانون الدولى العربى (دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٥) ص ١٨ — ١٩ . نقلا عن بعض المستشرقين .

(٤) لمزيد من هذه الآراء وامثالها راجع كتاب محمود كامل المحامى المرجع السابق ص ١٨ ومابعدها ، وكتاب بييروندو (مستقبل الشرق الاوسط) حيث يقول فى ص ١٩٩ منه " فى فجر ١٩٥٨ تجسد التضامن العربى الذى كانت تؤيده موسكو وتخافه واشنطن فى قيام الوحدة بين مصر وسورية ، هذه الوحدة التى تأخر الغرب كثيرا كعادته للاقرار بأهميتها . ولقد قال احد المراقبين الايطاليين ، باولو مانفاتتى "واذا لم يكن لهذه الوحدة مايبررها ماديا ، ففيها كل الاستجابة للمشاعر والمبادئ التى تربط بين الشعبين السورى والمصرى " .

ويهمنا فى هذا المجال رأى الاستعمار والقوى الامبريالية العالمية وحلفائهما فى المنطقة .

فالوحدة ، وقد تجسدت فى دولة اسمها الجمهورية العربية ، قد أصبحت هدفاً مادياً لاعدائها . اما أن تبقى شعاراً يرفعه العرب فلا مانع لدى القوى الامبريالية ، ولكن أن تتحقق هذه الوحدة عملياً ، فهذا ما يهدد القوى الطامعة فى المنطقة ومصالحها (١).

وكان أول رد فعل عملى للقوى الامبريالية والاستعمارية انها دعت بتاريخ الثانى عشر من فبراير عام ١٩٥٨ ، وعلى لسان وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية ، للتشاور فيما بينهما لتقرير تجديد الاعلان الثلاثى الصادر فى عام ١٩٥٠ .

ولقد نشرت جريدة (نيويورك تايمز) الامريكية المتشيعة لاسرائيل ، صورة رمزية (كاريكاتورية) بتاريخ ٦ فبراير ١٩٥٨ ، هى عبارة عن كماشة لها فكان تمثل الوحدة بين مصر وسوريا . واسرائيل وسط الكماشة . والرئيس عبد الناصر يدير مفتاح الكماشة لتضيق رويداً رويداً . وتحت الصورة عبارة تقول " الضغط الذى تتعرض له اسرائيل" (٢).

كان اعلان الوحدة فى فبراير (قد اشعل منطقة الشرق الأوسط) . وظهر الحماس الشعبى فى كل من مصر وسوريا على اشده ، وبشكل خاص نتيجة لاجماع الآراء بتأييد قيام الوحدة بين مصر وسورية (وكان الاندفاع الشعبى فى كل دولة عربية قوياً) ، وكثر الكلام (بأشد الحماس عن الوحدة التامة وحتميتها) (هذه الوحدة التى ملأت الجو وغطت صفحات مطبوعة لا تعد ولا تحصى لعدة سنوات مضت) . (ان العرب الذين اعترفوا ، منذ زمن ، بالوحدة كمبدأ سياسى ـ اخلاقى ـ بدون أية فكرة عن كيفية ، ومتى تأخذ شكلها العملى ، تصدى لهم نجأة وكلل وبالبرهان القيمى القاطع تلك الفكرة كحقيقة ماثلة امامهم . ولقد غير العديد من غير العرب ، الذين أثاروا الدلالة العملية للفكرة وقيمتها ، غيروا آراءهم الآن

---

(١) قال الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر العام للاتحاد القومى المنعقد فى القاهرة بتاريخ ٩ يوليو عام ١٩٦٠ "والاستعمار يدرك أن جمهوريتكم العربية المتحدة هى طليعة النضال العربى وقاعدته وقلعته ، ومن ثم فسوف يظل هدفه دائماً أن يقهر هذه الطليعه ويحطم هذه القاعدة ويجرد القلعه من سلاحها ، بكل أسلوب من الأساليب ، حتى يتخلف منها ومن ثم يقدر على اخماد كل نفس فى العالم يتردد بمقاومته والتصدى له ".

(٢) محمد حسنين هيكل مرجع سابق ، ص ٥٣ .

وتنبأوا بأن بقية الدول العربية سوف يجذبها الاتحاد قريبا (١).

اما حكام العراق ، وعلى لسان فاضل الجمالى احد من رؤساء الوزراء السابقين ، فيقولون بأن الاتحاد المصرى السورى غير طبيعى وغير ناضج ، لأن هذا الاتحاد ينقصه الاتصال الجغرافى وتنقصه المصالح الاقتصادية التكاملية ، كما تنقصه ايضا المساعدة العسكرية المتبادلة .

وفى يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٥٨ ، أى بعد أيام من اتمام الوحدة ، اذاع راديو بغداد الذى كان يعبر فى ذلك الوقت عن وجهة نظر الاسرة الهاشمية بأن " الوحدة بين مصر وسوريا لا تعدو أن تكون " تسلطا " مصريا على سوريا " . واذاع راديو عمان قائلا عن الوحدة " ان هذا الذى تم بين مصر وسوريا ، ليس (وحـــدة) وانما هو (ابتلاع) قامت به مصر لسوريا " (٢).

ولما يدهش حقا ، انه فى الوقت الذى قامت فيه ج ع م ، كان ذهـــب الملك سعود يتسلل داخلا الى دمشق من أجل ضرب الوحدة فى ساعاتها الأولى ، وفى نفس الوقت (كان خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السعودى ، يتسلل مـــن دمشق خارجا منها) (٣) خوفا من الدولة الجديدة ، وبداية لفتح معركة معهـــا وتحريض الشيوعية المحلية والدولية ضدها (٤).

اما الفئات المحافظة اليمينيه الداخلية فى سوريا ، فقد جاء اعلان الوحـدة ، بالشكل الذى تمت فيـه ، مفاجأة وقعت عليها كالصاعقة ، عاتية وعاصفة شلت مقاومتها ، بل اقعدتها عن الحركة ، ووضعتها مرة واحدة امام الأمر الواقع ، " فلم تجـــرؤ على معارضتها بصورة واضحة امام الجمهور الذى كان توتره الثورى بالغا اقصى درجاتـه فى ذلك التاريخ الحافل من حياة القضية العربية الوحدوية " (٥).

---

(١) Cremeans: Op. Cit. P. 116.

(٢) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤) سنرى فى الفقرة القادمة موقف الشيوعية الدولية والمحلية من قيـــام الوحدة عام ١٩٥٨ .

(٥) مطاع صفدى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٠ .

ويمكن حصر ردود الفعل التى اثارها قيام ج ع م بالبنود التالية :

١) لقد اثار قيام الجمهورية العربية المتحدة ، على صعيد الدول العربية كلها ، موجه حماس قومى لم يشهد الوطن العربى مثلها من قبل وأصبحت الجمهورية الجديدة . تنظر الجماهير العربية ، محط آمال الشعب العربى من الخليج الى المحيط فى تحقيق الوحدة العربية وزاد هذا الحماس القومى القوى اليمينية والمحافظة فى الوطن العربى ارتباكا وذعرا ، ويكاد المراقب السياسى الموضوعى - فى ذلك الوقت - ان يجزم بأن سقوط الحدود الاقليمية ، اصبح مسألة وقت فحسب ، بل ووقت قصير ايضا .

٢) ان قيام الاتحاد الهاشمى بين العراق والاردن ، جاء كجواب مباشر من الاستعمار وحلفائه فى المنطقة عانى شعب الاردن المشكلة القومية العربية اكثر من أى قطر عربى آخر ، بسبب مواجهته المباشرة لاسرائيل ، وبسبب غياب المكونات الطبيعية لكيان الاردن ، وكان أكثر الشعوب العربية تحسسا وتجاوبا مع وحدة عام ١٩٥٨ ، وكان الاتحاد الهاشمى محاولة للمحافظة على كيان الاردن من جهة ، وهجوما معاكسا على التيار القومى العربى التحررى من جهة ثانية .

ان الصحف الامريكية والاسرائيلية تشير الى هذا الموضوع بصراحة مباشرة ففى ١٩/١١/١٩٥٨ كتبت (النيويورك تايمز) : " يجب المحافظة على استقلال الاردن بأى ثمن "(١) وحكام اسرائيل يؤكدون ذلك دوما . ففى تصريح (لغولداماير) بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٨ ذكرت ان " اتحاد الاردن مع الجمهورية العربية المتحدة سيثير قلقا شديدا فى اسرائيل .. " ان الاردن كانت وما زالت جبهة مجمدة ، ومفتوحة امام اسرائيل .. واذاع راديو اسرائيل قائلا عن الوحدة " ان الوحدة بين مصر وسوريا(٢) هى خطوة فى احلام عبد الناصر باقامة امبراطورية عربية من المحيط الى الخليج .

---

(١) "The World Today" (V.I4No.3,MarsI958)

وفى هذا المقال اجاب على السؤال التالى : لماذا سارع الملك حسين طالبا من العراق والسعودية الاتحاد معه خوفا على سلطته وعرشه ؟ وكان هذا السؤال فى معرض مناقشته النتائج التى انتهى اليها قيام ج ع م وتأثيرها على الاردن .

(٢) محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

٣) قوبل قيام الجمهورية العربية المتحدة بتوتر شديد فى الاوساط الحاكمة فى العراق . لقد قضى قيام الوحدة على آمال المحافظين واليمنيين فى ضم سوريا الى العراق . ومع ذلك فان السلطات العراقية لم تكف عن التآمر على الوحدة حتى بعد قيامها . وتشير محاضر جلسات المحاكمات التى جرت بعد ثورة يوليو الى استمرار هذا التآمر حتى قبيل الثورة بغرض " اقامة دولة الهلال الخصيب " (١) وكرد فعل مباشر على قيام الوحدة كتب فاضل الجمالى سلسلة مقالات فى جريدة (العمل) (التى كان يصدرها هو) ، بعنوان " اتحاد ام تحد ؟ " هاجم فيها قيام الجمهورية العربية المتحدة . (٢)

٤) نقلت الصحف السورية فى ٥٨/٢/٢٠ تصريحا ادلى به (نهرو) فى البرلمان الهندى قال فيه : " ..اننى ارحب بوحدة مصر وسورية . ان هذه الوحدة وحدة طبيعية ، ومما لا شك فيه ان الاتحاد المصرى السورى قد انبثق عن ارادة الشعب ، لذلك فقد قدمنا تهنئتنا لهذا الشعب . ولو كان شعب الاردن والعراق يحبذان الاتحاد الفيديرالى بين البلدين لكان ذلك مدعاة للسرور ، ولكن اذا لم يكن هذا الاتحاد الا عبارة عن رد فعل سياسى لاعلان الوحدة السورية المصرية فان الأمر يكون مختلفا تمام الاختلاف " . وقال " ان ما يجرى فى الشرق الأوسط ادى الى سماع صوت التشاؤم من اسرائيل ، وهناك بعض الخطر من ان تقوم اسرائيل بعمل طائش نتيجة لما حدث فى الشرق الأوسط ، واذا ما حدث شىء من هذا النوع ، فان المرء ليعجز عن معرفة ما قد يؤدى اليه " . (٣)

٥) نشرت جريدة (الرأى العام) الدمشقية صباح ٥٨/٢/١ الخبر التالى عن اجتماعات حلف بغداد فى انقرة والتى حضرها المستر دالاس : " اصدر الحلف بلاغا مشتركا لخص فيه النتائج التى تم الوصول اليها فى اجتماعات الحلف ومنها توثيق التعاون بين حلف بغداد وغيره من الاحلاف العسكرية

---

(١) محاضر جلسات محكمة الشعب فى بغداد ، ج ٣ ص ٩٨٠ ، ١٠٠٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠٤ .

(٣) جريدة (الرأى العام) الدمشقية ، فى ١٩٥٨/٢/٢٠ .

الاقليمية . وتقول الاذاعة الفرنسية ان أهمية اجتماعات حلف بغداد الأخيرة ، سببها المباحثات التى تجرى بين مصر وسوريا لاعلان وحدتهما " وتضيف قائلة : " ان مجلس الحلف درس فى الاجتماع السرى الأخير الذى عقد امس هذه الوحدة والانعكاسات التى ستحدثها فى البلاد العربية الأخرى، وعلى اعتبارها ستصبح قطبا جاذبا لهذه البلاد (١) .

٦) نقلت بعض الصحف السورية فى ١٦ ابريل ١٩٥٨ تعليقا لمجلة (نيوزويك) الامريكية حول الوضع فى الشرق الأوسط ، قالت فيه : " ان الخطر الأكبر ليكمن فى المستقبل ، فى خطة القاهرة لاقامة دولة عربية كبرى ، تعتمد فى قوتها على بترول الشرق الأوسط . ان القاهرة لا تخفى خططها ، وهى لا تفتأ تعلن أن بترول العرب للعرب ، لذا فان الولايات المتحدة الامريكية تؤيد الدول العربية الاخرى المدافعة عن " استقلالها " والمناوئة للجمهورية العربية المتحدة (٢) " .

٧) نشرت بعض الصحف السورية ، نقلا عن وكالة (تاس) السوفيتية ، فى ١٩٥٨/٤/٢٦ تعليقا لجريدة (ترود) السوفيتية جاء فيه " تناولت جريدة ترود سياسة الدول الغربية فى مسألة وحدة البلدان العربية ، تلك الدول التى تعتبر هذه الوحدة من العقبات الرئيسية فى طريق تحقيقها السياسة الاستعمارية فى الشرق الادنى " . وقالت : " اذا ماحلل المرء سياسة الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا فى هذه المنطقة ، تبين له ان هذه السياسة موجهة بصورة رئيسية نحو تقويض الوحدة العربية . ان دول الغرب الاستعمارية تناهض هذه الوحدة ، لانها تتنافى ومشاريعها الاستعمارية فى الشرقين الادنى والاوسط " .

٨) نشرت جريدة (لوموند) الفرنسية فى ١٩٥٨/٥/٧ تعليقا عن الوضع فى الشرق الاوسط جاء فيه : " .. ان الدول الغربية الكبرى عمدت منذ نشوء ازمة السويس الى تأييد خطة العزل التى اتبعتها وزارة الخارجية الامريكية

---

(١) ياسين الحافظ : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وقد اسفرت هذه السياسة عن نتائج ضئيلة . فلقد استطاعت القاهرة ودمشق انشاء وحدة عربية بينهما ".

٩) بعد حوالى ثلاثة أشهر من ولادة الجمهورية العربية المتحدة قامت الثورة الشعبية المسلحة فى لبنان وحدث انقلاب السودان . وانحسرت المشاريع الاستعمارية وعلى رأسها مبدأ ايزنهاور فى لبنان ، وحوصر النفوذ الغربى ومنع من الامتداد .

١٠) وبعد حوالى خمسة أشهر من قيام الدولة الجديدة ، وكصدى مباشر وغير مباشر لقيامها ، انفجرت ثورة ١٤ يوليو فى العراق . ان حلف بغداد الذى اصيب بهزيمة منكرة خلال معارك سياسية وعسكرية ايضا ، استمرت حوالى ثلاث سنوات ، هذا الحلف اصيب بضربة قاضية فى الرابع عشر من يوليو عام ١٩٥٨ . أما مبدأ ايزنهاور فقد زال أى اثر له خاصة بعد انزال القوات الامريكية فى لبنان والقوات البريطانية فى الاردن على اثر قيام الثورة العراقية .

٣) رأى الشيوعية الدولية والمحلية فى الوحدة :

كان الاتحاد السوفيتى يعتقد أن اقصى مايمكن أن يحققه العرب هو اتحادا فيدراليا ، ولم يساورهم أى شك بأن الأمور قد تتطور وتصبح العلاقة بين مصر وسوريا وحدة اندماجية كاملة ، وباختصار ، كان اعتقاد الاتحاد السوفياتى انعكاسا لرأى الشيوعية المحلية فى المشرق العربى ـ هذا الرأى الذى شاهدنا بعض جوانبه فيما سبق .

يمكن القول اذا ان الوحدة بشكلها الذى قامت عليه كانت بمثابة مفاجأة لموسكو ، اذ انها لم يصدر عنها ، ولفترة ، اى تعليق سوفياتى رسمى بصدد التطورات التى طرأت على المنطقة . على أن مايجدر ذكره هنا أن الاتحاد السوفيتى (لم يول بالتأييد قبل ١٩٥٧ فكرة الامة العربية الموحدة فقد كانت لا تزال تراوده شكوك فى حركة الوحدة الاسلامية) .(١)

كانت موسكو تفضل ان تتعامل مع دول عربية منفردة ، على أنه من ناحية عملية بحته ، فان قيام دولة فى الشرق الاوسط تضم ٣٠ أو اربعين مليون نسمة لا يشكل خطرا فعليا عليها ، بل العكس ، ان اعلان هذه الدولة الجديدة عداءها

---

(١) وولتر لاكور ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ .

ضد الاستعمار والقوى الامبريالية ، لمما يهم موسكو ان تشجعه وتؤيده .

على أن استاط الأمر من يد الشيوعية السورية بعد قيام دولة الوحدة لمما يؤلم موسكو اشد الألم . الا أن موسكو ، وبناء لموقفها الجديد من القوميات الحديثة في آسيا وأفريقيا ، وبناء لمواقفها الى جانب الشعوب الحديثة العهد بالاستقلال ، كانت قد علمت أن انتقاد الوحدة الجديدة بين مصر وسورية يؤدى الى ضياع كثير مما كسبه الاتحاد السوفيتى من نفوذ معنوى فى العالم العربى خلال السنوات القليلة الماضية (وهكذا فان موسكو أعلنت لسان مباركتها للجمهورية العربية المتحدة وتركت امر مقاومتها للشيوعيين السوريين .

ومما يلاحظ فى هذا المجال أنه فى الوقت الذى اعلنت فيه الوحدة فى القاهرة كان المراقبون الغربيون (الذين شعروا بالدور الكبير الذى بدأت تلعبه موسكو يراقبون رد الفعل السوفياتى) . غير أن التصرفات مابين الشيوعية الدولية وبين الشيوعية المحلية كانت متضاربة : ففى ٢٩ يناير ١٩٥٨ منحت موسكو القاهرة مساعدات اقتصادية وفنية واسعة . وفى ذات الوقت كان النائب الشيوعى خالد بكداش يهرب خلسة من سوريا التى اتحدت مع مصر .

أما الصحافة السوفياتية ، التى لم تتحمس لقيام الوحدة ، تابعت تأييدها لحركة القومية العربية الوحدوية واستمرت فى اعلانها ان هذه القضية داخلية لا تهم الا العرب انفسهم ، وانما الذى يهمها هو بقاء الشرق الأوسط بعيدا عن السيطرة الغربية حتى لا تقام فيه قواعد عسكرية تهدد امن الاتحاد السوفيتى وسلامته.(١)

وفى الفترة الممتدة مابين ٢٩ ابريل و ١٦ مايو قام الرئيس عبد الناصر بزيارة للاتحاد السوفيتى صدر على اثرها بيان مشترك يعلن رغبة الشعبين السوفياتى والعربى توثيق اواصر الود والصداقة بينهما على الرغم من اختلاف النظم القائمة فى كل من البلدين(١). أما الشيوعية المحلية فى مصر وسوريا فقد كان لها آراء معينة بالنسبة لقيام الوحدة .

اختلف موقف الشيوعيين المصريين عن موقف اقرانهم السوريين . فبينما ايد الشيوعيون المصريون الوحدة ، كان خالد بكداش يغادر دمشق ليترك للناس

---

(١) وولتر لاكور ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

الحق فى أن يعتقدوا ان الشيوعيين قد عادوا الوحدة منذ اللحظة الأولى لقيامها ٠

ولم يقف الشيوعيون المصريون موقفا موحدا من قيام الوحدة ، بل انقسموا ، كعادتهم منذ قيام الثورة ، الى قسمين ،مؤيد ومعارض ٠ ففى الوقت الذى ايد فيه معظم الشيوعيون المصريون الوحدة بين مصر وسوريا ، نرى ان مجموعة متطرفه فسرت الوحدة على أساس اقتصادى بحت من حيث انها مجالا للرأسمالية المصرية لبسط نفوذها على اسواق جديدة لتصريف البضائع المصرية ، وهى بالتالى مجال للاستثمارات الاحتكارية المصرية التى يقودها بنك مصر ٠ وفى هذا المعنى يقول انور عبد الملك : " ان قيام الجمهورية العربية المتحدة لن يسمح بتجميد اليسار فحسب ، بل سيكون حركة استثمار وفتح اسواق جديدة لتصريف المنسوجات المصرية وتوظيف حملة شهادات الجامعة ، أى باختصار جعل سوريا اقليما مصريا "(١)

اما القسم الاعظم من الحزب الشيوعى المصرى فقد اعتبر الوحدة عنصر حماية لمصر وسورية من الاستعمار واحلافه العدوانية وضد اسرائيل ومشروع ايزنهاور ، وهى طريق لتحقيق المزيد من الانتصارات والمكاسب ٠

ووقعت الحركة الشيوعية فى المشرق العربى بتناقضات شديدة قسمتها داخليا الى شيع واحزاب وشراذم ٠ولم يعد بالامكان اتخاذ موقف او رأى موحد للحكم على الشيوعية المحلية من خلال بياناتها وتصريحاتها ٠

لقد كتبت جرائد الحزب الشيوعى السرية والعلنية فى سوريا ولبنان والعراق ومصر المقالات والابحاث فى تأييد الوحدة والكشف عن محتواها الديمقراطى التقدمى وعن ضرورة اعتبارها بدء الوحدة العربية الشاملة (٢) وقد قاوم الحزب الشيوعى المصرى اتجاه الذين نظروا الى الوحدة من زاوية حل الاحزاب فى سوريا ، فأصدر (مكتب العمل الجماهيرى فى السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى) نداء توجيهيا داخليا يطلب من الشيوعيين ان يتقدموا الصفوف فى معركة الوحدة العربية ٠ وناقش النداء هؤلاء الذين نظروا الى الوحدة من زاوية حل الاحزاب قائلا : " ولكن هل القضية الكبرى هى قضية حل الاحزاب فى سوريا ؟ كلا ، القضية الكبرى هى أن تنجح الوحدة السورية المصرية وتنشأ قوة سلام فى منطقة الشرق الأوسط ٠

---

(١) انور عبد الملك : مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون (ترجمة دار الطليعة بيروت (١٩٦١) ص ١٣٤ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٨٩ وكتاب ناجى علوش، مرجع سابق ، ص ١١٨ ٠ ويراجع كتاب الحكم دروزة " الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية " —

هل الاصح ان نركز جهودنا فى نقد حل الاحزاب والنظر الى الوحدة من هذه الزاوية ، كلا ، ان الموقف الاصح ان نستفيد من المد الثورى الذى احدثته الوحدة واقترن بها واعقبها " .

استقبل الحزب الشيوعى المصرى الوحدة ، اذن بحماسة كبيرة . فبالاضافة الى بيانه السابق " بيان الى الشعب عن الوحدة المصرية السورية " اصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى بيانا آخر رد فيه على دعايات الاستعمار الذى يحاول اشاعة الذعر بين الرأسمالية الوطنية فى مصر وبين مثيلتها فى سوريا .

وبالرغم من ان الحزب الشيوعى المصرى انتقد استبعاد شخصيات وطنية هامة (مثل خالد العظم) ، فقد ظل خطه السياسى العام والواضح يؤيد الوحدة الى مابعد ثورة ١٤ يوليو فى العراق بشهرين تقريبا (١) .

وكانت ثورة ١٤ يوليو فى العراق نقطة انعطاف بالنسبة للحزب الشيوعى المصرى . ولقد كانت تتويجا للمد الثورى " الذى رافق الوحدة واعقبها " .

ولم يخف ذلك على الحزب الشيوعى المصرى ، الذى سارع الى اصدار بيان بعنوان " عاشت الجمهورية العراقية العربية " ، جاء فيه ان الشعب العراقى البطل ضحى بأرواح ابنائه " فداء لقضية تحرر الوطن والوحدة العربية " (٢) .

واصدر المكتب السياسى للحزب فى ١٥ سبتمبر بيانا اشاد فيه بتجربة الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ، مبررا أهمية الخصائص والفروق الاقليمية التى لم تعد بنظره " فروقا سطحية " بل هى أساسية وعنصر تباعد بين الاقطار العربية (٣) .

وفى سبتمبر ١٩٥٨ ، استدعى انور السادات احد قادة الحزب الشيوعى المصرى ، وحاول طيلة سبع ساعات اقناعه بانضمام الشيوعيين الى الاتحاد القومى " ملوحا بمصير الاخوان المسلمين " . ولكن القائد الشيوعى قابله برفض " مهذب ونهائى " (٤) .

---

(١) الياس مرقص ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٤) انور عبد الملك ، مرجع سابق ص ١٢٥ .

والنتيجة الطبيعية لكل ماسبق ان الانقسام الحاد عاد الى صفوف الحركة الشيوعية على اثر تحول قيادة الحزب من الخط الوحدوى فى سبتمبر ١٩٥٨ ٠ ولقد ظلت اقلية نشيطة تؤيد هذا الخط وتعتبره ملازما لاستمرار المد الثورى المناهض للرجعية والاستعمار فى المنطقة العربية ٠ واستمر الجدال والانقسام بين الشيوعيين المصريين فى معسكرات الاعتقال (١) ٠

أما الحزب الشيوعى السورى فان الأمر قد اختلف بالنسبة لمواقفه ٠ فهو قبل الوحدة قد سار على خط واحد ، يؤيدها ويدعى أنه يعمل من أجلها ، وحين قامت الوحدة بدأت التناقضات تلف مواقفه كلية ٠

كانت قيادة الحزب الشيوعى قد اكدت فى مايو ١٩٥٦ " ان طموح البلدان العربية الى وحدتها ٠٠ هو مظهر لحاجة واقعية ونتيجة لتطور تاريخى موضوعى مستقل الرغبات والارادات " ٠ وان " الرغبات والارادات " قوة فعالة فى التطور التاريخى ٠ فما هى " رغبات وارادات " قيادة الحزب الشيوعى السورى ازاء موضوع الوحدة (٢) ؟

فى صيف ١٩٥٧ ، اصدرت هذه القيادة (تحت ضغط المعارضة) مشروع نظام داخلى ، جاءت مقدمته خالية من ذكر الوحدة العربية بين الاهداف التى يعمل لها الحزب ٠

وكانت مفاوضات الوحدة مفاجأة تامة لقيادة الحزب التى لم تكن قد وضعت أى مشروع للاتحاد بين سورية ومصر ، بل لم تكن قد طرحت القضية كهدف محسوس ٠ وفى ١٥ يناير ١٩٥٨ اصدرت اللجنة المركزية : " قرار عن الاتحاد بين سوريا ومصر " ٠

بدأ القرار بترداد رأى اللجنة المركزية فى أن الوحدة هى " نتيجة تطور موضوعى ٠٠٠ " الخ ٠ ثم استعرض مراحل نضال الشعب السورى ونضال الشعب المصرى ٠ نذكر الجلاء عن مصر ورد العدوان الثلاثى ٠٠ واغفل ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ وان الاتحاد بين سوريا ومصر يعبر عن امانى ثمانين مليون عربى ٠٠ وأشار الى أن سوريا بلغت مستوى من المعيشة يفوق مستوى غيرها من بلدان الشرق الادنى (هكذا ، ان صح هذا المنطق ، تكون سوريا " بلغت " مستوى معاشيا ارقى من مستوى مصر ، بفضل همة الرأسمالية السورية المستقلة ومكملها الحزب الشيوعى السورى ٠ أما علاقات العصر الامبريالى التى حطمت الشعب المصرى فلا دخل لها فى هذه الامور) (٣) ٠

---

(١) الياس مرقص ، مرجع سابق ، ص ١٠٦

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠١ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٨ ٠

ثم عرض مشروع اللجنة المركزية :

" ان الاتحاد بين مصر وسوريا سيكون من شأنه ايضا ان يرفع مكانة كل من الجمهوريتين العربيتين المتحررتين فى العالم ، ويوطد كيانهما ، ويزيد وزنهما فى الحياة الدولية لمصلحة القضايا العربية ، وقضية السلام العالمى " (١)

لقد كانت اللجنة المركزية تعرض مشروع اتحاد كونفيدرالى وليس مشروع اتحاد فيدرالى . لقد اراد الحزب من المشروع الكونفيدرالى الضعيف ان تبقى مصر وسوريه جمهوريتين مستقلتين تحافظان ، كما ورد فى جريدة الحزب (٢) وعلى لسان مسئولية ، على " الشخصية الدولية " و " التمثيل الخارجى " لكل منهما ، وعلى " مقعدين اثنين " فى الامم المتحدة بدلا من مقعد واحد (٣) وقد اضطر سير الاحداث قيادة الحزب الى التراجع وتأييدا لوحدة . هذا هو فحوى تصريح خالد بكداش الى جريدة (النور) بتاريخ ١٩٥٨/٢/٣ والى وكالة انباء الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٥٨/٢/٥ .

" صحيح انه حين طرحت مؤخرا قضية الوحدة بين سوريا ومصر ، كان لنا رأى فى شكل هذه الوحدة ، وهو رأى لا يمس جوهر الوحدة وصميمها ... " (٤)

الا ان خالد بكداش كان قد امتنع عن حضور جلسة مجلس النواب السورى التى اعلنت فيها الوحدة وخرج من البلاد . وذكرت جريدة (النور) فيما بعد أن مؤامرة استعمارية كانت قد دبرت لاغتيال " الزعيم الوطنى الكبير " وهو فى طريقه الى المجلس ، الأمر الذى دفعه الى التغيب عن الجلسة .. والسفر الى الخارج لعدة شهور ؟؟ !

وفى نفس الوقت ابرزت الجريدة نبأ " ترحيب " شارك مالك وسامى الصلح بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وبمناسبة قدوم وزير الداخلية فى الجمهورية العربية المتحدة الى الاقليم السورى ، نشرت جريدة (النور) مقالا عن ... الحجاج بن يوسف الثقفى " الرجل الذى اخمد ثورة تلو ثورات ... " كما نشرت مقالا عن حملة ابراهيم باشا فى سورية ونهايتها المفجعة (على يد الشعب السورى) (٥) وبدون ذكر للقوى الدولية ، بريطانيا وغيرها .

من هنا نرى اتجاهين اثنين فى مواقف الحزب وصحيفته ..

---

(١) جريدة (النور) الدمشقية بتاريخ ١٩٥٨/١/١٥ .
(٢) نقصد بها جريدة (النور) المذكورة سابقا .
(٣) الياس مرقص ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

فهل كان ذلك بناء لخطة مدروسة ؟ أو هل اضطرت القيادة الى التراجع موقتا تحت ضغط الاحداث المتلاحقة فى المنطقة وتحت ضغط المعارضة الشيوعية ؟

الأرجح ان عملية التصاعد التدريجى فى الانتقاد التى اتبعها الحزب الشيوعى السورى كانت الهدف الأساسى . ولذلك عدة قرائن وبراهين .

لقد استخدم خالد بكداش الكولوكيوم (موتمر الاحزاب الشيوعية فى العالم) المنعقد فى براغ فى شهر يونيه ١٩٥٨ ، ليبدأ حملة "الانتقادات" . فقال ان فى مصر وسورية اتجاها الى الاصلاح الزراعى ، وان الامريكيين يؤيدون هذا الاتجاه هو لصالح المزارعين الاغنياء ، وان نجاحه فى ظل (البورجوازية) سيكون فاجعة اليمه لانه سيؤدى الى ابعاد الفلاحين عن حليفتهم ، الطبقة العاملة .... (يمكن أن نتأمل كيف ان " ممثل الطبقة العاملة " المؤمن بدور البورجوازية التاريخى اخذ ، بين عشية وضحاها ، يخاف على مستقبل الطبقة من مجرد " اتجاه " الى الاصلاح الزراعى فى ظل " البورجوازية " . (١)

وجاءت ثورة ١٤ تموز فى العراق .

ولم تمض أيام حتى ظهرت أصوات من نوع آخر . ففى ٢٠ يوليو " انتقد " خالد بكداش الاسس التى قامت عليها الوحدة بين سورية ومصر ، واذاع راديو (صوفيا) هذا " الانتقاد " فى الوقت الذى كانت فيه الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت كل قواها الى جانب ثورة العراق ضد الاستعمار الانجلو امريكى الذى انزل جنوده فى الاردن ولبنان وضد الرجعية العربية . (٢)

وما كان من الرئيس عبد الناصر الا أن حمل على الحزب الشيوعى السورى فى خطاب عيد النصر (١٩٥٨/١٢/٢٤) . واغلقت جريدة النور وتعرض الشيوعيون فى سورية ومصر لحملة اعتقال واسعة فى مطلع عام ١٩٥٩ . (٣) واشتدت الحملة بعد حوادث الموصل فى مارس ١٩٥٩ . (٤)

وفى نفس الوقت اخذت الصحف الشيوعية تنشر نظرية جديدة تقول بأن الوحدة كانت مؤامرة أوحت بها واشنطن لضرب القوى اليسارية المتعاظمة فى سوريا ..

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٨ (٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) كانت الصحيفة الحزبية الوحيدة التى ثابرت على الصدور مدة عشرة أشهر بعد قيام الوحدة وحل الاحزاب . وقد نشرت عددا من " الانتقادات " رغم ان الصحافة كانت تحت الرقابة . لولا الرقابة لكانت " الانتقادات " اكثر عددا وادسم مادة ، الياس مرقص المرجع السابق . (٤) المرجع السابق ص ١٠٨

ولم يعد عبد الناصر " قائدا ملهما " و " عملاقا من نسج الأساطير " ، بل اصبح مرة أخرى " عميلا امريكيا " ، ولم يعد الحكم حكما ثوريا تحرريا أو على الاقل بورجوازيا وطنيا " ، بل اصبح اداة للرأسمالية المصرية الكبرى ، التوسعية ، الاستعمارية ، والتى تتمثل فى بنك مصر ، غير ان الصحف الشيوعية المحلية لم تبال بتأميم بنك مصر ، او بعقد اتفاقه السد العالى مع الاتحاد السوفيتى ، او بسياسة الجمهورية العربية المتحدة فى الكونجو ، وبموقفها من العدوان على كوبا (اوائل عام ١٩٦١) ، وركزت القيادة الشيوعية السورية - اللبنانية جهدها على تخريب سمعة الجمهورية العربية المتحدة فى الدول الاشتراكية وفى العالم ، معتمدة على قضية اعتقال ومقتل فرج الله الحلو (١) .

ويكفى هذا القدر من مواقف الاحزاب الشيوعية المحلية ، وانما الذى يجب قوله ان الوحدة قد جاءت بالنسبة للشيوعية لتدخلها فى تجربة جديدة تكشف عن اعمق نواياها بالنسبة للقضية العربية بعد أن دخلت من قبل تجربة الحرب ضد الاحتلال الاستعمارى فكانت ان وقفت دائما الى جانب الاحزاب الشيوعية التابعة للدول الاستعمارية . ولقد فاجأت الوحدة الشيوعية المحلية فأفقدتها صوابها وتحولت بسرعة من اهدافها القومية المستعارة لتقف كأكبر عدو داخلى لتحقيق الوحدة ، وكأقوى شبكة تخريب بعد تحقيق الوحدة لنمو الوحدة وخاصة بعد ثورة العراق التى نجمت عن المد الثورى الذى رافق قيام الوحدة (٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٩ ومابعدها .

(٢) مطاع صفدى ، مرجع سابق ، ص ٤١٤ .

٤) الوحدة وقلب ميزان القوى في المنطقة

أ ـ انفراج سوريا النسبي :

ما أكدناه أكثر من مرة خلال القسم الاول ، وخاصة عن الضغوط العنيفة التي تعرضت لها سوريا خلال السنوات الثلاث التي سبقت الوحدة ، هو ان الوحدة ما قامت بشكلها السابق ، وبالسرعة التي لم يتوقعها الكثير من المراقبين الا تعبيرا عن خلاص لسوريا مما تعرضت له من جيرانها . وقلنا لم تكد سنه ١٩٥٧ تنتهي الا ويحيط سوريا دولا معادية لها من كل جانب . العراق من الشرق يقوده العرش الهاشمي يطمع في دمشق ليتغلب على القاهرة .. تركيا في الشمال تعتقد ان سوريا سببت هزيمتها في الحرب الأولى ، وسوريا هي رائدة فكرة القومية العربية المناهضة للدولة العثمانية .. والاردن في الجنوب الشرقي انحاز الى الغرب وهو متحالف متكاتف مع بغداد بصلة النسب .. واسرائيل في الجنوب تود كسر شوكة أقوى دولة عربية في المشرق تضايق مطامحها التوسعية والعدوانية .. ولبنان في الغرب والغرب الجنوبي لسوريا قد انحاز عن طريق كميل شمعون وشارل مالك وسامي الصلح الى المعسكر الغربي .

كل هذه الدول قد تكاتفت وتجمعت لتعمل منفردة أو مجتمعة تحت راية الامبرياليه الامريكية التي كانت تتوحلف بغداد ـ العراق وتركيا اعضاء فيه ـ وتود تنفيذ مشروع ايزنهاور انضم له لبنان والاردن ـ ولم يبق خارجا على ارادة امريكا وبريطانيا في المنطقة الا سوريا .. فقامت ضد هذه المؤامرات وشجعت الفتن الداخلية حتى وصل الأمر الى وضع خطة لغزوها بحجة انها جعلت للشيوعية الدولية قاعدة ضخمة في الشرق الأوسط ، هي سوريا ذاتها .

قامت الوحدة لتغير الخارطة السياسية للشرق العربي والشرق الأوسط رأسا على عقب . ولقد غيرت ، بالتالي ، موازين القوى كلها في المنطقة . خاصة وان المد الثوري الذى سببه قيام الجمهورية العربية المتحدة قد جعل دول المنطقة تقف عاجزة عن الامساك بزمام الأمور ، بعد ان هاجت الجماهير واعترتها موجة حماس لم يسبق لها مثيل حتى أيام العدوان الثلاثي . فما كان على الحكومات المحيطة بسوريا الا أن تستسلم للأمر الواقع وتتظاهر ، على الأقل امام جماهيرها الثائرة ، بأنها تؤيد قيام دولة كبرى في الشرق الأوسط .

من هنا كان الانفراج النسبي حول سوريا .

فبعد ان كان زمام المبادرة بيد القوى الرجعية العربية والامبريالية القائدة للاحلاف والمشاريع ، اصبح الأمر بيد القوى الثورية وخاصة ممثلتها ، الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد قيام الدولة الجديدة بدأت الاحداث تتلاحق بشكل عجيب في المنطقة .. ومن جملة تلاحقها كانت تلك الدعوة التي وجهها الرئيس شكري القوتلي التي دعا بها لبنان للانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة " مع حقه في المحافظة على سلامته وكيانه الخاص " .

وكانت قمة الانفراج حول سوريا قد حدثت بعد قيام الوحدة بأشهر قليلة (١) . فثورة لبنان قد قامت في التاسع من مايو ١٩٥٨ ، وثورة العراق قد قامت في ١٤ يوليو ١٩٥٨ . وكان هذان الحدثان كفيلين بالهاء اعتى القوى الامبريالية عن سوريا . فثورة لبنان قد شغلت الجناح المتطرف للغرب في الداخل عن التصميم في تنفيذ المؤامرة على سوريا ، وثورة العراق انهت نفوذ الاسرة الهاشمية في بغداد ، والغت حلف بغداد نهائيا من دنيا الحرب . وهذان عنصران هامان في الضغط على سوريا كما رأينا . وبقيام الثورة اللبنانية والثورة العراقية زال عن سوريا كابوسا ظل يشدد الخناق عليها من الشرق والغرب فتنفست الصعداء وشعرت لثاني مرة بعد قيام الوحدة ، بالاطمئنان الذي لم تعرفه منذ سنوات .

قلنا أن زمام المبادرة قد انتقل الى الجمهورية العربية المتحدة ، والقسم الشمالي منها بشكل خاص ، وذلك لقربه ولوقوعه وسط دول المشرق العربي . وهذا ما تؤكده ردود الفعل التي ظهرت في تصرفات الامبريالية الدولية على يد القوى العدوانية للولايات المتحدة وبريطانيا على أثر قيام ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

لقد كان الخوف كل الخوف من المد الثوري الذي اوجده قيام الجمهورية العربية المتحدة الجديدة .

ففي اليوم التالي لقيام ثورة يوليو في العراق ، وفي ١٥ يوليو بالضبط ، نزلت قوات عسكرية امريكية في لبنان ، وقوات عسكرية بريطانية في الاردن . وكان الهدف من هذا الاحتلال العدواني واضحا :

(١) راجع بخصوص الهدوء النسبي الذي شهدته المنطقة العربية خلال سنتين بعد الوحدة

Major, J.S.R. "Survey On International Affairs 1959-1960" "Royal Institute of

١) منع انتقال الحريق الثوري الى بلدان عربية أخرى .

٢) منع انضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة .

تلك حقائق اعلنتها واكدتها الصحف الاستعمارية في ذلك الحين .

كتبت جريدة (كومبا) الفرنسية في عددها الصادر في ١٩٥٨/١٠/٢٠ :

" ان الحافز الذي حدا بلندن وواشنطن - بعد التشاور على الرئيسيين المعنيين بالأمر - الى الاسراع باحتلال الشرق الأوسط ، انما تفسره عوامل عديدة منها مما يؤكده الخبراء في شئون الشرق الأوسط في تقاريرهم ، من أن القاهرة لن يكون في وسعها - بسبب ما تواجهه من مشكلات داخلية - التفكير قبل ستة أشهر او اثنى عشر شهرا في القيام بعمليات جديدة لتوسيع رقعة امبراطوريتها .

وبالاضافة الى ذلك فان ثورة العراق ، التي بعثت آمالا كبيرة لدى القاهرة عند حدوثها ، قد سارت في طريق آخر بعد أن تم اتخاذ جميع التدابير للحيلولة دون تعاون وثيق للغاية مع الجمهورية العربية المتحدة .

كتبت مجلة (نيوزويك) الامريكية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/١١/٣ عن المكاسب التي نجمت عن نزول الجيوش الامريكية والانجليزية في لبنان والاردن ، وهي :

١) انقاذ شمعون من اسقاط عنيف له ولحكومته ، وافهام العناصر المؤيدة للغرب اننا لن نتخلى عنهم .

٢) انقاذ الملك حسين الموالي للغرب من الاغتيال الذي كان سيقوم به الثوريون المعادون لسياسة الغرب .

٣) منع انتقال شرارة الثورة التي قامت في ١٤ يوليو في العراق الى بلاد أخرى ، واحباط آمال القاهرة في توسيع الجمهورية العربية المتحدة .

وكتبت (نيوزويك) ايضا في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/١١/١٧ .

" تسعى الولايات المتحدة وبريطانيا لمنع مصر من (ابتلاع) الشرق الأوسط بأسره ، بعد ان انسحبت قوات الغرب الآن من هذه المنطقة ، وهي ، في هذا السبيل ، تتآمران على عامل واحد ، هو منافسة العراق التقليدية لمصر في تزعم العالم العربي .. " .

يتضح من كل الاستشهادات السابقة ان زمام المبادرة أصبح بيد الجمهورية العربية المتحدة ، وأصبح تأثيرها عاما على حوادث منطقة الشرق الأوسط كلها ، وفي هذا

= وهو يقول هنا بأنه تدحل محل الاضطرابات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط في عام ١٩٥٨ هدوء نسبي بقي على حاله لمدة سنتين . اما الفريق زهر الدين فيقول في مذكراته بالنسبة للوضع الداخلي فان " الوحدة تدحدت من تطاحن السياسيين على حساب مصالح الشعب وانهت تسلط الجيش وتطاوله على الحكم ص ١٨٢ .

يتضح من كل الاستشهادات السابقة ان زمام المبادرة أصبح بيد الجمهورية العربية المتحدة ، وأصبح تأثيرها عاما على حوادث منطقة الشرق الأوسط كلها ! وفى هذا انفراج كبير لسوريا • فبعد ان كانت تقف دائما موقف الدفاع ، اصبح بامكانها الهجوم وعلى أى جبهة تريد وفى أى اتجاه تود •

وفى كل هذا يقول الرئيس عبد الناصر عن تأثير سوريا على الاحداث الدولية والعربية أيام الوحدة :

" ومن ناحية أخرى ، من ناحية التأثير العربى والدولى ، فلقد كانت هذه السنوات الثلاث والنصف (١) ، سنوات مارس الشعب السورى فيها قوة ضخمة لنصرة النضال العربى • من سوريا اتخذنا جميع الاجراءات لمناصرة الثورة الوطنية فى العراق ، هذه الثورة التى اسقطت حلف بغداد وقوضت قوائمه •

ومن سوريا تمكنا من التأثير فى اتجاهات الحوادث فى العالم العربى تأثيرا بناءً ومثمرا •

وفى سوريا استطاع الجيش السورى ، بينما الجيش المصرى محتفظ بكل قواه على خط القتال ، ان يمنع اسرائيل من اتمام تحويل مجرى نهر الاردن وفى سبيل الحيلولة دون ذلك خاض ضباط الجيش السورى وجنوده معارك محلية ، ولكنها ناجحة ضد اسرائيل •

وفيها وفى خلالها ادرك العدو ان المضى فى المحاولة سوف يجر عليه اخطارا فادحة •

....

كذلك مارست سوريا تأثيرا واضحا فى تجميع قوى السلام ورفع ويلات الحرب عن البشر ، وليس دورالجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمرالدول غيرالمنحازة فى بلغراد ببعيد (٢) " •

قلب موازين القوى فى المنطقة

ماكان يميز الفترة السابقة على قيام الوحدة ان ميزان القوى فى منطقة الشرق الأوسط لم يكن محددا تحديدا دقيقا ، انه وان كانت عناصر تحديده فى بعض الاحيان فان بندوله غالبا ما أشار الا على ترجيح تلك الكفة العاملة ضد القوى العربية التقدمية فى المنطقة •

كان يقوم مقام مايعرف بميزان القوى فى تلك الفترة (سياسة المحاور) • هذه

---

(١) يقصد عمر الوحدة • (٢) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر ص ٥٥٣ـ٥٥٤ •

السياسة هى التى كانت رائجة فى السوق العربية • وبينما كان ميزان القوى بين مصر وجزر ، كانت سياسة المحاور أكثر ثباتا من الناحية النسبية •

كانت العاصمتان اللتين تتنازعان بقية العواصم العربية هما القاهرة وبغداد كل منهما تقيم محورا مع هذه العاصمة او تلك محاولة قلب الموازين فى المنطقة لصالحها وصالح ماتمثله من مبادئ وقيم •

أن ما يميز سياسة المحاور أنها تكتيك مرحلى قصير النفس والمدى ويتغير بتغير الظروف التى ادت الى اتباع مثل هذه السياسة • ويجعلنا هذا التعريف لسياسة المحاور ان نقول بأنها ليست الا محاولة لتحقيق توازن فى القوى السياسية والعسكرية بين كفتى الميزان لاستقطاب دولة ، وأخرى او مجموعة من الدول لهذه العاصمة أو تلك •

وتتغير هذه السياسة الى ناحية أو أخرى بناء لتغير اركان واعضاء كفتى الميزان • وبناء للقوى المؤثرة داخل هذه الكفة ، وتلك ، تكون السياسة الواجب اتباعها تجاه الكفة الاخرى • من هذه المرونة فى الحركة والتبدل واتخاذ المواقف السياسية ، يصبح ميزان القوى وسياسة المحاور موقتان ، يتغيران بتغير الظروف التى اوجدتهما أو بدخول عناصر جديدة عليهما ، أو بزوال تلك الظروف •

ميزان القوى وسياسة المحاور هما اذا اجراء موقت تمليه الظروف الآتية لفترة محددة ، وينتفى وجودهما حين تزول تلك الظروف • ولقد أصبح ميزان القوى فى المنطقة نتيجة للوحدة على الشكل التالى :

قامت الوحدة وكانت أهم الاحداث التى ترتبت على قيامها ، بطريق مباشر او غير مباشر ، التالية :

١) قيام اتحاد مضاد بين الاسرتين الحاكمتين فى العراق والاردن سمى (الاتحاد العربى) •

٢) قيام الثورة الشعبية فى لبنان (مايو ١٩٥٨) •

٣) قيام ثورة يوليو فى العراق (انسحاب العراق من حلف بغداد) •

٤) الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية •

٥) قيام انقلاب السودان •

٦) قيام الثورة الاجتماعية ـ الاقتصادية والتحامها بالثورة السياسية لأول مرة فى المشرق العربى •

٧) نزول القوات الامريكية فى لبنان والقوات البريطانية فى الاردن .
٨) فشل مشروع ايزنهاور .
٩) فتح معركة مع الشيوعية المحلية والدولية .

وتشير كل تلك الاحداث الى أن زمام المبادرة قد أصبح بيد القوى الثورية العربية وبيد الجمهورية العربية المتحدة .

بعد الوحدة لم يعد الصراع بين الاستعمار ودول طامعة بسوريا من ناحية ، وبين زعماء وطنيين او قوميين من ناحية ثانيه ، بل انتقل الصراع امام وقوف تلك الدول موقف الدفاع الى معركة سلاحها الفكر والمبادئ وارضها امتداد الرقعة العربية .

وأكدت المعارك التى دخلتها القوى الثورية العربية أيام الوحدة مع نقيضها القوى المحافظة واليمينية ان الصدام الحتمى بين القوتين العربيتين المتناقضتين لم يعد صداما سياسيا على سلطة أو نفوذ ، ولكنه أصبح ، فى الأساس ، صراعا اجتماعيا ــ اقتصاديا ، قد تحددت ابعاده وحدوده منذ اندحار العدوان الثلاثى وبداية عملية السيطرة الوطنية على المؤسسات الاقتصادية والمالية . واستمرت عملية الصراع هذه عدة سنوات حتى قوانين يوليه الاشتراكية ومابعدها أيضا . وعند صدور قوانين يوليو الاشتراكية أصبحت المعركة مكشوفة بين القوى الثورية والقوى اليمينية المحافظة .

ب ـ الاتحاد مع اليمن :

وصلنا ، فيما سبق ، الى أن الجمهورية العربية المتحدة قد قلبت موازين القوى فى الشرق الأوسط ، وأصبحت تمارس تأثيرا مختلف النواحى على المنطقة . وباختصار ، فانها خلقت ثورة ، جديدة فى ابعادها ، جديدة فى محتواها ، وجديدة فى مدى تجاوب الناس وتفاعل عواطفهم معها . وقد رافقها مد ثورى لم تشهده المنطقة من قبل ، وكانت هى ، والقوى الثورية الاخرى فى المنطقة ، تداعطت دفعات متتالية وشحنات كهربائية ضخمة للجماهير العربية المطالبة فى مزيد من الانتصارات . ولم تكن الانتصارات فى تلك الفترة تزيد عن انضمام هذه الدولة أو تلك الى الجمهورية الجديدة ، اوعلى الأقل اتخاذ موقف مؤيد لها . من هنا كان تشجيع الجماهير العربية وتأييدها للاتحاد الذى قام بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية .

ففى الثامن من مارس ١٩٥٨ ، ولم يجف الحبر الذى وقع به قيام الجمهورية العربية المتحدة التى خلقت ثورة فى المنطقة ، وقعت الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ميثاق " الدول العربية المتحدة " .

فما هى الاعتبارات التى دفعت الجمهورية العربية المتحدة ، التى كانت هى نفسها ثورة ، الى الاتحاد مع المملكة المتوكلية اليمنية ، التى كانت تعيش فى القرون الوسطى وأشد تخلفا من دول تلك القرون ؟ هذا مع العلم أن السلطة الحاكمة فى اليمن هى سبب التخلف والمآسى التى يعيشها الشعب اليمنى

لم يصدر عن السلطات فى الجمهورية العربية أى تبرير رسمى لذلك الاتحاد ، الذى كان ، بنظرنا ، أول خطأ كبير سجلته دولة الوحدة على نفسها .

ولقد كتب الاستاذ محمد حسنين فى (الاهرام) فيما بعد الانفصال مبررا ذلك الاتحاد بناء للأسباب التى قدمها السيد شكرى القوتلى (المواطن العربى الأول !) مؤيدا الاتحاد .

قال شكرى القوتلى انه يرى قبول عرض الامام فى الاتحاد للأسباب التالية :

١) انها خطوة وحدوية لا يجب التردد فيها .

٢) انها قد تفتح طريقا للحضارة حتى تدخل اليمن .

٣) انها قد تخفف من الضغط على العناصر الوطنية فى اليمن .

٤) اذا لم نأخذه معنا ، فمعنى ذلك اننا نعطيه هدية لسعود الذى يتآمر على الجمهورية منذ يومها الأول .

ويضيف الاستاذ هيكل " وليس ذنب شكرى القوتلى بعد ذلك أنها لم تكن خطوة وحدوية .. لقد كانت مهادنة الرجعية ذاتها هى الخطأ تلك الأيام ، ولكن الفوران العاطفى غطى على الحقيقة .. حتى تولت التجربة ذاتها تمزيق الغطاء ، واثبتت ان لا مهادنة مع الرجعية (١) .

على أنه مهما يكن من أسباب ذلك الاتحاد فلا مانع من تقديم بعض ما جاء فى ميثاق الاتحاد (٢)

---

(١) محمد حسنين هيكل مرجع سابق ، ص ١٩٨

(٢) [illegible]

اول مايلفت النظر فى ميثاق الاتحاد ان كل دولة تحتفظ بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها (م ٢) فهل يمكن التوفيق بين نظام جمهورى رئاسى ثورى وبين نظام لم يعرف له العصر مثيلا وهو " الامامة " ؟

وتقول المادة السادسة من الميثاق ان الدول الاعضاء تتبع السياسة الخارجية الموحدة التى يضعها الاتحاد ، على أن يتولى التمثيل السياسى والقنصلى فى الخارج هيئة واحدة فى الاحوال التى يقرر فيها الاتحاد ذلك (م ٧) ويلغى التمثيل السياسى بين الدول اعضاء الاتحاد (م ٣٠) .

وللاتحاد قوات مسلحة موحدة (م ٨) (١) ، ويعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد (م ١٩) .

وتنظم الشئون الاقتصادية للاتحاد وفقا لخطط منظمة تهدف الى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادى (م ٩) ، وينظم القانون شئون النقد فى الاتحاد (م ١٠) ، وينشأ بين البلاد المتحدة اتحاد جمركى (٢) (م ١١) ، وتصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الأعلى .

ويشرف على شئون الاتحاد مجلس يسمى (المجلس الأعلى) يشكل من رؤساء الدول الاعضاء (م ١٣) ، ويعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى (مجلس الاتحاد) (م ١٤) ، ويشكل مجلس الاتحاد من عدد متساو من ممثلى الدول الاعضاء ويبين القانون عدد اعضاء المجلس ومدة عضويتهم والاحكام الخاصة بهم (٣) (م ١٥) ، ورئاسة مجلس الاتحاد تكون بالتناوب سنويا بين الاعضاء ، ويكون للرئيس نائب ، ونواب من الدولة أو الدول الاعضاء فى الاتحاد (م ١٦) ، ويختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للاتحاد فى المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية ويصدر قوانين بذلك (م ١٧) . ومجلس الاتحاد هو الهيئة الدائمة للاتحاد (م ٢١) .

ويتبع مجلس الاتحاد الهيئات الاتية :

---

(١) راجع القانون الاتحادى رقم ٥ لسنة ١٩٥٨ فى الملحق رقم (٥) .

(٢) راجع القانون الاتحادى رقم ٢ لسنة ١٩٥٨ فى الملحق رقم (٦) .

أ - مجلس الدفاع .
ب - المجلس الاقتصادى .
ج - المجلس الثقافى .

على أن تعرض قرارات هذه الهيئة على مجلس الاتحاد للتصديق عليها (م ٢٣) .

ويعين رئيس كل دولة وزيرا لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد وفى الاقليم الذى يتبعه (م ٢٨) ، ويعين رئيس كل دولة وزيرا نائبا عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الأخرى ويكون له صفة الوزراء المحليين (م ٢٩) .

وخير ما ننهى الكلام عن الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية ان هذا الاتحاد قد ولد ميتا بالرغم من وجود الدستور وغيره . وفى هذا يقول الرئيس عبد الناصر : " كان فيه اتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن .. لكن ماكانش ابدا اتحاد ... كل واحد فى حاله ... اتحاد شكلى[1] .

---

(١) محاضر جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٢٢ .

الفصل الثانى

تطور علاقات أجهزة دولـــــة الوحدة

المبحث الأول : النظام السياسى

١- السلطات

أ - السلطة التنفيذية : رئيس الجمهورية

١- الوزارات : المركزية والتنفيذية

٢- المشير عامر يمثل الرئيس وينوب عنه فى شئون سوريا

٣- استقالة الوزراء البعثيين

٤- الوزارة الموحدة .

ب - السلطة التشريعية : مجلس الأمة

ج - السلطة القضائية

٢- التنظيم السياسى

أ - حل الأحزاب السورية .

ب - الاتحاد القومى

المبحث الأول

النظام السياسي

لم يسر النظام السياسي في الجمهورية العربية المتحدة على نسق واحد ان النظام السياسي العام للدولة كان رئاسيا كما نص الدستور ، ولكن نظام الوزارة التى جرت عليه الجمهورية العربية المتحدة قد تغير عدة مرات . فبينما قامت وزارة مركزية للجمهورية العربية المتحدة الى جانب مجلسين تنفيذيين لكل من الاقليم المصرى والاقليم السورى فى بداية دولة الوحدة ، تغير الأمر واصبح للدولة وزارة موحدة فى نهاية عمر دولة الوحدة .

ذلك يرجع الى التطورات الكثيرة التى شهدتها دولة الوحدة خلال سنواتها (١) ، وخاصة فيما يتعلق بالسلطة التنفيذية . كان أهم تلك التطورات انابة المشير عبد الحكيم عامر وتمثيله للرئيس جمال عبد الناصر فى شئون الاقليم السورى . وبعد شهر فى الانابة والتمثيل استقال الوزراء البعثيون فى مراكزهم فى السلطة ، ان فى الوزارة المركزية أو المجلس التنفيذى للاقليم السورى .

أما فيما يخص السلطة التشريعية والسلطة القضائية فلم يحدث فيها أى تغيير فقد بقيتا على حالهما كما نص عليهما الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة

وعلى ذلك فان هذا المبحث سيتناول السلطات فى الجمهورية العربية المتحدة بالاضافة الى التنظيم السياسى الذى وجد فى الدولة . ولم يقم التنظيم السياسى الا بعد أن حلت الاحزاب السورية نفسها بعد أن صدر قرار جمهورى يحل تلك الاحزاب ومنعها من مباشرة اى نشاط ، مهما كان نوعه ، فى الجمهورية العربية المتحدة .

هذا أهم مايتعلق بالنظام السياسى للجمهورية العربية المتحدة سنتناوله على الشكل التالى :ـ

١ـ السلطات

أ ـ السلطة التنفيذية : رئيس الجمهورية .

١ـ الوزارات : المركزية والتنفيذية

٢ـ المشير عامر يمثل وينوب عن الرئيس فى شئون سوريا

٣ـ استقالة الوزراء البعثيين

٤ـ الوزارة الموحدة

ب ـ السلطة التشريعية : مجلس الامة

ج ـ السلطة القضائية

٢ـ التنظيم السياسى

أ ـ حل الاحزاب السورية

ب ـ الاتحاد القومى

أ ـ السلطة التنفيذية

يمثل رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية في الجمهورية العربية المتحدة وجاء هذا التمثيل كحق قانوني لرئيس الجمهورية بموجب المادة (٤٤) من الدستور المؤقت : " يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين في الدستور " .

ورئيس الجمهورية هو الذي يعين نواب الرئيس ويعفيهم من مناصبهم ، كما أنه يعين الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويحيل بالاشتراك مع مجلس الامة الوزراء الى المحاكمة عما يقع منهم من جرائم في تأدية أعمال وظائفهم . ويقترح الرئيس القوانين ويعترض عليها ويصدرها . وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة ويرتب المصالح العامة ويبرم المعاهدات ... ويعلن حالة الطوارئ .

وبالاجمال فان رئيس الجمهورية قد جمع في شخصه رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة . وليست المجالس التنفيذية الا هيئات استشارية وتحضيرية " تختص بدراسة الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم " (١) .

ومن الناحية العملية ، وبالرغم من تحديد الاختصاصات بموجب الدستور المؤقت وتعيين النظام الذي تسير عليه السلطات الثلاث في الدولة فلقد قام بالنسبة لنظام الحكم في ايام الوحدة لجان ثلاث : تشريعية وتنفيذية واقتصادية . واختصاص كل منها محدد . وهي التي كانت تبحث جميع الموضوعات ثم تعرضها على رئيس الجمهورية بوصفه رئيسا للسلطة التنفيذية للتوقيع . وكانت هذه اللجان موجودة في سوريا كما كانت موجودة في مصر ، وكانت تجتمع في الوزارة المركزية وتناقش كل مايتعلق بالسياسة الخارجية بالتفصيل (٢) .

١ ـ الوزارات : المركزية والتنفيذية

لقد مرت على تشكيلات الوزارة المركزية والمجلسين التنفيذيين عدة تغيرات وتبدلات . ولنتتبع هذه التغيرات والتبدلات بالتدريج .

كان من الطبيعي ان يتولى ، الى جانب رئيس الجمهورية ، مساعدين له في التنفيذ لمختلف الشئون في الدولة .

وما ان صدر اعلان أول فبراير عام ١٩٥٨ بقيام الجمهورية العربية المتحدة حتى بدأت مظاهر النظام السياسي الذي ستسير عليه الدولة الجديدة يظهر ويأخذ شكله في التدريج .

وبما أن الدولة الجديدة قد قامت من اقليمين هما السوري والمصري ، فمن الطبيعي أن يتشكل لكل اقليم مجلس ينفذ سياسة الدولة فيه .

(١) راجع تحليل نصوص الدستور المؤقت

(٢) [illegible] ١٩٦٣ ـ ١٥

وقبل أن يتشكل ، ماعرف فيما بعد باسم المجلسين التنفيذيين للاقليمين ، طالعتنا جريدة (الاهرام) بالتالى :

مجلس تنفيذى لاقليم مصر ومجلس تنفيذى لاقليم سوريا

ستشكل وزارة مركزية فى القاهرة يختار رئيس الجمهورية العربية المتحدة وزراءها ، كذلك يعين رئيس الجمهورية مجلسا تنفيذيا فى القاهرة ومجلسا تنفيذيا فى دمشق .

وسيكون المجلس التنفيذى بمثابة وزارة محلية تشرف على شئون الحكم ومشاريعه فيما عدا الدفاع والسياسة الخارجية . أى انها ستكون وزارات للبناء والانشاء والتعمير والصحة والتعليم والمواصلات والتموين والأمن الداخلى والقضاء .

وسيكون للمجلس التنفيذى لاقليم مصر رئيس ، كذلك سيكون هناك رئيس للمجلس التنفيذى لاقليم سوريا .(١)

اعلن الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة فى الخامس من مارس عام ١٩٥٨ ، وفى اليوم التالى لصدوره ، أى فى السادس من مارس أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتعيين نواب للرئيس ووزراء مركزيين وتنفيذيين .

وكان هذا التشكيل للوزارة هو أول عمل يستند الى الدستور المؤقت .

تكونت الوزارة الاولى لدولة الوحدة من (٣٤) وزيرا فيها :

٤ نواب لرئيس الجمهورية
، ٢٤ وزيرا فى مصر
، ١٤ وزيرا فى سوريا
، نائب وزير واحد

وكان التشكيل على النحو التالى :-

---

(١) الاهرام فى فبراير سنة ١٩٥٨ .

الاسم	المنصب	الاقليم	مركزى
السيد عبد اللطيف بغدادى	نائبا للرئيس		
" عبد الحكيم عامر	" " ووزيرا للحربية		مركزى
" اكرم الحورانى	" "		
" صبرى العسلى	" "		
" زكريا محى الدين	وزيرا للداخلية		مركزى
" عبد الحميد السراج	" "	السورى	
" حسين الشافعى	" للتخطيط والشئون الاجتماعية	المصرى	
" حسن جباره	وزيرا للتخطيط	السورى	
" مصطفى حمدون	" للشئون الاجتماعية	"	
" كمال الدين حسين	" للتربية والتعليم		مركزى
" نور الدين طراف	" للصحة	المصرى	
" شوكت القنواتى	" "	السورى	
" أحمد حسنى	" للعدل	المصرى	
" عبد الوهاب حومد	" "	السورى	
" فتحى رضوان	" للارشاد القومى		مركزى
" محمود فوزى	" للخارجية		مركزى
" صلاح الدين البيطار	" للدولة		مركزى
" احمد حسن الباقورى	" للاوقاف		مركزى
" أحمد عبده الشرباصى	" للاشغال	المصرى	
" نور الدين كحاله	" "	السورى	
" محمد ابونصير	" للشئون البلدية والقروية	المصرى	
" أحمد عبد الكريم	" " "	السورى	
" عبد المنعم القيسونى	وزيرا للاقتصاد والتجارة	المصرى	
" خليل الكلاس	" " "	السورى	
" كمال رمزى استينو	" للتموين	المصرى	
" سيد مرعى	" للزراعة	المصرى	
" أحمد الحاج يونس	" "	السورى	
" فاخر الكيالى	" للخزانة	السورى	
" حسن عباس زكى	" "	المصرى	
" على صبرى	" للدولة لشئون رئاسة الجمهورية		مركزى
" عزيز صدقى	وزيرا للصناعة		مركزى

الاســـم	المنصــب	الاقليم	مركزى
السيد / مصطفى خليل	وزيرا للمواصلات	المصرى	
" أمين النافورى	" "	السورى	
" فتحى رزق	نائبا لوزير الحربية		مركزى

وتحددت اختصاصات ومهام نواب الرئيس الاربعة على الشكل التالى :ـ

١ـ السيد / عبد اللطيف البغدادى للتخطيط والتعمير .
٢ـ " عبد الحكيم عامر للدفاع والقوات المسلحة
٣ـ " صبرى العسلى للسياسة العربية (١)
٤ـ " أكرم الحورانى للخدمات الاجتماعية .

---

(١) راجع نص قانون رئيس الجمهورية بالنشرة التشريعية المصرية عدد مارس ١٩٥٨ . وهى عبارة عن مجموعة القوانين التى يصدرها رئيس الجمهورية ، ونواب الرئيس والوزراء ، تجمع كل شهر وتوضع فى مجلد يحمل اسم الشهر الذى صدر فيه .

على أن الرئيس عبد الناصر مالبث أن وقع قرارا بتوزيع الاختصاصات على نواب الرئيس ، وقد جاءت هذه الاختصاصات محددة على الشكل التالي :-

١- السيد عبد اللطيف البغدادي : يختص بالمسائل الاقتصادية والانتاجية والتخطيط ومراقبة عمليات تنفيذها .

٢- ٢- السيد أكرم الحوراني : يختص برسم وتنسيق السياسة العامة للخدمات والرقابة التنفيذية لها .

٣- السيد صبري العسلي : يختص برسم وتنسيق شئون الوحدة بين الاقليمين والنواحي العامة لها .

٤- السيد عبد الحكيم عامر : يختص بالقوات المسلحة .

كذلك فقد تقرر ان تتألف في الاقليم السوري ثلاث لجان وزارية : لجنة للشئون الاقتصادية يرأسها وزير التخطيط في الاقليم السوري ، وينضم الى عضويتها وزراء الاقتصاد والتجارة والزراعة والمواصلات والاشغال .

وتبحث هذه اللجنه وتنسق مسائل التموين في سوريا وتنسق المسائل العاجلة لانعاش الاقتصاد في الاقليم وترفع تقاريرها الى عبد اللطيف البغدادي .

وتتألف لجنة تشريعية اخرى للخدمات ، وهذه ترفع تقاريرها الى الحوراني .

وكذلك ستفصل اللجان الوزارية في الاقليم المصري (١) .

تشكيل المجالس التنفيذية :

من ضمن القرارات التي اصدرها رئيس الجمهورية قرار خاص بتشكيل المجالس التنفيذية على النحو التالي :-

م١- يشكل المجلس التنفيذي في كل من الاقليم المصري والسوري من السادة نواب الرئيس والوزراء في كل اقليم .

م٢- يختص المجلس التنفيذي بدراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم . (٢)

وسيكون المجلسان التنفيذيان برياسة نواب رئيس الجمهورية بترتيب الاقدمية ومعنى هذا ان المجلس التنفيذي للاقليم السوري سوف يكون برياسة السيد اكرم الحوراني باعتباره رئيسا سابقا لمجلس النواب السوري ، ورئيس مجلس النواب كان يعتبر نائبا لرئيس الجمهورية (٣) .

---

(١) الاهرام بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٩٥٨

(٢) النشرة التشريعية المصرية عدد مارس سنة ١٩٥٨

(٣) الاهرام في ٢٦ مارس سنة ١٩٥٨

أما المجلس التنفيذى للاقليم المصرى فسوف يكون برياسة السيد عبد اللطيف البغدادى •

وفى نفس التاريخ السابق صدرت عن رئيس الجمهورية عدة قرارات بانشاء لجان تنفيذية للاقليمين •

لجنة تنفيذية للاقليم المصرى :

١ـ تشكل فى الاقليم المصرى لجنة وزارية للشئون التنفيذية من السادة : وزير الداخلية رئيسا والوزراء الاقليميين للتربية والتعليم والتموين والمواصلات والصحة والاوقاف والاشغال •

٢ـ تختص هذه اللجنة بدراسة المسائل التنفيذية والاتفاق عليها على أن ترفع اللجنة ماتتخذه من قرارات بشأن هذه المسائل الى رئيس الجمهورية "١" •

لجنة تنفيذية للاقليم السورى :ـ

١ـ تشكل فى الاقليم السورى لجنة وزارية للشئون التنفيذية من السادة اكرم الحورانى رئيسا ووزير الخزانة ووزراء الداخلية والشئون الاجتماعية والمواصلات بالاقليم الشمالى •

٢ـ اختصاصاتها مثل اختصاصات اللجنة التنفيذية للاقليم المصرى (٢) •

هذا ، وفى نفس الوقت فقد شكلت اللجان التالية :ـ

أ ـ لجنة تشريعية للاقليم المصرى
ب ـ لجنة " " السورى

واختصاصهما دراسة جميع المسائل التى تعرض على مجلس الامة بما فى ذلك القرارات المالية وتفع قراراتها بهذا الشأن الى رئيس الجمهورية •

جـ ـ لجنة اقتصادية للاقليم السورى
د ـ " " " المصرى

تختصان ببحث وتنسيق السياسة الاقتصادية وشئون التموين بكل اقليم ومناقشة المسائل العاجلة المتصلة بانعاش الاقتصاد القومى •

هـ ـ لجنة للخدمات بالاقليم المصرى •
و ـ لجنة للخدمات بالاقليم السورى •

مهمتهما رسم وتنسيق سياسة الخدمات بالاقليم وبحث جميع المسائل العاجلة المتصلة بالخدمات (٣) •

---

(١) النشرة التشريعية المصرية عدد مارس ١٩٥٨

تلك كانت أهم القرارات المنظمة لاختصاصات نواب الرئيس والمجلسين التنفيذيين والحكومة المركزية .

ولكن لم تكد تمضى بضعة اشهر على العمل بالنظام السابق حتى تغير الامر فى الاسبوع الاول من اكتوبر .

استمر العمل بقرار رئيس الجمهورية الصادر فى ٣١ مارس عام ١٩٥٨ حتى ٧ أكتوبر نفس العام حيث صدرت قرارات رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاضية بتأليف الحكومة المركزية وتأليف المجلس التنفيذى للاقليم المصرى وتأليف المجلس التنفيذى للاقليم السورى . وذلك بمقتضى القرار رقم ١٢٩٩ لسنة ١٩٥٨ والقرار رقم ١٣٠١ لسنة ١٩٥٨ والقرار رقم ١٣٥٢ لسنة ١٩٥٨ (١) .

والهدف من التشكيل الجديد هو الاسراع بتوحيد النظم المختلفة السائدة فى اقليمى الجمهورية والعمل على أن يسود فيها نظام مشترك واحد .

الحكومة المركزية :—

من استعراض نصوص قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم ١٢٩٩ لسنة ١٩٥٨ بتأليف الحكومة المركزية نلاحظ التالى :—

١— تولى ثلاثة نواب لرئيس الجمهورية ثلاث وزارات مختلفة فى الحكومة المركزية بالاضافة الى مناصبهم كنواب للرئيس . وهذه الوزارات هى الحربية والعدل وشئون التخطيط .

٢— وتولى ثمانية عشر وزيرا ثمانى عشرة وزارة مركزية . وهذه الوزارات هى : الداخلية ، الشئون الاجتماعية والعمل ، التربية والتعليم ، الخزانة ، الاوقاف ، الخارجية ، الثقافة والارشاد القومى ، الاشغال العمومية والاقتصاد ، التموين الصناعة ، الزراعة والاصلاح الزراعى ، الشئون البلدية والقروية ، المواصلات ، الصحة العمومية ، وثلاثة وزراء آخرين : اثنان وزراء دولة والثالث لشئون رياسة الجمهورية .

المجلسين التنفيذيين :—

أ — المجلس التنفيذى للاقليم المصرى :—

تألف هذا المجلس بموجب قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٠١ لسنة ١٩٥٨ وتكون من أربعة عشر وزيرا . يتولون الوزارات التالية : العدل ، الشئون البلدية والقروية ، المواصلات ، الاقتصاد ، الصناعة ، الثقافة والارشاد القومى ، الداخلية ، الصحة العمومية ، الاشغال العمومية ، التربية والتعليم ، الزراعة ، الاصلاح الزراعى ، الخزانة ، الشئون الاجتماعية والعمل . ويرأس المجلس التنفيذى رئيس يعتبر وزيرا للدولة فى الوزارة المركزية وذلك طبقا للقرار رقم ١٣٠٣ لسنة ١٩٥٨ .

---

(١) راجع النشرة التشريعية المصرية عدد أكتوبر ١٩٥٨ .

ب — المجلس التنفيذي للاقليم السوري :—

تألف المجلس التنفيذي للاقليم السوري بموجب القرار رقم ١٣٠٢ لسنة ١٩٥٨ وتكون من ثلاثة عشر وزيرا يتولون وزارات متماثلة للوزارات في المجلس التنفيذي المصري •

ويلاحظ ان وزارة الاشغال قد تولاها رئيس المجلس التنفيذي في الاقليم السوري علاوة على رئاسته لهذا المجلس واعتباره كذلك وزيرا للدولة في الوزارة المركزية •

من تشكيل الحكومة المركزية والمجلسين التنفيذيين يتضح بعض النقاط منها :

١— يوجد وزارات موحدة للاقليمين معا يشمل اختصاص كل وزارة منها شئون الاقليم المصري والاقليم السوري معا • مثل وزارة الحربية والاوقاف والخارجية •

٢— اما باقي الوزارات فهي وزارات دولة • بالاضافة الى وجود وزارة لشئون رياسة الجمهورية •

٣— هناك أربع عشرة وزارة متماثلة في كل من الحكومة المركزية والمجلس التنفيذي لكل من الاقليمين •

٤— عهد بوزارة التخطيط الى احد نواب رئيس الجمهورية في الحكومة المركزية • وعهد بها بطريق الانتداب الى رئيس المجلس التنفيذي للاقليم السوري •

اختصاص الوزراء المركزيين والوزراء التنفيذيين :—

علمنا فيما سبق أن اختصاصات الوزارات الموحدة يشمل الاقليمين معا طالما ان هناك وزير واحد لوزارة واحدة في الجمهورية باقليميها •

أما وزارات الدولة فانها لا تثير صعوبات من ناحية اختصاصها • حيث يعتبر وزراء الدولة وزراء مركزيون •

ولكن كيف الامر بالنسبة للوزارات المتماثلة ؟ ونقصد بالوزارات المتماثلة التي تتكون كل وزارة منها من وزارة مركزية ووزارة تنفيذية لكل اقليم من اقليمي الجمهورية •

ولنضع السؤال بصيغة اخرى : ما هو اختصاص كل من الوزارة المركزية والوزارة التنفيذية ؟ بمعنى كيف نحدد اختصاص كل من الوزير المركزي والوزير التنفيذي لكل اقليم من الاقليمين في كل وزارة من الوزارات المتماثلة ؟

الاجابة على الاسئلة السابقة تضمنها قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٥٨ بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٨ • وهو القرار الذي يحدد اختصاصات كل من الوزراء المركزيين والوزراء التنفيذيين من جهة واختصاص المجلس التنفيذي لكل اقليم من جهة ثانية (١) •

(١) راجع النشرة التشريعية عدد اكتوبر سنة ١٩٥٨



ويمكن تحديد تلك الاختصاصات بالتالي :—

أ — الوزير المركزي

١— يتولى الوزير المركزي الاشراف على شئون وزارته وينفذ السياسة العامة التي يضعها رئيس الجمهورية • ومسئوليته عن القيام باعمال منصبه امام رئيس الجمهورية (م ١) •

٢— يقدم الوزير المركزي الى رياسة الجمهورية مشروعات القوانين ومشروعات القرارات المالية والقرارات التنفيذية الخاصة بالاقليم الجمهورية (م ٦)

٣— يتولى كل وزير مركزي وضع برنامج تخطيطي للمشروعات اللازمة في وزارته ويعتمد هذا البرنامج بقرار من رئيس الجمهورية (م ٦ ايضا) •

٤— يقوم الوزير التنفيذي بالعمل على تنفيذ البرنامج المذكور سابقا • ويقدم الـــــــــوزير المركزي تقارير دورية عن مدى سير المشروعات وبيان ما تم منها (م ٦ ايضا) •

٥— يختص المجلس التنفيذي بدراسة وفحص الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم (م ٧) •

٦— يعرض رئيس المجلس التنفيذي توصيات المجلس على رئيس الجمهورية (م ٧) •

ويستخلص من هذا التحديد للاختصاصات عدة ملاحظات هي :—

أ — ان اختصاص الوزير المركزي بالنسبة للقوانين والقرارات أو البرامج التخطيطية الموحدة يقتصر على مجرد وضع مشروعات لها دون ان يبت فيها أو يقررها بمعنى ان ليس له اية صفة تنفيذية •

ب— حتى يمكن تحويل المشروعات الى قوانين نافذة وملزمة في اقليم الجمهوريـــة يقدمها الوزير المركزي الى رئيس الجمهورية فيعتمدها ويقرها ويصدرهـــا • وبهذا يصبح لها الصفة التنفيذية •

جـ — بعد ذلك يتولى كل وزير تنفيذي تنفيذ تلك القوانين أو القرارات أو البرامج التخطيطية في حدود الاقليم الخاص الذي تختص به وزارته التنفيذية •

د — يعتبر الوزير المركزي الرئيس الاداري الاعلى لوزارته المركزية (١)

هـ — على أنه يمكن اعتبار رئيس الجمهورية الرئيس الاداري الاعلى الذي يشغـــل قانونا اعلى درجات السلم الاداري لجميع الوزارات مادام ان له وحده سلطة البت والتقرير النهائي • واعتبار الوزير المركزي مجرد معاون في هذا الخصوص • (٢)



ويمكن تحديد تلك الاختصاصات بالتالى :-

أ - الوزير المركزى

١- يتولى الوزير المركزى الاشراف على شئون وزارته وينفذ السياسة العامة التى يضعها رئيس الجمهورية . ومسئوليته عن القيام باعمال منصبه امام رئيس الجمهورية (م ١) .

٢- يقدم الوزير المركزى الى رياسة الجمهورية مشروعات القوانين ومشروعات القرارات العالية والقرارات التنفيذية الخاصة بالاقليم الجمهورية (م ٦)

٣- يتولى كل وزير مركزى وضع برنامج تخطيطى للمشروعات اللازمة فى وزارته ويعتمد هذا البرنامج بقرار من رئيس الجمهورية (م ٦ ايضا) .

٤- يقوم الوزير التنفيذى بالعمل على تنفيذ البرنامج المذكور سابقا ، ويقدم الوزير المركزى تقارير دورية عن مدى سير المشروعات وبيان ماتم منها (م ٦ ايضا) .

٥- يختص المجلس التنفيذى بدراسة وفحص الموضوعات التى تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم (م٧) .

٦- يعرض رئيس المجلس التنفيذى توصيات المجلس على رئيس الجمهورية (م٧) .

ويستخلص من هذا التحديد للاختصاصات عدة ملاحظات هى :-

أ - ان اختصاص الوزير المركزى بالنسبة للقوانين والقرارات أو البرامج التخطيطية الموحدة يقتصر على مجرد وضع مشروعات لها دون ان يبت فيها أو يقررها بمعنى ان ليس له اية صفة تنفيذية .

ب- حتى يمكن تحويل المشروعات الى قوانين نافذة وملزمة فى اقليمى الجمهورية يقدمها الوزير المركزى الى رئيس الجمهورية فيعتمدها ويقرها ويصدرها . وبهذا يصبح لها الصفة التنفيذية .

جـ - بعد ذلك يتولى كل وزير تنفيذى تنفيذ تلك القوانين أو القرارات أو البرامج التخطيطية فى حدود الاقليم الخاص الذى تختص به وزارته التنفيذية .

د - يعتبر الوزير المركزى الرئيس الادارى الاعلى لوزارته المركزية (١) .

هـ - على أنه يمكن اعتبار رئيس الجمهورية الرئيس الادارى الاعلى الذى يشغل قانونا اعلى درجات السلم الادارى لجميع الوزارات مادام ان له وحده سلطة البت والتقرير النهائى . واعتبار الوزير المركزى مجرد معاون فى هذا الخصوص (٢) .

---

(١) ...

ب — الوزير التنفيذى :—

١— ينفذ السياسة العامة للحكومة ، كما يقوم بتنفيذ القوانين واللوائح فى جميع اعمال الوزارة التنفيذية فى الاقليم (م٥ من القرار رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٥٨) .

٢— ينفذ البرامج التخطيطية التى يضعها الوزير المركزى بعد اعتماد من رئيس الجمهورية وذلك فى الاقليم الذى تختص به كل وزارة تنفيذية .

٣— يقدم للوزير المركزى تقارير دوريه عن مدى سير المشروعات وبيان ماتم منهـا (م٦ ف٣) .

٤— الوزير التنفيذى هو الرئيس الادارى الاعلى لوزارته . وهو المشرف على وزارته لايكون للوزير المركزى ادنى رقابة عليه ..

قلنا فيما سبق ان الوزير التنفيذى يقدم اثناء قيامه بتنفيذ برامج ومشروعات وزارته التنفيذية تقارير دوريه للوزير المركزى عن مدى سيرها وماتم تنفيذه منها .

وهنا يثور سئوال هو " عما اذا كان يقصد بذلك اشراف الوزير المركزى على مايقوم به الوزير التنفيذى من اعمال التنفيذ هذه ؟ "(١)

ان مسئولية الوزير التنفيذى هى امام رئيس الجمهورية فقط ، وكذلك الوزير المركزى . اذا لا اشراف ولا رقابة يمكن للوزير المركزى ان يقوم بهما على اعمال الوزير التنفيذى " لأن الاشراف يستتبع تقرير المسئولية أمام شخص المشرف . الامر الذى لايتحقق هنا بمسئولية الوزير التنفيذى أمام الوزير المركزى وتحققها مباشرة أمام رئيس الجمهورية وحده "(٢) .

اذا ما معنى التقارير الدورية التى يقدمها الوزير التنفيذى الى الوزير المركزى ؟

لايقصد بها تقرير اشراف الوزير المركزى على الوزارة التنفيذية " وانما قصد بها متابعة الوزير المركزى التنفيذ العملى لهذه البرامج حتى يتعرف ماقد يعترضها من عقبات عملية اثناء تنفيذها فى كل اقليم على حده ، مادام ان هذه البرامج انما تطبق فى اقليمى الجمهورية فى ظروف عملية مختلفة . وبذلك يتمكن ان يتلافى هـذه المعقبات مستقبلا ... "(٣) .

اختصاص المجلسين التنفيذيين :—

يمكن تلخيص اختصاصات هذين المجلسين كما جاءت بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٥٨ بالتالى :—

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٣ .

(٣) " " ، ص ٤٩٣ .

١ـ يختص المجلس التنفيذى بدراسة وفحص الموضوعات المتعلقة بتنفيذ السياسة العامة للاقليم (م٧) •

٢ـ يعرض رئيس المجلس التنفيذى توصيات المجلس على رئيس الجمهورية (م٧ ايضا)

ونستخلص من ذلك عدة ملاحظات :ـ

أ ـ المجلس التنفيذى لكل اقليم مجرد هيئة استشارية مختصة بدراسة وفحص الموضوعات المتعلقة بتنفيذ السياسة العامة للاقليم التى يضعها رئيس الجمهورية •

ب ـ ليس له سلطة البت والتقرير فى أى مسألة من المسائل المعروضة عليه •

جـ ـ بما ان المجلس التنفيذى لكل اقليم عبارة عن هيئة استشارية فهو ليس بمجلس وزراء بالمعنى المتعارف عليه قانونا لهذا المجلس (١) •

ثم أعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارات المركزية والتنفيذية فى الجمهورية العربية المتحدة وذلك فى الثامن من أكتوبر عام ١٩٥٨ •

ومايلفت النظر فى التشكيل الجديد :

---

(١) راجع الملحق رقم ٨ الخاص بنظام الحكم واختصاصات الحكومة المركزية والمجلسين التنفيذيين • والملحق رقم ٩ الخاص بمحاكمة الوزراء فى ج •ع•م•

تشكيل الوزارتين المركزية والتنفيذيتين في ج.ع.م.

أ - لقد ارتفع عدد الوزراء من ٣٤ الى ٥٠ وزيرا .

ب - انخفض عدد نواب الرئيس من أربعة الى ثلاثة .[1]

جـ - الوزارة المركزية تضم ١٤ مصريا و ٧ سوريين .

الوزارة المركزية :-

الوزير	الوزارة
١ - عبد اللطيف البغدادي	نائب الرئيس وللتخطيط
٢ - المشير عبد الحكيم عامر	نائب الرئيس وللحربية
٣ - اكرم الحوراني	" " وللعدل
٤ - زكريا محي الدين	الداخلية
٥ - حسين الشافعي	الشئون الاجتماعية والعمل
٦ - كمال الدين حسين	للتعليم
٧ - د . محمود فوزي	الخارجية
٨ - حسن جباره	للخزانة
٩ - د . عبد المنعم القيسوني	الاقتصاد
١٠ - أحمد عبده الشرباصي	الاشغال
١١ - احمد حسن الباقوري	الاوقاف
١٢ - فاخر الكيالي	وزير دولة
١٣ - صلاح البيطار	الثقافة والارشاد القومي
١٤ - علي صبري	وزير دولة لشئون الرئاسة
١٥ - امين النفوري	المواصلات
١٦ - بشير العظمة	الصحة
١٧ - احمد عبد الكريم	الشئون البلدية والقروية
١٨ - د . عزيز صدقي	الصناعة
١٩ - كمال رمزي ستينو	التموين
٢٠ - د . سيد مرعي	الزراعة والاصلاح الزراعي
٢١ - كمال الدين رفعت	وزير دولة .

---

(١) استقال صبري العسلي كنائب للرئيس بعد ورود اسمه في محاكمات بغداد بعد ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ، لذلك جاء التشكيل الجديد للوزارة على الشكل السابق ، وبقي هذا التشكيل حتى استقالة الوزراء البعثيين في عام ١٩٥٩ ، وأدخل تعديلا طفيفا على الوزارات الى ان شكلت الوزارة الموحدة للجمهورية كلها في شهر أغسطس عام ١٩٦١ كما [illegible] .

الاقليم المصرى

المجلس التنفيذى

	الاسم	المنصب
١-	نور الدين طراف	رئيس المجلس التنفيذى
٢-	أحمد حسنى	العدل
٣-	محمد ابو نصير	القروية والبلدية
٤-	د. مصطفى خليل	المواصلات
٥-	حسن عباس زكى	الاقتصاد
٦-	فتحى رزق	الصناعة
٧-	ثروت عكاشه	الثقافة والارشاد
٨-	توفيق عبد الفتاح	الشئون الاجتماعية والعمل
٩-	عباس رضوان	الداخلية
١٠-	محمد المحروقى	الزراعة
١١-	حسن بغدادى	الاصلاح الزراعى
١٢-	موسى عرفه	الاشغال
١٣-	محمد نصار	الصحة
١٤-	حسن صلاح الدين	المالية
١٥-	احمد نجيب هاشم	التربية والتعليم

الاقليم السورى

المجلس التنفيــــذى

	الاسم	المنصب
١-	نور الدين كحاله	رئيس المجلس التنفيذى والتخطيط
٢-	عبد الوهاب حومد	المالية
٣-	خليل كلاس	الاقتصاد
٤-	مصطفى حمدون	الاصلاح الزراعى
٥-	عبد الحميد السراج	الداخلية
٦-	نهاد القاسم	العدل
٧-	احمد الحاج يونس	الزراعة
٨-	شوكت قنواتى	الصحة
٩-	محمد علم	المواصلات
١٠-	عبد الغنى قنوت	العمل والشئون الاجتماعية
١١-	رياض المالكى	الثقافة والارشاد
١٢-	امجد الطرابلسى	التربية والتعليم
١٣-	وجيه السمان	الصناعة
١٤-	[illegible]	وزير الشئون البلدية والقروية

٢ ـ المشير عامر يمثل الرئيس وينوب عنه في شئون سوريا

أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا في ١٩٥٩/١٠/٢١ بندب المشير عبد الحكيم عامر القيام بالاشراف على شئون الاقليم السوري نيابة عن الرئيس .

بهذا القرار اعطى المشير سلطات واسعة لرسم وتنسيق شئون الوحدة بين اقليمي الجمهورية (١) ، على أن يكون الوزراء التنفيذيون في الاقليم السوري مسئولين أمامه بمقتضى هذا القرار الذي يبدأ تنفيذه ابتداء من ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٩ .

ويمكن حصر المهام التي أوكلت للمشير بالتالية :ـ

١ ـ يتولى الاشراف على تنفيذ السياسة العامة في الاقليم السوري .
٢ ـ يتولى تنظيم وادارة الحكم في الاقليم السوري والاشراف على كل مايتعلق بتنظيم المصالح والادارات والهيئات والمؤسسات العامة .
٣ ـ يشرف على تنظيم الاتحاد القومي في الاقليم السوري .

وله في سبيل ذلك :ـ

أ ـ ان يصدر القرارات والاوامر التي تدخل في اختصاص رئيس الجمهورية .
ب ـ ان يعد برامج المشروعات اللازمة للاقليم السوري ومتابعة تنفيذها .
جـ ـ ان ينظر في توصيات المجلس التنفيذي وفي مشروعات القوانين وان يعرضها على رئيس الجمهورية .

أما مبررات كل تلك السلطات الواسعة فقد قدمتها جريدة الاهرام ويمكن اجمالها بالتالي :ـ

" وصفت الاذاعات الخارجية كلها مهمة المشير عامر في الاقليم السوري بانها أهم حدث في الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام الوحدة بين مصر وسريا وقالت بان كل تلك القرارات التي كلف بموجبها المشير عامر في مهمته بسوريا كانت صباح امس على كل صحيفة في العالم وفي كل اذاعة .

"وعلم مندوب (الاهرام) ان مهمة المشير عامر تقررت منذ اكثر من شهر ، ودار بحثها في اجتماعات طويلة عقدها الرئيس وحضرها نواب الرئيس الثلاثة : عامر والحوراني والبغدادي (٢) كما حضرها غيرهم من كبار المسئولين في الجمهورية العربية المتحدة

---

(١) كانت هذه المهمة من اختصاص نائب الرئيس صبري العسلي ، ولكنه كان قد استقال من جميع مناصبه في الدولة بعد ورود اسمه في محاكمات بغداد بعد ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ . ورد اسمه انه كان يتلقى أموالا من نوري السعيد . وبرر هذا العسلي للرئيس عبد الناصر بانه يفوض الاطاحة باديب الشيكلي .

(٢) الاهرام في ١٩٥٩/١٠/٢٢ ، انظر محمد حسنين هيكل ...

ثم تابعت (الاهرام) فبررها لتكليف المشير بان هناك امران هامان دعيا الى التكليف : الاول ان الذين ساءتهم الوحدة يعملون ضدها بكل الوسائل العلنية والخفية . والثانى متصل بالاول . وهو تثبيت الوحدة . وهذا بدوره يحتاج الى ان تثبت الجمهورية العربية المتحدة حيويتها فى مواجهة اعدائها وفى معركة البناء الداخلى والانتاج فى جميع الميادين .

لهذا كله . كان لابد على الفور من :-

١- سلطة عليا تستطيع ان تبت فى دمشق وتقرر وتحسم .

٢- تعبئة كاملة فى دمشق تكفل رسم السياسة العامة ودفع تنفيذها .

٣- الاسراع فى اقامة الاتحاد القومى كبناء سياسى ينظم النشاط فى الاقليم السورى ويصونه .(١) ويوجه الجهود جميعها ويرتفع على جميع النزعات .

أما لماذا اختير المشير عامر بالذات فلأن " المشير الى جانب كونه نائبا لرئيس الجمهورية فهو فى الوقت نفسه القائد العام للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة . ثم هو كذلك رئيس اللجنة الاقتصادية المركزية"(٢) .

وبما أن المهام التى أوكلت الى المشير متعددة . فقد كان يصدر قرارات وأوامر بانشاء لجان لمساعدته فى القيام بمهامه .

من هذه اللجان . اللجنة مكونه من أربعة وزراء لمعاونته فى الاشراف على الاتحاد القومى بالاقليم الشمالى(٣) .

وأصدر المشير كذلك قرارا بتشكيل جهاز لمساعدته فى مهمته يتكون من :-

١- مكتب فنى .

٢- مكتب للشئون الاقتصادية .

٣- مكتب للشئون العامة .

٤- مكتب لأمانة السر .

وقد ألحقت هذه المكاتب بمكتب نائب رئيس الجمهورية بالاقليم الشمالى(٤) .

---

(١) الاهرام فى ٢٢/١٠/١٩٥٩ .

(٢) الاهرام فى ٢٣/١٠/١٩٥٩

(٣) تكونت هذه اللجنة من السادة : عبد الحميد السراج وزير الداخلية التنفيذى واحمد الحاج يونس وزير الزراعة وطعمة العودة الله وزير الشئون البلدية والقروية واحمد الطرابلسى وزير التربية والتعليم .

(٤) الاهرام فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

وأصدر المشير ايضا قرارا أمر بان يتولى السيد عبد الحميد السراج امانـــة سر الاتحاد القومى فى الاقليم السورى (١) .

ولنا على قرار رئيس الجمهورية المؤرخ فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٩ بتكليف عامـر بانابة الرئيس بمهامه فى الاقليم السورى عدة ملاحظات :-

أولا - كان ذلك القرار نقطة فاصلة بين مرحلتين فى دولة الوحدة . المرحلـة الاولى قيام الدولة الجديدة واستقرارها النسبى . والمرحلة الثانية ظهور بوادر فشل تجربة الوحدة .

ونقدم بهذا الخصوص عدة قرائن أهمها : كثرة المهام التى كلف القيام بها وشبه استحالة جمعها فى شخص واحد . وكان قد تشكلت لجنة ثلاثية من السادة عبد اللطيف البغدادى واكرم الحورانى وزكريـا محى الدين للاشراف على شئون الاقليم السورى ، فهل تكليف المشير اعلان عن فشل اللجنة الثلاثية .

ثانيا - اقترن تكليف المشير عامر بمهام الاقليم السورى بهجوم عنيف على الوحدة والجمهورية العربية المتحدة . وبدأ ينشر بين الناس اوصاف عديدة على الدولة منها "التسلط المصرى" و "الدكتاتورية الناصرية" و "الابتلاع" و "الضم" .

ثالثا - لم يمر سوى شهر وعشرة ايام على تكليف المشير عامر بمهام الاقليم السورى الا واستقال جميع الوزراء البعثيين من المجلس التنفيذى السورى والوزارة المركزية ، بما فيهم نائب رئيس الجمهورية اكرم الحورانى ، فهل تعيين المشير لمهام سوريا علاقة بهذه الاستقالة ، اذ وجد هؤلاء الوزراء انفسهم بلا سلطات امام السلطات الواسعة التى كلف بها المشير .

رابعا - هل هناك علاقة بين تكليف المشير بمهام الاقليم السورى وبين الصعوبات التى أخذت تواجهها دولة الوحدة فى عملية التنسيق والتكامل فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية بين الاقليمين .

---

(١) تشكلت هذه اللجنة الوزارية الثلاثية فى أواخر عام ١٩٥٨ واطلق عليهـــا لجنة وزارية ثلاثية عليا لشئون الاقليم السورى ، ومهمتها دائمة وغير محددة بوقت ، وانها مسئولة عن جميع شئون الاقليم الســـورى ، وكل مشروع تنتهى اللجنة من دراسته يبدأ تنفيذه فورا .



٣- استقالة الــوزراء البعثيين :

كنا في الفقرة السابقة قد طرحنا سؤالا حول مدى ارتباط استقالة الوزراء البعثيين من الحكم ، ان على صعيد الحكومة المركزية او المجلس التنفيذي للاقليم الشمالي ، بتعيين المشير نائبا عن الرئيس في الاقليم السوري وتكليفه بمهــام كافة شؤون الاقليم ، خاصة وان الفترة الزمنية التي فصلت بين التعيين والاستقالة لاتزيد على الشهر والعشرة ايام • فهل تكليف المشير والسلطات التي منحت له قد جردت المجلس التنفيذي السوري من أية سلطات له ؟

وكل الذي يمكن قوله في هذا الموضوع استنتاجا يعتمد على الحجج التي ساقها البعثيون اثناء جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية التي جرت في القاهرة سنة ١٩٦٣ والتي كان من نتيجتها توقيع ميثاق ١٧ أبريل بين الجمهورية العربية المتحــدة والعراق وسريا •

وقبل تقديم تلك الحجج هناك عدة ملاحظات :-

١- ان استقالة البعثيين لم تكن أول استقالة لسوريين من مسئولية الحكم فــي الجمهورية العربية المتحدة اذ سبق هذه الاستقالة بفترة طويلة استقالــة قائد الجيش الاول ، الفريق عفيف البزري (١) ولم يمض على قيام الدولــــة الجديدة اكثر من ايام معدودات •

٢- سبق الاستقالة الجماعية للوزراء البعثيين ، اعفاء السيد رياض المالكي وهو بعثي ، بقرار من رئيس الجمهورية من منصبه كوزير للثقافة والارشاد القومي للاقليم السوري (٢) •

٣- كان البعثيون يشتكون في ذلك الوقت من تصرفات المخابرات (والاجهزة على حد تعبيرهم) ، وبعد أن أعفي وزير الثقافة ، البعثي ، اصدر الرئيس عبــد الناصر قرارا جمهوريا يقضي بان تتبع مديرية الدعاية والانباء في الاقليم الشمالي السيد عبد الحميد السراج وزير الداخلية للاقليم الشمالي (وهذه اصـــلا من اختصاص وزير الثقافة والارشاد القومي •) ولكن اعتبر هذا القرار بطريقة او اخرى ، ضربة للبعثيين ، خاصة ان بينهم وبين السراج معركة غير سافــرة (٣) ثم مالبث ان عين المشير السيد السراج بامانة سر الاتحاد القومي للاقليم الشمالي وهذه ضربة اخرى توجه للبعثيين •

---

(١) استقال في النصف الثاني من شهر مارس ١٩٥٨ وبالتحديد في ٢٢ منه •

(٢) نشرت الاهرام خبر الاعفاء بتاريخ ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٩

(٣) والجدير بالذكر هنا ان الرئيس عبد الناصر كان قد اصدر قرارا بتعيين السراج وزيرا للاوقاف للاقليم الشمالي بالاضافة ...

٤ــ في الاشهر الاولى للوحدة عين نائب رئيس الجمهورية السيد اكرم الحوراني رئيسا للمجلس التنفيذي في الاقليم السوري ، ولكن البعث ان عين السيد نور الدين كحالة رئيسا لهذا المجلس بدلا منه . هذا مع أن القانون الذى تسلم بموجبه نواب الرئيس رئاسة المجلسين التنفيذيين للاقليمين قد قرر صراحة بأن رئاسة احد المجلسين لنواب الرئيس حسب اقدميته في هذه النيابة . وبما أن السيد اكرم الحوراني ، اقدم السوريين بهذه النيابة ، بوصفه رئيسا لمجلس النواب السوري سابقا فان احقيته برياسة المجلس التنفيذي للاقليم السوري لاجدال فيها . فهل كان لهذا الأمر دخل في قبول البعثيين فيما بعد انهم اصبحوا بدون اختصاص ؟

ويمكن ان نستخلص من مباحثات الوحدة الثلاثية ان الحجج التى ساقها البعثيين تبريرا لاستقالتهم هي التالية (١) :

١ــ انهم اصبحوا بدون اختصاص .. أي مناصب بلا عمل فعلي .

٢ــ انهم ضاقوا ذرعا من ملاحقة اجهزة المخابرات والمباحث لهم .

٣ــ ارادوا استعمال (قوائم الشطب) بالنسبة لترشيحات اللجان التنفيذية للاتحاد القومي ولم يأخذ رأيهم بعين الاعتبار .

٤ــ اقترحوا قيام (لجنة سرية) لحكم الاقليمين : ثلاثة سوريين وثلاثة مصريين . ولم يوافق رئيس الجمهورية على هذا الاقتراح (٢)

مهما يكن ، فلقد اصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بقبول استقالة السيد اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية ووزير العدل المركزي ، والسيد صلاح الدين البيطار وزير الارشاد المركزي ، والسيد مصطفى حمدون وزير الاصلاح الزراعي للاقليم السوري والسيد عبد الغني قنوت وزير الشئون الاجتماعية والعمل في الاقليم السوري (٣) وتبعهم في الاستقالة السيد خليل كلاس فاصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بقبول استقالة السيد خليل الكلاس وزير الاقتصاد التنفيذي بالاقليم الشمالي الذى قدم استقالته يوم ٣ يناير سنة ١٩٦٠ وقبلت في اليوم التالي اى ٤ يناير ١٩٦٠

وهنا كان لابد من تشكيل جديد للوزارة التنفيذية في الاقليم السوري . وعقب اقامة الرئيس عبد الناصر في سوريا التى استمرت من ١٤ فبراير سنة ١٩٦٠ الى ١٩ مارس من نفس العام اصدر بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٦٠ قرارا جمهوريا بتعيين سبعة وزراء جدد للاقليم الشمالي هم :ــ

---

(١) راجع الفقرة (٢) في الفصل الثاني في الباب الثالث (بعنوان البعث وموقفه من دولة الوحدة والانفصال) .

(٢) هذا ، وسيظهر العديد من المبررات التى ساقها البعثيون وقد ناقشناها بالتفصيل في حينه . ولمراجعة تفصيلات اقتراح اقامة (مجلس سري) او لجنة سرية لحكم الاقليمين في كتاب محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ٩١ ــ ٩٢ ، وكتاب نضال البعث " الجزء الرابع ص ٥٩ " .

السيد / حسني الصواف : وزيرا للاقتصاد
" اكرم ديري : " الصحة والشئون الاجتماعية
" جادو عز الدين : وزير دولة لشئون رياسة الجمهورية
" احمد حنيدي : وزير للاصلاح الزراعي
" يوسف مزاحم : " للاوقاف
" جمال الصوفي " للتموين
" ثابت العريس : " للثقافة والارشاد

وفي ٢٠ سبتمبر عام ١٩٦٠ اصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين السيد عبد الحميد السراج رئيسا للمجلس التنفيذي ووزيرا للدولة بالاضافة الى منصبه الاصلي كوزير للداخلية بالاقليم الشمالي (١)

واستمر هؤلاء الوزراء وغيرهم في العمل حتى ١٦ أغسطس حيث توحد المجلسان التنفيذيان والحكومة المركزية وأصبح للدولة حكومة موحدة .

ــــ حمدون وقنوت قدما استقالتهما في يوم ٢٣ ديسمبر وان الحوراني والبيطار قدماها يوم ٢٤ ديسمبر . وقبل الرئيس استقالة الاربعة يوم ٢٥ ديسمبر .

(١) الاهرام ٢١ سبتمبر ١٩٦٠

٤ـ الوزارة الموحدة

صدرت قوانين يوليو الاشتراكية وبصدورها انتقلت الدولة من مرحلة الى مرحلة ثانية . لقد تحددت بتلك القوانين شخصية الدولة الاقتصادية ، وانتقلت الى الاشتراكية .

وخلقت قوانين يوليو الاشتراكية فئات جديدة من الشعب وجعلتها صاحبة المصلحة فى هذه القوانين وبالنتيجة انتقلت موازين القوى الاجتماعية واصبحت الطبقة ذات المصلحة من الوحدة هى المستفيدة من المنجزات الاشتراكية .

وعندئذ كان لابد من التفكير بأفضل الوسائل التى يمكن لها أن تحمى المنجزات الاشتراكية ، واعتقد آنذاك ان وجود وزارة موحدة للجمهورية العربية المتحدة خير وسيلة للحماية . وكان من نتيجة التفكير بوزارة موحدة ان اعيد التفكير بتشكيل جديد لنظام الحكم السياسى للدولة .

وبالفعل فقد شكلت وزارة جديدة موحدة بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٦١

وفى التبريرات التى أعطيت لتلك الخطوة مايلى :ـ

أولا ـ يحقق التنظيم السياسى الجديد الوحدة بوجود وزارة واحدة للجمهورية العربية المتحدة .

ثانياـ ويحقق ايضا تحديد المسئوليات فى تنفيذ اعمال الدولة تحديدا كاملا وواضحا .

ثالثا ـ ويحقق منح القدرة الكاملة لمؤسسات القطاع العام لتباشر دورها المهام فى اطار التنظيم الشامل(١)

ويلاحظ على الوزارة الموحدة عدة أشياء :

١ـ ان رئيس الجمهورية قد اصبح فى نفس الوقت رئيسا لمجلس الوزراء . ومعنى أنه اكتمل النظام الرئاسى لجمهورية العربية المتحدة . حيث ان رئيس الجمهورية قد اصبح رئيسا للسلطة التنفيذية . فلا مجالس تنفيذية ولا حكومة مركزية . بل وزارة واحدة لكل الجمهورية .

٢ـ ضمت الوزارة الجديدة ٧ نواب لرئيس الجمهورية .

٣ـ ضمت ايضا ٣٦ وزيرا و٣ نواب وزراء . ودخل ٥ وزراء الوزارة لاول مرة .

٤ـ انشئ ٦ وزارات جديدة لاول مرة فى الجمهورية العربية المتحدة وهى :

---

(١) الاهرام بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٦١ . وراجع كذلك فقرات من تصريح الدكتور عبد القادر حاتم كما جاء فى Keesing,s Cont. Arch. (V.1961-1962)P.18295.

حيث قدم الاسباب التالية لتشكيل الوزارة الموحدة فى ج.ع.م. : ١ـ لتمتين وحدة ج.ع.م. ٢ـ لرفع مستوى المعيشة ٣ـ لتدعيم المصالح المؤممة وتمكينها

أ ـ وزارة السد العالى
ب ـ وزارة البحث العلمى
جـ ـ وزارة الاسكان والمرافق
د ـ وزارة التعليم العالى
هـ ـ وزارة العمل
و ـ وزارة اصلاح الاراضى

لقد أصدر الرئيس عبد الناصر فى السادس عشر من أغسطس سنة ١٩٦١ ثلاثة قرارات بتشكيل الوزارة الجديدة •

١ ـ قرار بتعيين نواب رئيس الجمهورية •
٢ ـ قرار بتعيين الوزراء
٣ ـ قرار بتعيين نواب وزراء

بة

الاسم	المنصب	المصالح التابعة له
السيد عبد اللطيف البغدادى	نائب رئيس	للتخطيط
" المشير عبد الحكيم عامر	" "	وزير حربية
" نور الدين كمالة	" "	للانتاج
" زكريا محى الدين	" "	للمؤسسات العامة الانتاجية
" حسين الشافعى	" "	للمؤسسات العامة للخدمات
" كمال الدين حسين	" "	للادارة المحلية
" عبد الحميد السراج	" "	للشئون الداخلية

والجدول التالى يبين الوزارات والمؤسسات التى تتبع نواب الرئيس

الوزارات والمؤسسات التي تتبع نواب رئيس الجمهورية

البغدادي	المشير عامر	كمالــه	كمال حسين	محي الدين	الشافعي	السراج
وزيرا للدولة للتخطيط	• رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة • قائد القوات الجوية • • قائد القوات البحرية • • قائد الجيش الثاني • • نائب وزير الحربية لشئون المصانع الحربية	وزارات • الاقتصاد • الصناعة • الزراعة وإصلاح الأراضي • الأشغال • السد العالي • المواصلات	وزارات : • الإدارة المحلية • الصحة • التموين • العمل • الإسكان والمرافق • الثقافة والإرشاد • الشئون الاجتماعية • التربية والتعليم • التعليم العالي • الأوقاف	المؤسسات • الاقتصادية • مصر • نصر • العامة للنقل البحري • العامة للنقل البري • الثروة المائية	المؤسسات • العامة للتأمينات • التعاونية الاستهلاكية • العامة للإسكان • العامة للأدوية	• وزير الدا[illegible] • النيا[illegible] والرقا[illegible] الادا[illegible]

الاســم	الــوزارة
السيد نور الدين طراف	الصحة
" احمد حسنى	الدولة
" د . عبد الوهاب حومد	الدولة للتخطيط
" د . محمود فوزى	الخارجية
" احمد عبده الشرباصى	الاشغال
" د . عبد المنعم القيسونى	الاقتصاد والخزانة
" فاخر الكيالى	الدولة
" د . كمال رمزى ستينو	التموين
" د . عزيز صدقى	الصناعة
" د . مصطفى خليل	المواصلات
" سيد مرعى	الزراعة واصلاح الاراضى
" على صبرى	شئون رياسة الجمهورية
" أحمد الحاج يونس	الدولة للزراعة واصلاح الاراضى
" حسن عباس زكى	الاقتصاد والخزانة
" د . شوكت قنواتى	الصحة
" أمجد الطرابلسى	التعليم العالى
" كمال الدين رفعت	العمل وزيرا للدولة
" طعمة العودة الله	الاسكان والمرافق
" نهاد القاسم	العدل
" د . ثروت عكاشه	الثقافة والارشاد القومى
" عباس رضوان	الداخلية
" احمد حنيدى	الاصلاح الزراعى
" اكرم ديرى	الاقتصاد والخزانة
" د . احمد المحروقى	الدولة للاصلاح الزراعى
" جادو عزالدين	الادارة المحلية
" جمال الصوفى	التموين
" موسى عرنه	التعليم العالى
" احمد عبد الله طعيمه	الاوقاف
" د . عبد القادر حاتم	الدولة
" ثابت العريس	الشئون الاجتماعية
" يوسف مزاحم	الاوقاف
" صلاح الدين هدايت	البحث العلمى
" عبد المحسن ابو النور	الادارة المحلية

الاســـم	الوزارة
السيد سيد يوسف	التربية والتعليم
" فريد زين الدين	الدولة
" احمد فرج	التخطيط

ولنا على هذا التشكيل عدة ملاحظات :—

١— ان هناك كثرة فى عدد وزارات الدولة وهى اربع ، تسلمها السادة احمد حسنى وفاخر الكيالى وعبد القادر حاتم وفريد زين الدين .

٢— ان هناك وزراء دولة وفى نفس الوقت لشئون وزارة معينه . مثلا : وزير دولة للتخطيط .. الخ

٣— هناك وزارات لها اكثر من وزير مثلا الصحة لها وزيران ، الادارة المحلية لها وزيران ... الخ .

فهل يعنى هذا ان كل وزير مختص بشئون اقليم دون غيره .. والاقتصاد والخزانة لها ثلاثة وزراء .

٤— الوزراء الجدد هم : السادة صلاح هدايت ، عبد المحسن ابو النور — سيد يوسف ، فريد زين الدين ، احمد فرج .

٥— ان الوحدة هى اساس التنظيم الجديد لوزارات الدولة ، اذ ان كل وزير مسئول عن تحقيق الوحدة بين الاقليمين فى نطاق مسئولياته واختصاصاته .

٣— نواب وزراء .

وهم السادة :—

١— حسين ذو الفقار صبرى	نائبا لوزير الخارجية
٢— محمد على حافظ	نائبا لوزير التربية والتعليم
٣— عبد الوهاب البشرى	نائبا لوزير الحربية

هذا وقد ارتبط بالتشكيل الجديد للوزارة قرار آخر من رئيس الجمهورية يقضى بانتقال الدولة باجهزتها الرسمية الى دمشق مابين أول فبراير حتى مايو من كل سنه .

الدولة تنتقل الى دمشق

ولقد نشرت جريدة (الاهرام) ان الدولة ستنتقل الى دمشق بين أول فبراير حتى مايو من كل عام •

ويقيم رئيس الجمهورية فى دمشق كل تلك الفترة من كل سنه ، وفيها يجرى عمل الدولة الرسمى فى جميع النواحى •

ولهذا الأمر هدفين :ـ

١ـ التطوير الشامل

٢ـ التمكين للوحدة بين اقليمى الجمهورية العربية المتحدة •

والفكرة فى هذا القرار هى نفس الدافع وراء اعادة تنظيم جهاز الحكم وهى التطوير الشامل للحكم والتمكين للوحدة • (١)

ولكن هذا القرار لم يطبق طويلا لأن الانفصال قد عاجل دولة الوحدة ولم يمض على صدور هذا القرار اكثر من شهر وأيام ثلاثة •

---

(١) الاهرام فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٦١

ب ـ السلطة التشريعية : مجلس الامة

اتفق فى مفاوضات الوحدة على أن يتولى السلطة التشريعية فى الدولة الجديدة مجلس يطلق عليه (مجلس الأمة) .

ولم يتحدد فى مفاوضات الوحدة كيفية تكوين المجلس المذكور أو متى يباشر مهام سلطاته . وجاء فى المبادئ التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة انه يتولى السلطة التشريعية مجلس الأمة ، على أن يتم اختيار اعضائه بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط ان يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى (المبدأ الرابع) .

وتطبيقا لهذا المبدأ صدر بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٥٨ قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالقانون رقم ٦ لسنة ١٩٥٨ فى شأن الاعضاء السابقين فى مجلس الامة المصرى ومجلس النواب السورى .

وذكرت المادة الأولى انه الى أن يتم تشكيل مجلس الامة للجمهورية العربية المتحدة يتولى الاعضاء السابقون فى مجلس الامة المصرى ومجلس النواب السورى القيام بما يعهد اليهم به رئيس الجمهورية من أعمال . (م ١) .

والمكافأة التى يتقاضاها رئيسا المجلسين والاعضاء تعادل ماكان مقررا لهم .

وسريان هذا القانون من تاريخ قيام الجمهورية العربية المتحدة فهل يقصد بنص المادة الاولى ان السلطة التشريعية اصبحت مكونة من رئيس واعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى ؟ وهل هؤلاء يشكلون مجلس الامة للدولة الجديدة بناء للمبدأ الرابع من المبادئ التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة من تفويض رئيس الجمهورية وحقه فى ان يصدر قرارا بتعيين اعضاء مجلس الامة ؟

لم يقم دليل عملى على ان اعضاء المجلسين السابقين ، مجلس النواب ومجلس الامة ، قد اصبحوا يشكلون مجلس الامة للدولة الجديدة[1] .

على أن أهم ماجاء بخصوص مجلس الامة هو ماورد فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة . اذ نصت المادة (١٣) منه على ان يتولى السلطة التشريعية مجلس الامة .

ويجب ان نلاحظ أن الدستور المؤقت لم يعط مجلس الامة فقط حق التشريع بل اعطى هذا الحق لرئيس الجمهورية ايضا .

---

(١) ذكرت جريدة (الاهرام) بعددها الصادر فى ١٩٥٨/٢/٥ ان مجلس الامة سيتكون من (٤٠٠) عضو . وسيعقد ثلاث دورات كل عام على ان تكون مدة الدورة ثلاثة يتخللها اجازه شهر . ومركز مجلس الامة يكون القاهرة . ويمكن عقد احدى دوراته فى دمشق كل عام .

بالاضافة الى نص المادة (١٣) من الدستور المؤقت على أن يتولى مجلس الامة السلطة التشريعية ذكرت المادة (٥٠) ان لرئيس الجمهورية "حق اقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها".

يتبين من هذا ان السلطة التشريعية لها ركنان : مجلس الامة ورئيس الجمهورية . بمعنى آخر ، أن السلطة التشريعية بموجب الدستور المؤقت هي سلطة مركبة (١)

<u>تكوين مجلس الأمة :</u>

لنا بهذا الخصوص عدة ملاحظات :

١ـ لم يحدد الدستور عدد أعضاء مجلس الامة ، بل ترك تقدير العدد الى قرار يصدر من رئيس الجمهورية .

٢ـ يتم اختيار وتعيين أعضاء مجلس الامة بقرار من رئيس الجمهورية على أن يكون نصفهم على الاقل اعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري السابقين على الوحدة (م ١٣) .

٣ـ لم يبين الدستور المؤقت النسبة التي ستخصص للسوريين أو تلك التي ستخصص للمصريين سواء بالنسبة لمن سيختارون من مجلس الامة المصري ومجلس النواب السوري او بالنسبة لعدد اعضاء المجلس عموما . وهذه النسب متروكة لرئيس الجمهورية .

٤ـ لاتقل سن عضو مجلس الأمة عن ثلاثين عاما .

٥ـ لم ينص الدستور على مدة عضوية مجلس الامة .

فهل ان يقصد بعدم النص على مدة العضوية انها تمتد طوال فترة الانتقال ، أي طوال مدة سريان الدستور المؤقت ولحين وضع دستور دائم ؟

<u>اختصاص مجلس الأمة :</u>

وظيفته الاساسية التشريع ، "لا يصدر قانون الا اذا أقره مجلس الامه ، ولا يجوز تقرير مشروع قانون الا بعد أخذ الرأي فيه مادة مادة" (م ٢٢) .

---

(١) د . محسن خليل ـ مرجع سابق ، ص ٤٩٧ ومابعدها ، ويجب أن نلاحظ أن هذه السلطة التشريعية المركبة التي نص عليها الدستور المؤقت غير السلطة التشريعية المركبة التي تأخذ بها بعض الدساتير والنظم من حيث وجود مجلسين للتشريع ، مجلس اعلى ومجلس ادنى ، أي مجلس للنواب ومجلس للشيوخ .

ولكن هل يحق لاعضاء مجلس الامة اقتراح مشروعات قوانين ؟

لم ينص الدستور المؤقت على ذلك .

وأهم اختصاصات مجلس الأمة كان اقرار التشريعات المالية ، ويمكن تحديدها بالتالي :

١- تقرير الضرائب : انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاء ها لا يكـــون الا بقانون (م٢٧) .

٢- الميزانية : يعين القانون طريقة اعداد الميزانية وعرضها على مجلس الامــة كما يحدد السنة المالية (م٣١) .

٣- القروض والتعهدات المالية : ضرورة موافقة مجلس الامة على القروض والتعهدات المالية (م٢٩) .

٤- الاحتكار : ضرورة صدور قانون خاص بمنح الاحتكار على حده ولمدة زمنيـــة محددة (م٣٠) . والاحتكار هنا يتصل بالمشروعات الاقتصادية ذات الصفة الاحتكارية والتي ليس لها منافس أي مشروع اقتصادي آخر مشابه لها . فهذه تنشأ بموجب قوانين يصدرها مجلس الامة ولمدة زمنية محددة .

استقلال مجلس الامة وضماناته :

ينبع اساس هذا الاستقلال من مبدأ الفصل بين السلطات .

وأهم الضمانات التي أعطاها الدستور المؤقت لمجلس الامة هي التالية :

١- الحصانة البرلمانية : لايجوز في اثناء دور انعقاد مجلس الامة وفي غـــير حالة التلبس بالجريمة ان تتخذ ضد أي عضو من أعضائه اية اجراءات جنائية الا باذن المجلس ، وفي حالة اتخاذ أي من هذه الاجراءات فيجب اخطار المجلس بها (م٣٦) .

٢- عدم الجمع بين عضوية مجلس الامة والوظائف العامة (م٤٠) .

٣- تحريم التعامل المالي مع الدولة وعضوية ادارة الشركات (م٤٢) .

٤- عدم القابلية للعزل : ويفهم هذا من نص المادة (٣٧) حيث تقول "لايجوز اسقاط عضوية احد من اعضاء مجلس الامة الا بقرار من المجلس بأغلبية ثلثي اعضائه ، بناء على اقتراح ٢٠ من الاعضاء وذلك اذا فقد الثقة والاعتبار".

والآن كيف سارت الأمور مع مجلس الامة خلال سنوات الوحدة من الناحيـــة العملية ؟

لنا بالرد على هذا السؤال عدة ملاحظـــات :

١ ـ ان مجلس الامة ، وان شارك رئيس الجمهورية بالسلطة التشريعية ، او ان شاركه رئيس الجمهورية بهذه السلطة ، الا ان الملاحظ على القوانين التي اقرها مجلس الامة لا تقارن على الاطلاق مع تلك التي اقرها واصدرها رئيس الجمهورية ويترتب على هذا ان مجلس الامة لم يكن يقوم بعمله التشريعي لسبب أو لآخر .

٢ ـ لم يدخل لدى تجربة تشريعية جادة الا في اقرار الميزانية . وهذا راجع في اعتقادنا الى طبيعة نظام الدولة من ناحية ، والى طبيعة تشكيل مجلس الامة من ناحية ثانية .

والطبيعتان مرتبطتان ببعضهما ، بمعنى ان طبيعة نظام الدولة انه مؤقت ، وكان لابد بالتالي من ان يكون المجلس التشريعي مؤقت ويلاحظ كذلك ان غالبية القوانين التي صدرت خلال فترة الوحدة كانت قوانين تنظيمية وادارية(١) اما قوانين يوليو الاشتراكية فقد صدرت حين كان المجلس في اجازة صيفية .

٣ ـ كان مهيأ المجلس التشريعي ان يكون بمثابة هيئة تأسيسية تقرر الدستور الدائم للدولة(٢) ولكن مدته القصيرة التي انتهت بالانفصال وعدم ثبات الدولة على نظام تنفيذي بالنسبة للاقليمين ، اللهم الا رئيس السلطة التنفيذية بوصفه رئيسا للدولة لم تمكنه من أن يلعب دور الهيئة التشريعية أو التأسيسية .

---

(١) راجع النشرة التشريعية المصرية خلال سنوات الوحدة وهي (٤٤) جزء .

(٢) بدليل ماجاء في المادة (٧٣) من الدستور المؤقت حيث نصت على أن يعمل بهذا الدستور المؤقت الى حين اعلان موافقة الشعب على الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

جـ ـ السلطـــة القضائيـــة

كنا قد تحدثنا عن اختصاصات وتنظيم السلطة القضائية فى غير هذا المكان من البحث (١)

وأهم ماكنا قد ذكرناه هو استقلال القضاء استقلال تام عن السلطتيــن التنفيذية والتشريعية ، وانه لا سلطان على القضاء الا القانون . والقضاء غير قابلين للعزل ، وجلسات المحاكم علنية الا اذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام او الآداب كما ان الاحكام تصدر وتنفذ باسم الامة ويرتب القانون جهات القضاء ويعين اختصاصاتها (٢)

ولنا على تشكيل السلطة القضائية كما جاءت فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة من الناحية الاتحادية ملاحظتان :

الأولى : ان الدستور المؤقت قد خلا من تشكيل او الاعلان عن وجوب انشاء محكمة دستورية تنظر فى دستورية القوانين التى تصدرها السلطتين التنفيذية والتشريعية .

والثانية : ان الدستور المؤقت قد خلا من تشكيل او الاعلان عن وجوب انشاء محكمة اتحادية عليا تنشأ لفض ماقد يثور من منازعات بين المجلسين التنفيذيين من ناحية والحكومة المركزية من ناحية اخرى ، او بيــن احد مجلس تنفيذى لاقليم وبين المجلس الآخر ، او بين احد السلطتين التشريعية والقضائية وبين السلطة التنفيذية او ماقد يثور من خلاف فى الاختصاص بين السلطات والهيئات الاتحادية من ناحية وبين السلطات الاقليمية المحلية من ناحية ثانية .

ان الطابع المؤقت الذى كان يحمله دستور الجمهورية العربية المتحدة هو الذى قد دعا الى خلوه من انشاء محكمة دستورية او محكمة اتحادية عليا .

ومن ناحية ثانية فلقد كان هناك هيئة قضائية عليا هى مجلس الدولة . ورغم ذلك فمجلس الدولة عبارة عن هيئة استشارية وتفسيرية للقوانين ولم يكن مـــن اختصاصه مراقبه دستورية القوانين او عدمها . والا لكان الدستور المؤقـــت قد نص على هذا الأمر بوضوح . وهذا مالم يفعله .

---

(١) راجع الاسس التى قامت عليها ج ع م

(٢) راجع الباب الرابع من الدستور المؤقت (المواد ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣) .

ولقد جرت الدساتير الاتحادية على النص على المحكمة الاتحادية والمحاكم الدستورية وحددت لها اختصاصات معينة على سبيل الحصر . ففي الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال ، يوجد نوعان من مجالس القضاء : أ — مجالس القضاء الاتحادية — ب — ومجالس القضاء المحلية . ويعلو هذه وتلك المحكمة الاتحادية العليا (١) .

وتنحصر في المحكمة الاتحادية العليا اختصاصات السلطة القضائية المركزية كلها (٢) . ويمكن اجمال هذه الاختصاصات بشكل عام على النحو التالي :

١— كل القضايا التي تنجم عن القوانين التي يصدرها الهيئة التشريعية للولايات المتحدة عملا بسلطاتها الدستورية وفي نطاق اختصاصاتها المحدودة

٢— كل مايتصل بتنفيذ المواد القانونية التي تعلو دستور البلاد والمنبثقة عنه .

٣— كل القضايا التي تكون الولايات المتحدة طرفا من اطرافها .

٤— كل القضايا التي تتصل بسلامة الاتحاد ، وماتصل منها بحكومة الولايات وصلاتها بالدولة الأجنبية ، وماتصل منها بهذه الحكومة وحكومات الولايات .

٥— كل القضايا التي تنشأ أو ماتنشأ فوق البحار وتدخل في اختصاص القضاء البحري .

٦— كل القضايا التي يخشى اطرافها من محاكم الولايات الا تكون محايدة غير متحيزة (٣) .

ومن الطبيعي ان تكون سلطة القضاة الفيدراليين الاتحاديين ، مثل سلطة رئيس الجمهورية واعضاء الكونجرس ، مشتقة من الدستور اولا واخيرا (٤) . ويعتبر القضاة على انهم حماة الدستور (٥) . وبالاجمال فان قوة المحكمة الاتحادية العليا تنبع من اختصاصها القضائي : فهي التي تفسر الدستور وتراقب مخالفته . أما القضاة فيفسرون القوانين ، ويقررون الحقائق ، ويطبقون القانون على الحقائق (٦) .

---

(١) Zink,Harold:"American Government and Politics" (Van Nostrand Comp. Canada,1958)P.208. Also: Ferguson;J.andMcHenry,D. "Elements of American Government" (McGraw-HillBookComp.U.S.A. Fifth Edition,1962)P. 221.

(٢) هاملتن وماديسن وجاي "الدولة الاتحادية : اسسها ودستورها" (ترجمة جمال محمد احمد ، مؤسسة فرانكلين، بيروت ـ نيويورك ١٩٥٩) ص ٦٠٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٠٩

(٤) Burns,J.:"Government By The People"(Prentice-Hall,U.S.A. 1964)P.485.

(٥) المرجع السابق ص ٤٩٥

هذا ويجب ان نلاحظ أنه ليس هناك من تعارض فيما بين المحكمة الدستورية والمحكمة الاتحادية اذا ماوجدتا فى أى نظام اتحادى ٠ حيث ان المحكمة الدستورية عليها مراقبة دستورية القوانين ، أما المحكمة الاتحادية فسلطاتها أعم وأشمل من المحكمة الدستورية ، حيث تمتد هذه السلطات لتشمل فض المنازعات التى قد تثور بين الحكومة الاتحادية من ناحية وحكومة الولايات او الاقاليم من ناحية ثانية ٠٠٠ الى غير ذلك من الاختصاصات التى كنا قد ذكرنا بعضها فيما سبق ٠

نعود الى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة وخلوه من النص على انشاء محكمة دستورية او محكمة اتحادية ٠ ومن الواضح ان ما نصت عليه المبادئ أو الأسس التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة ودستورها المؤقت قد أجازت امكانية الغاء التشريعات المعمول بها فى كل من مصر وسوريا او تعديلها "المبدأ التاسع" ٠ أما كيفية هذا الالغاء او التعديل والجهة التى تقوم به فلم تنص عليها المبادئ وجاء الدستور المؤقت لينص على بقاء سريان التشريعات المعمول بها فى كل من مصر وسوريا فى النطاق الاقليمى المقرر لها " ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها وفقا للنظام المقرر بهذا الدستور "م٦٨ ٠ وبالرغم من هذا فلم ينص الدستور على النظام المقرر لتعديل او الغاء التشريعات المعمول بها فى كل من مصر وسوريه سوى ما نص عليه من حقوق رئيس الجمهورية فى اقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها (م٥٠) ٠

نستخلص مما سبق ان المبادئ التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة ودستورها المؤقت لم ينصا على وجوب انشاء محكمة دستورية او محكمة اتحادية ٠ وكما قلنا فانه لطابع التوقيت الذى يحمله الدستور المؤقت السبب الاقوى فى عدم انشاء احدى المحكمتين ٠ ولكن لم يكن هذا ليمنع عن وجوب انشائهما فى المستقبل والنص عليه ، فى الدستور الدائم للدولة ٠ وعدم النص يعينا قدرة على أنه كان بذهن واضعى الدستور المؤقت تخطيطا للمستقبل ينحصر فى ادماج الاقليمين المصرى والسورى ادماجا كاملا حتى تظهر الجمهورية العربية المتحدة وكأنها دولة بسيطة غير اتحادية ، وخاصة فيما يتعلق بعدم النص عن وجوب انشاء محكمة اتحادية ٠ أما بالنسبة للمحكمة الدستورية فكان من الاولى اقامتها ، خاصة بعد ان أقرت المبادئ التى قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة ودستورها المؤقت امكانية الغاء التشريعات المعمول بها فى كل من مصر وسوريه او تعديلها ٠ وربما اعتقد واضعو الدستور المؤقت انه طالما كانت بعض التشريعات المعمول بها فى كل من مصر وسوريا ستلغى او ستعدل فلا موجب لاقامة محكمة دستورية ، خاصة وان الدستور الدائم للدولة لم يوجد بعد ٠

ومن ناحية اخرى تجب التفرقة مابين اختصاصات وسلطات المحكمة الدستورية في ظل نظام دولة بسيطة وبين اختصاصات وسلطات المحكمة الدستورية في ظل نظام دولة اتحادية . ففي الدولة البسيطة تنحصر اختصاصات المحكمة الدستورية في مراقبة دستورية القوانين ، أي اتفاقها مع الدستور أو تناقضها أو تكملتها له . وهي بهذا تفسر القوانين لتتمكن من الحكم عليها بما اذا كانت متعارضة أو متطابقة أو مكملة للدستور . أما في حالة وجود المحكمة الدستورية في الدولة الاتحادية فان اختصاصاتها تزيد على المحكمة الدستورية في الدولة البسيطة لتشمل — في حال غياب المحكمة الاتحادية — فض ماقد يثور من منازعات بين الاقاليم وبعضها البعض ، أو بين هذه والسلطة الاتحادية (١).

(١) د. ماجد راغب الحلو ، مرجع سابق ، ص ٦٤٨ وما بعدها .

٢ـ التنظيم السياسي

أ ـ حل الأحزاب السورية

كما قد رأينا في الفصل السابق (اثناء مفاوضات الوحدة) ان الجانب المصرى قد اشترط على السوريين ان تحل الاحزاب السورية نفسها على اساس ان يتكون تنظيم سياسى واحد يشمل الجمهورية العربية المتحدة باقليميها . وقد اتفق على ان يكون ذلك التنظيم معبرا عن شعب الجمهورية العربية بمختلف طوائفه وفئاته . وارتضى الجانب السورى ذلك الشرط .

وتطبيقا لهذا الأمر فقد صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم (٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن حل الاحزاب والهيئات السياسية فى الاقليم السورى .

نص القرار المذكور على ان تحل الاحزاب والهيئات السياسية القائمة فى الاقليم السورى ، ويحظر تكوين احزاب او هيئات سياسية جديدة . (م ١)

كما يحظر على أعضاء الاحزاب والهيئات المنحلة والمنتمين اليها القيام بأى نشاط حزبى ومهما كانت صورته ، ويحظر مساعدة هؤلاء الناس للقيام بنشاطهم الحزبى (م ٢) .

وأموال هذه الاحزاب والهيئات تؤول الى الاتحاد القومى (م ٣) ويعين وزير خزانة الاقليم السورى من يتسلم اموالها وتصفية كل ما يتطلب تصفيته (م ٤) . ومن لديه مال لاحد الاحزاب او الهيئات المنحلة عليه ان يقدم اقرارا لمن يعينه وزير الخزانة خلال اسبوع (م ٥) ويحق للمندوب الغاء العقود المبرمة سابقا ولا يترتب على الغائها اى تعويض (نفس المادة) . والمخالفة للاحكام السابقة يترتب عليها الحبس من عشرة ايام الى ثلاث سنوات وبغرامة لا تتجاوز خمسة عشر جنيها او باحدى هاتين العقوبتين (م ٦) .(١)

فكيف قابلت الاحزاب السورية هذا القرار بعد ان ارتضت فى مفاوضات الوحدة ان تحل نفسها ؟

لقد صدر عن حزب البعث العربى الاشتراكى بيان بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٥٨

---

(١) نشر فى الجريدة الرسمية بتاريخ ١٣ مارس ١٩٥٨ هـ العدد الاول مكرر . انظر نص القرار فى الملحق رقم / ٩ . هذا والجدير بالذكر اننا سنرى المزيد من التفاصيل فى الفصل الثانى من القسم الثالث عن حل الاحزاب السورية وأثره على دولة الوحدة ، وذلك أثناء دراستنا للعوامل التى أدت للانفصال .

اعلن فيه عن حل نفسه . وصدر البيان بتوقيع ميشيل عفلق الامين العام للحزب جاء فيه ما يلي :

" ان مجلس الحزب في القطر السوري قد اجتمع في الساعة السادسة مساء أمس ، واستمع الى بيان القيادة القومية وقرارها بحل فرع الحزب بالجمهورية العربية المتحدة وبذلك يعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي بالجمهورية العربية المتحدة منحلا بكافة منظماته ومؤسساته ".(١)

كذلك أعلن حزب الكتلة الاشتراكية عن حل نفسه في الاقليم السوري . هذا الحزب الذى يرأسه السيد هاني السباعي . وجاء في قرار الحل : " انه لما كان قيام الوحدة ، وتشكيل الاتحاد القومي ، يعني الغاء الاحزاب ، فان الحزب يعتبر نفسه منحلا ، ابتداء من تاريخ اعلان الاستفتاء ، ويقرر اغلاق مكاتبه في كافة الفروع ".(٢)

كما أعلن السيد رشدى الكيخيا ، رئيس حزب الشعب السوري ان الحزب ، أنهى عمله واوقف نشاطه ، وانه يضع كافة ممتلكاته تحت تصرف الاتحاد القومي ، وكان ذلك في اجتماع عقده الحزب بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ وشهده كبار أعضائه .(٣)

وأعلن السيد عبد الرحمن الكيالي ، رئيس الحزب الوطني . ان الحزب دعا رجاله ومؤيديه الى تأييد الاتحاد القومي والمساهمة فيه لدعم الجمهورية العربية المتحدة.(٤)

اما الحزب الشيوعي السوري فهو حزب غير مصرح به رسميا . ولا داعي لان يحل نفسه . وكذلك الحزب القومي السوري الاجتماعي الذى كان ملاحق رسميا من قبل السلطة .(٥)

تلك كانت مواقف الاحزاب السورية على اختلافها حين قامت الجمهورية العربية المتحدة . ولكن لم يكن يمضي وقت طويل على قيام الدولة الجديدة حتى أخذت تلك الاحزاب تنفض يدها عن دولة الوحدة ، وبدأت تعمل ضدها ، وابتدأت مراكز القوى الحزبية والاقتصادية والسياسية والقبلية والدينية تهاجم الدولة الجديدة . اما اسباب حلها لنفسها

---

(١) الاهرام بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٨
(٢) الاهرام بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٥٨
(٣) الاهرام بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨
(٤) الاهرام بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨
(٥) راجع ملحق رقم / ٩ الخاص بحل الاحزاب السورية .

فى بدايــة عهد الوحــدة فهى خضوعها للشرط الذى وضعته مصــر فــى موافقتهــا على قيــام الوحــدة ، وخوفهــا من الشعب السورى ان هى رفضت هذا الحل والذى لن تقوم الوحــدة بدونــه .. وتظهر هذه الحقيقة كأوضح ما يكون حــين اذا ما راجعنــا وقائــع الانفصال اولا والبيانات والنشــرات السريــة التى ظهــرت ايام الوحــدة باسم الاحــزاب والشخصيات السياسيــة والاقتصاديــة السوريــة ثانيــا .

××××××××

ه ه ه

ب ـ الاتحـــاد القومـــى

حتى تستكمل الصورة السياسية لدولة الوحدة نورد فيما يلى من الصفحات نظام وتكوين الاتحاد القومى الذى يمكن القول ، مع بعض التحفظ بأنه امتداد للاتحاد القومى الذى كان موجودا فى مصر قبل الوحدة[1] . ظهر الاتحاد القومى فى ظل دستور ١٩٥٦ فى مصر حيث قضت المادة (١٩٢) بأن : " يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها الثورة ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليمـــا من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية "[2] .

وتطبيقا للفكرة السابقة فقد ذكرت المادة (٧٢) من الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ان " يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القوميـة ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصاديـــة وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية " . ثم جاء قرار رئيــس الجمهورية رقم ٤ لسنة ١٩٥٩ بتكوين الاتحاد القومى .

تعريف الاتحاد القومى :

عرف الرئيس عبد الناصر الاتحاد القومى قائلا انه : " هو اطار يصـــون الوحدة الوطنية . ان مجرد قيامه لا يحل التناقضات فى مجتمعنا . انه لا يمنع تصادم المصالح ولا تعارض الآراء .

---

(١) صدر قرار رئيس الجمهورية المصرية رقم (١٠٧٧) فى اول نوفمبر عام ١٩٥٧ بتكوين الاتحاد القومى ووضع اسسه العامة مع تفويض رئيس الاتحاد فى اصدار النظـــام الاساسى للاتحاد .

ومن مطالعة نصوص هذا القانون الاساسى يظهر لنا التالى :

١ ـ العضويـة فى الاتحاد على نوعـين :

أ ـ عضوية عادية وهى حق مفتوح لكل مواطن يبلغ من العمر ١٦ سنة . وهذا ما ذكرته المادة الاولى قائلة : " يعتبر عضوا فى الاتحاد القومـــى كل من بلغ من المواطنين السادسة عشر من عمره "

ب ـ عضوية عاملة ، وهى حق كل عضو يعمل فى احدى منظمات الاتحاد القومـى ويؤدى الخدمات العامة ، ويصبح عضوا عاملا بشرط تزكيته من اثنين مـــن الاعضاء العاملين وموافقة اللجنة التنفيذية المحلية واللجنة التنفيذيـــة للمنطقة التى تنشأ فى الدوائر الانتخابية ، ثم تصديق اللجنة التنفيذية الاقليمية التى تنشأ فى المحافظة ، على ان تخطر اللجنة التنفيذية العليـا بأسماء الاعضاء العاملين (المواد ٣ ، ٤ ، ٥) .

(٢) راجع بهذا الخصوص . عثمان خليل عثمان : " الوضع الدستورى للاتحاد القومـــى " (مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٧ ـ ٨ .

انما هو مجرد اطار من الوحدة القومية ، يسمح للتناقضات ان توازن نفسها ويسمح للمصالح المتصادفة والاراء المتعارضة ان تجد نقطة لقاء بينها فى حماية الوحدة الوطنية ، وبطريقة تتلاءم مع طبيعة شعبنا "(١)

تكوين الاتحاد القومى :

يحق لكل من بلغ من المواطنين السادسة عشرة من عمره أن يكون عضوا فى الاتحاد القومى . وهذه هى العضوية العادية . اما شروط العضو العامل فهى ان يكون مؤمنا بمبادئ الاتحاد القومى وان يكون له نشاط لتحقيق تلك المبادئ وسلوك اجتماعى يلائم هذه المبادئ والقدرة على التوجيه والعمل على تحقيقها ، والا يكون قد حكم عليه لجريمة ماسة بالشرف او بالاعتبار ما لم يرد اليه اعتباره .

حين توافر هذه الشروط فلكل فرد ان يقدم طلبا للاشتراك فى عضوية احدى اللجان الفرعية للنشاط وتقبله اللجنة التنفيذية المختصة . وهنا يعتبر عضوا عاملا له حق الاشتراك فى مناقشات اللجنة التى يساهم فى عضويتها وله صوت معدود بشرط ان يؤدى اشتراكا شهريا معينا .

ويضيف القرار رقم ٤ لسنة ١٩٥٩ بأنه يعتبر عضوا عاملا أيضا كل من انتخب عضوا فى احدى اللجان التنفيذية للاتحاد القومى .

ويتكون الاتحاد القومى من تجمعات تتخذ صورة هرمية تبدأ من القرى فالمديريات(٢) والمحافظات حتى تصل الى المؤتمر العام واللجنة العامة ثم اللجنة التنفيذية العليا للجمهورية العربية ، وعلى قمة كل ذلك رئيس الجمهورية الذى له رئاسة الاتحاد القومى .

منظمات الاتحاد القومى :

قلنا ان هذه المنظمات متعددة وتأخذ صورة التدرج الهرمى . ويمكن ذكرها على التوالى .

١ — المنظمات الخاصة بشئون الاقسام والبنادر والمراكز والقرى .

ولها انواع عدة من اللجان يمكن اجمالها بالتالية :

أ — اللجان المحلية : عددها يتراوح بين العشرة والثلاثين . (م ٢ من قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٣٥ لسنة ١٩٥٩) . ووحدة التمثيل لها ممثل لكل خمسمائة من السكان .

---

(١) من خطاب الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر العام للاتحاد القومى المنعقد فى القاهرة بتاريخ ٩ يوليو عام ١٩٦٠ .

(٢) يقابل المديرية فى الاقليم السورى القضاء .

ب — اللجنة التنفيذية للقسم والبندر والقرية والمركز : من انتخبوا فى اللجنة المحلية هم اعضاء اللجنة التنفيذية للوحدة التى انتخبوا عنها •

حـ — اللجان الفرعية : تشكل اللجان التنفيذية السابق ذكرها لجانا فرعية عديدة لمختلف انواع النشاط ويشترك فى كل واحدة منها عضو او اثنين من أعضاء اللجنة التنفيذية بالاضافة الى الاعضاء العاملين للوحدة •

د — اللجنة العامة للقرية والقسم والبندر والمركز : وهى تتكون من جميع أعضاء اللجان الفرعية وتشكل اللجنة العامة للقسم او البندر من ثلاثة من اعضاء كل لجنة فرعية تختارهم اللجنة التنفيذية المختصة •

٢ — المنظمات الخاصة بشئون المديريات والمحافظات :

يوجد عدة منظمات خاصة بالمديريات والمحافظات :

أ — اللجنة التنفيذية المديرية والمحافظة :

تتكون من جميع اعضاء هيئات مكاتب اللجان التنفيذية بالمديرية المشكلة فى المراكز والاقسام والبنادر غير التابعة للمراكز •

ب — اللجان الفرعية : تؤلف اللجنة السابقة لجانا فرعية للنشاط المختلف •

حـ — اللجنة العامة للمديرية والمحافظة : تشكل الاولى من جميع أعضاء اللجان التنفيذية لمراكز المديرية والاقسام والبنادر غير التابعة للمركز •

واللجنة العامة للمحافظة تشكل من جميع اعضاء اللجان التنفيذية لاقسام المحافظة •

د — مؤتمر المديرية والمحافظة : يتكون كل منهما من جميع أعضاء اللجان التنفيذية للاتحاد القومى فى الوحدات التابعة للمديرية او المحافظة ، ويجتمع المؤتمر مرتين فى السنة على الاقل •

٣ — المنظمات الخاصة بشئون كل اقليم من اقليمى الجمهورية (١) :

أ — المؤتمر العام لكل اقليم :

وهو يتكون فى الاقليم المصرى من : —

١ — المشرف العام على تنظيم الاتحاد القومى •

٢ — الوزراء ونوابهم •

٣ — اعضاء اللجان التنفيذية فى المحافظة والمديرية •

---

(١) ونفس التقسيم ينسحب على الاقليم السورى • ولم نذكر منظمات الاقليم السورى منعا للتكرار •

٤- رؤساء اللجان التنفيذية للاتحاد بالاقسام والبنادر وعواصم المديريات .

٥- اعضاء يمثلون الهيئات والنقابات .

وتجتمع اللجنة العامة مرة كل اربعة أشهر على الاقل .

ح - اللجنة التنفيذية للاقليم :

وهى فى الاقليم المصرى :

١- المشرف على تنظيم الاتحاد القومى .

٢- الوزراء ونوابهم .

٣- رؤساء اللجان التنفيذية بالمحافظات والمديريات .

ولها هيئة مكتب يصدر بتعيينها قرار من رئيس الاتحاد القومى . وتجتمع مرة كل شهرين على الاقل . واعضاؤها ستة عشر عضوا .

٤- المنظمات الخاصة بشئون الجمهورية العربية المتحدة باقليميها :

أ - المؤتمر العام للجمهورية العربية المتحدة :

وهو يتكون من :-

١- رئيس الاتحاد القومى وهو رئيس الجمهورية .

٢- نواب رئيس الجمهورية والمشرفان على تنظيم الاتحاد القومى بالاقليمين وامين سر الاتحاد بالاقليم السورى والوزراء ونوابهم ومستشارو رئيس الجمهورية .

٣- اعضاء اللجان التنفيذية فى المديريات والمحافظات .

٤- اعضاء هيئات مكاتب اللجان التنفيذية للاتحاد القومى بالاقسام والبنادر وعواصم المديريات والمراكز والبنادر .

٥- اعضاء يمثلون الهيئات والنقابات والمؤسسات العامة والوزارات بحيث لا يزيد عددهم على نصف عدد أعضاء اللجان التنفيذية فى المديريات والمحافظات واعضاء هيئات مكاتب اللجان التنفيذية بالاقسام والبنادر وعواصم المديريات والمراكز والمناطق .

وينعقد المؤتمر العام فى دورة عادية سنوية ويجوز عقد دورة استثنائية كلما دعت الضرورة الى ذلك . والانعقاد بناء لدعوة من رئيس الاتحاد .

ب - اللجنة العامة للجمهورية العربية المتحدة :

وهى تتكون من : رئيس الاتحاد القومى وهو رئيس الجمهورية ونواب

رئيس الجمهورية ، والمشرفان على الاتحاد القومى بالاقليمين وامين سر الاتحاد بالاقليم والوزراء ونوابهم ومستشارو رئيس الجمهورية .

(١ ، ٢)

٣ـ الاعضاء الذين يشغلون المناصب الثلاثة الاولى فى هيئة مكتب اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى بكل مديرية او محافظة .

٤ـ عضو عن اللجنة التنفيذية لكل محافظة بالاقليم السورى يختاره المشرف على الاتحاد القومى بالاقليم السورى .

٥ـ اعضاء يمثلون الهيئات والنقابات بحيث لا يزيد عددهم على نصف عدد عدد الاعضاء المنصوص عليهم فى الفقرتين السالفتين ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الاتحاد القومى .

وتجتمع اللجنة العامة مرة كل اربعة أشهر على الاقل . ويجوز عقد اجتماع استثنائى كلما دعت الضرورة الى ذلك .

حـ ـ اللجنة التنفيذية العليا للجمهورية العربية المتحدة :

وهى اعلى سلطة تنفيذية بالاتحاد القومى وتتكون من رئيس الاتحاد القومى رئيسا وعدد من الاعضاء يصدر بتعيينهم قرار من رئيس الاتحاد القومى .

وتعقد اللجنة التنفيذية العليا بناء على دعوة من رئيس الاتحاد القومى الذى يتولى رئاسة جلساتها وله حق انابة غيره فى هذا الامر .

انتخابات الاتحاد القومى :

جرت الانتخابات فى الاتحاد القومى على صعيد الاقليمين يوم ٨ يوليو ١٩٥٩ وكانت التعليقات التى قيلت بخصوص تلك الانتخابات عديدة ، ومن مصادر مختلفة .

نظر اليها على انها تجربة جديدة جديرة بالملاحظة والدرس . ورأى فيها المعارضون للدولة على انها تجربة مؤلمة سيكون لها آثار سيئة على الدولة ، وخاصة فيما يتعلق بالاقليم الشمالى ، حيث لم يعرف هذا النوع من الانتخابات . مع ان هذه الانتخابات قد جرت لاختيار القاعدة الشعبية للاتحاد القومى فقط .

ولقد نشرت جريدة (الاهرام) تعقيبا على الانتخابات جاء فيه : " كانت معركة الانتخابات امس حدثا سياسيا بالغ الاهمية . ولم تكن الاهمية التى علقت عليها أهمية محلية تنحصر فى داخل الجمهورية العربية المتحدة دائما كان الاهتمام الذى

لاقته معركة الانتخابات ومتابعة المراقبين السياسيين لها وتعليقاتهم عليها ، توصى بان هذه التجربة على حد ما عبر احد هؤلاء المراقبين الذين اتيح لهم تتبع مراحلها ـ تجربة خطيرة سوف يكون لها تأثيرها فى كل بلدان افريقيا واسيا ، هذه البلدان التى تسعى لاحداث تطورها الكبير فى ظروف عصيبة من الحرب الباردة وتصارع القوى "(١) .

هذا والجدير بالذكر ان جميع الوزراء التنفيذيين والمركزيين ونواب الرئيس قد فازوا فى الانتخابات . كذلك فاز بها ١١٩٥٧ مرشحا بالتزكية فى مصر وحدها . وعدد الفائزين على صعيد الاقليمين (٣٩٣٦٤) . وكان قد بلغ عدد المرشحين فى اقليم الجمهورية ١٢٢٫٣١٣ مرشحا ، منهم ٩١٢٠٧ فى مصر و ٣١٠١٢ فى سوريا ، والعدد المطلوب انتخابه فى مصر ٢٩٩١٩ والعدد المطلوب انتخابه فى سوريا ٩٤٤٥ . (المجموع ٣٩٣٦٤) .

ثم تكون المؤتمر العام للاتحاد القومى لاقليمى الجمهورية من ٢٠٠٠ عضوا(٢) . وعقد اول مؤتمر عام للاتحاد القومى فى ٩ يوليو سنة ١٩٦٠ .

××××××××××××

بعد استعراض اهم الاحكام التى جاءت فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، والقوانين المنظمة للسلطة التنفيذية والمركزية تثور فكرة هامة مفادها سؤال عن صيغة النظام السياسى لدولة الوحدة . وهل هذا النظام هو المحصلة النهائية للدولة الموحدة ام أنه وسيلة للوصول الى صيغة اكثر تقدمية عن النموذج التقليدى لانظمة الحكم المعروفة فى العالم ؟

ان النقاش حول نوعية صيغة الحكم فى دولة الوحدة يجب ان لا يكون هو نفسه الغاية ، وانما هو جزء من المحصلة الواقعية للتوحيد العضوى . واذ كانت صيغة الحكم تعتبر مسألة على جانب كبير من الاهمية ، على اساس من تجربة الوحدة موضوع الدراسة ، الا ان افساح المجال امام النمو الوحدوى فى القطاع الاجتماعى هو الذى يدفع صيغة للحكم اكثر ملاءمة(٣) . اذ ان عملية التوحيد السياسى فى بداية انشاء الدولة العربية لن تكون هى العملية الاخيرة ، وانما ستظل مرحلة مؤقتة . وغالبا ما تجئ لخدمة اقامة الدولة الوحدوية فى لحظتها السياسية الاولى .

---

(١) الاهرام فى ٩ يوليو سنة ١٩٥٩ .
(٢) الاهرام فى ٦ مارس سنة ١٩٦٠ .
(٣) عندما بدأت هذه العملية الثورية فى دولة الوحدة عاجلتها ضربة الانفصال .

لاقته معركة الانتخابات ومتابعة المراقبين السياسيين لها وتعليقاتهم عليها ، توصى بان هذه التجربة على حد ما عبر احد هؤلاء المراقبين الذين اتيح لهم تتبع مراحلها - تجربة خطيرة سوف يكون لها تأثيرها فى كل بلدان افريقيا واسيا ، هذه البلدان التى تسعى لاحداث تطورها الكبير فى ظروف عصيبة من الحرب الباردة وتصارع القوى "[1].

هذا والجدير بالذكر ان جميع الوزراء التنفيذيين والمركزيين ونواب الرئيس قد فازوا فى الانتخابات . كذلك فاز بها ١١٩٥٧ مرشحا بالتزكية فى مصر وحدها . وعدد الفائزين على صعيد الاقليمين (٣٩٣٦٤) . وكان قد بلغ عدد المرشحين فى اقليم الجمهورية ١٢٢ر٣١٣ مرشحا ، منهم ٩١٢٠٧ فى مصر و ٣١٠١٢ فى سوريا ، والعدد المطلوب انتخابه فى مصر ٢٩٩١٩ والعدد المطلوب انتخابه فى سوريا ٩٤٤٥ . (المجموع ٣٩٣٦٤) .

ثم تكون المؤتمر العام للاتحاد القومى لاقليمى الجمهورية من ٢٠٠٠ عضوا[2]. وعقد اول مؤتمر عام للاتحاد القومى فى ٩ يوليو سنة ١٩٦٠ .

××××××××××××

بعد استعراض اهم الاحكام التى جاءت فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، والقوانين المنظمة للسلطة التنفيذية والمركزية تثور فكرة هامة مفادها سؤال عن صيغة النظام السياسى لدولة الوحدة . وهل هذا النظام هو المحصلة النهائية للدولة الموحدة ام أنه وسيلة للوصول الى صيغة اكثر تقدمية عن النموذج التقليدى لانظمة الحكم المعروفة فى العالم ؟

ان النقاش حول نوعية صيغة الحكم فى دولة الوحدة يجب ان لا يكون هو نفسه الغاية ، وانما هو جزء من المحصلة الواقعية للتوحيد العضوى . واذ كانت صيغة الحكم تعتبر مسألة على جانب كبير من الاهمية ، على اساس من تجربة الوحدة موضوع الدراسة ، الا ان افساح المجال امام النمو الوحدوى فى القطاع الاجتماعى هو الذى يدفع صيغة للحكم اكثر ملاءمة[3] . اذ ان عملية التوحيد السياسى فى بداية انشاء الدولة العربية لن تكون هى العملية الاخيرة ، وانما ستظل مرحلة مؤقتة . وغالبا ما تجئ لخدمة اقامة الدولة الوحدوية فى لحظتها السياسية الاولى .

---

(١) الاهرام فى ٩ يوليو سنة ١٩٥٩ .
(٢) الاهرام فى ٦ مارس سنة ١٩٦٠ .
(٣) عندما بدأت هذه العملية الثورية فى دولة الوحدة عاجلتها ضربة الانفصال .

لذلك ينبغى الا تعتبر هذه الصيغة المؤقتة نفسها ، بمثابة البديل او المعادل الكامل لثورية الوحدة . وهى اذا ما فعلت ذلك اوقعت الدولة فى اولى تناقضاتها وأخطرها ، مما سوف يتسبب عنها نشوء تناقضات قومية أخرى ، تنتعش فى المستويات المختلفة لكيان الدولة الموحدة .

ان هذا التناقض الاولى هو الذى اصبح فيما بعد محورا اساسيا لمختلف التناقضات التى وقعت فيها تجربة اول وحدة عربية فى التاريخ المعاصر . فالصيغة السياسية للحكم ، على الرغم من انها المدخل الطبيعى للتاريخ الوحدوى ، الا انها سوف تصبح عقبة كبرى ، عندما تعطى لنفسها هاتين الاهميتين :

١ـ اهمية كونها المعادل الواقعى لثورية الوحدة .

٢ـ واهمية كونها الصيغة الملائمة للحكم فى الدولة الوحدوية .(١)

وبالرغم من ان الصيغة السابقة للاتحاد القومى وتنظيماته المتعددة كانت امتدادا للتنظيم السياسى الموجود فى مصر قبل الوحدة انما كان المأمول منه ان يسد الفراغ الذى نشأ بحل الاحزاب فى الاقليم السورى وعدم وجود احزاب فى الاقليم المصرى . وبوجود الفراغ العقائدى فى الدولة الجديدة جاء الاتحاد القومى " تنظيما لمساهمة الشعب المباشرة فى الحكم "(٢) على الاقل من الناحية النظرية البحتة .

ومن استعراضنا لتنظيمات الاتحاد القومى وهيئاته رأينا انه " هيئة سياسية جديدة متميزة عن السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والقضائية ".(٣)

ونرى ان الخصائص العامة للاتحاد القومى بالصيغة التى وجد بها كانت التالية :

١ ـ يختلف عن فكرة الحزب الواحد ، حيث يفترض بالحزب وحدة الانتماء الطبقى والعقائدى الفكرى . اما الاتحاد القومى فقد كان يجمع مختلف الطبقات محاولا التغاضى عن الصراع الطبقى .

٢ ـ ويختلف الاتحاد القومى عن الجبهة الوطنية او الاحزاب الائتلافية .(٤)

٣ ـ ويختلف الاتحاد القومى عن النظم الحزبية ، كما يمثل منظمة سياسية تعمل كصورة مصغرة وكقاعدة شعبية الى جانب السلطات التقليدية الثلاث .(٥) فهل

---

(١) راجع بخصوص هذا التحليل مطاع صفدى : مرجع سابق ، ص ٤٤٦ وما بعدها .

(٢) د . عثمان خليل عثمان ، مرجع سابق ، ص٩

(٣) المرجع السابق ، ص٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٥) المرجع السابق ، ص٢٢ .

تحققت هذه الاسس الفلسفيــة فى الاتحاد القومى من الناحية العملية ؟ ان التجربــة العمليــة قد برهنت عن خلو الاتحــاد القومى من هذه الفلسفة العامة لخصائصه • وهذا ما سنراه فى الباب الاخير من البحث حيث نتحدث عن الاسباب التى ادت الى قيــام الانفصال ، وكان الاتحاد القومى من ضمنهــا •

××××××××××××××××

٥ ٥ ٥
٥ ٥
٥

المبحث الثانى

النظام الاقتصادى و الادارى

قامت الجمهورية العربية المتحدة من دولتين اختلفتا فى نظاميهما السياسى والاقتصادى ، وبحثنا فى المبحث الاول من هذا الفصل تطور النظام السياسى والتنظيم الحزبى للجمهورية العربية المتحدة . وفى هذا المبحث سنرى الخطوات والقوانين والقرارات التى اتخذت من اجل محاولة توحيد الاقتصادين ، المصرى والسورى ، وجعل الدولة الجديدة ذات نظام اقتصادى وادارى موحد .

والجدير بالذكر بهذا الخصوص ان الصعوبات التى واجهتها السلطة المركزية لدولة الوحدة بخصوص توحيد النظام الاقتصادى والادارى كانت اكبر من الصعوبات التى واجهتها فى محاولة توحيد النظام السياسى والتنظيم الحزبى المتمثل فى الاتحاد القومى .

ومن ناحية اخرى ، فاننا نلاحظ كثرة القوانين الاقتصادية التى صدرت والمتعلقة بالاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا الامر دلالته الواضحة . فهو يعنى التباين الكبير بين الاقليمين من حيث نظامهما الاقتصادى من جهة ، ومحاولة دائبة من السلطة المركزية على جعل الاقليم الشمالى يلحق بالاقليم الجنوبى من حيث التقدم الاقتصادى من جهة أخرى .

ويكفى ان نذكر ان الانفصال اول ما هاجم قوانين يوليو الاشتراكية وقانون الاصلاح الزراعى حتى ندرك ان محاولة السلطة المركزية توحيد النظامين الاقتصاديين قد لاقت من الصعوبات الشئ الكثير .

سوف لا نسجل فى هذا المبحث كل القوانين الاقتصادية والادارية التى صدرت أثناء الوحدة ، انما ، على كثرتها ، نأخذ منها نماذج تعطينا دلالة على طبيعة ذلك النظام وتطوره .

ولذلك سيكون المبحث الثانى هنا على الشكل التالى :

١ ـ قانون الاصلاح الزراعى فى الاقليم السورى .
٢ ـ المؤسسة الاقتصادية السورية .
٣ ـ ميزانية نموذجية للجمهورية العربية المتحدة .
٤ ـ قانون الادارة المحلية .
٥ ـ قوانين يوليو الاشتراكية .

ونكتفى بهذه الوقائع التى قامت فى دولة الوحدة ، مرجئين مدى ما حققته لدولة الوحدة من تقدم الى الباب الثالث حيث نبحث فى الانفصال وأسبابه .

١- قانون الاصلاح الزراعي في الاقليم السوري :

خلق قيام الجمهورية العربية المتحدة ثورة في المنطقة العربية . وحتى تستكمل هذه الثورة عناصر قيامها ووجودها ، وحتى يمكن للاقليم السوري أن يتابع التطور الاقتصادي الذي بدأ بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ مباشرة بصدور قانون الاصلاح الزراعي بمصر ، كان لا بد من اصدار قانون للاصلاح الزراعي في الاقليم الشمالي ، خاصة لما عرف عن هذا الاقليم من وجود مساحات واسعة من الاراضي المروية والمطرية (البعلية) ، وكلها واقعة في يد مجموعة قليلة من الناس.(١)

وللاسباب السابقة ، فقد صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالقانون رقم ١٦١ لسنة ١٩٥٨ في الاصلاح الزراعي بالاقليم السوري .

ونظرا لاهمية هذا القانون البالغة ، ولما ترتب عليه من آثار كبيرة ايام الوحدة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبما انه اتخذ ذريعة من ذرائع الانفصال ، مثله مثل القوانين الاشتراكية التي صدرت في يوليو عام ١٩٦١ ، لذلك كله نورد اهم ما اشتمل عليه ذلك القانون مرجئين نصه الكامل الى الملاحق.(٢)

جاء القانون ببابين ، يتعلق الاول بتحديد الملكية الزراعية ونزع ملكية بعض الاراضي لتوزيعها على صغار الفلاحين ، والباب الثاني خاص بجمعيات التعاون الزراعي .

نصت المادة الاولى على انه لا يجوز لاي شخص ان يملك في الاراضي المروية والمشجرة اكثر من ٨٠ هكتارا وفي الارض البعلية اكثر من ٣٠٠ هكتارا . وللمالك حق اختيار الجزء الذي يرغبه بعد الاستيلاء على الجزء الزائد من اراضيه .(٣)

والمادة الثانية تذكر المساحات التي يحق للمالك ان يتنازل عنها لكل من زوجه واولاده ، بشرط ان لا تتجاوز ١٠ هكتارات من الارض المروية و ٤٠ هكتارا من الارض البعلية وعلى ان لا يزيد مجموع المساحة للاولاد والازواج عن ٤٠ هكتارا من الارض المروية و ١٦٠ هكتارا من الارض البعلية .

وحدد الاستيلاء على الاراضي المحددة قانونا خمسة سنوات (م ٥) .

واستثنى قانون الاصلاح الزراعي بعض الاشخاص المعنويين من الخضوع لاحكامه

---

(١) راجع الفصل الثاني من الباب الثالث الخاص بقوانين يوليو الاشتراكية ، اذ بينا فيه عدد الملاك السوريين الذين يملكون مساحات تعتبر اقطاعية تصل في مساحتها الى مئات الهكتارات .

(٢) انظر الملحق رقم ١٠ (أ) الخاص بقانون الاصلاح الزراعي بالاقليم السوري .

(٣) راجع الفصل الثاني من الباب الثالث فقرة (القوانين الاشتراكية) حيث نسب رقعة الارض الزائدة عن الحد الاعلى ، وكم وزع على الفلاحين السوريين خلال سنوات الوحدة .

١- قانون الاصلاح الزراعى فى الاقليم السورى :

خلق قيام الجمهورية العربية المتحدة ثورة فى المنطقة العربية . وحتى تستكمل هذه الثورة عناصر قيامها ووجودها ، وحتى يمكن للاقليم السورى أن يتابع التطور الاقتصادى الذى بدأ بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ مباشرة بصدور قانون الاصلاح الزراعى بمصر ، كان لا بد من اصدار قانون للاصلاح الزراعى فى الاقليم الشمالى ، خاصة لما عرف عن هذا الاقليم من وجود مساحات واسعة من الاراضى المروية والمطرية (البعلية) ، وكلها واقعة فى يد مجموعة قليلة من الناس.(١)

وللاسباب السابقة ، فقد صدر قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالقانون رقم ١٦١ لسنة ١٩٥٨ فى الاصلاح الزراعى بالاقليم السورى .

ونظرا لاهمية هذا القانون البالغة ،ولما ترتب عليه من آثار كبيرة ايام الوحدة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبما انه اتخذ ذريعة من ذرائع الانفصال ، مثله مثل القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو عام ١٩٦١ ، لذلك كله نورد اهم ما اشتمل عليه ذلك القانون مرجئين نصه الكامل الى الملاحق.(٢)

جاء القانون ببابين ، يتعلق الاول بتحديد الملكية الزراعية ونزع ملكية بعض الاراضى لتوزيعها على صغار الفلاحين ، والباب الثانى خاص بجمعيات التعاون الزراعى .

نصت المادة الاولى على انه لا يجوز لاى شخص ان يملك فى الاراضى المروية والمشجرة اكثر من ٨٠ هكتارا وفى الارض البعلية اكثر من ٣٠٠ هكتارا . وللمالك حق اختيار الجزء الذى يرغب به بعد الاستيلاء على الجزء الزائد من اراضيه .(٣)

والمادة الثانية تذكر المساحات التى يحق للمالك ان يتنازل عنها لكل من زوجه واولاده ، بشرط ان لا تتجاوز ١٠ هكتارات من الارض المروية و ٤٠ هكتارا من الارض البعلية وعلى ان لا يزيد مجموع المساحة للاولاد والازواج عن ٤٠ هكتارا من الارض المروية و ١٦٠ هكتارا من الارض البعلية .

وحدد الاستيلاء على الاراضى المحددة قانونا خمسة سنوات (م ٥) .

واستثنى قانون الاصلاح الزراعى بعض الاشخاص المعنويين من الخضوع لاحكامه

---

(١) راجع الفصل الثانى من الباب الثالث الخاص بقوانين يوليو الاشتراكية ، اذ بينا فيه عدد الملاك السوريين الذين يملكون مساحات تعتبر اقطاعية تصل فى مساحتها الى مئات الهكتارات .

(٢) انظر الملحق رقم ١٠ (أ) الخاص بقانون الاصلاح الزراعى بالاقليم السورى .

(٣) راجع الفصل الثانى من الباب الثالث فقرة (القوانين الاشتراكية) حيث نسب رقعة الارض الزائدة عن الحد الاعلى ، وكم وزع على الفلاحين السوريين خلال سنوات الوحدة .